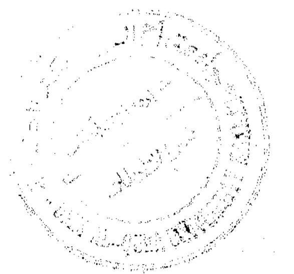
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية التربية





الشيخ عبد العزيز بن باز يرحمه الله

جهوده وفكره التربوي

دراسة وصفية وتحليلية

إعداد الطالبة

فائقة عبده يحيي يماني

٩_٨٠٤٢_٤١٨

إشراف

الدكتورة : أميرة طـــه بخـــش

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم التربة الإسلامية والمقارنة كلية التربية بجامعة أم القرى

الفصل الدراسي الثاني

عام (١٤٢٤-١٤٢٥هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

الدراسات العليا

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية

بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم الرباعي :- فائقة بنت عبده يماني

القسم :- تربية إسلامية ومقارنة

الدرجة العلمية :- ماجستير

التخصص :- تربية إسلامية

عنوان الأطروحة :- الشيخ عبد العزيز بن باز جهوده وفكره التربوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٨ /٢/١٤٢٥هـ

بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث تم عمل اللازم .

فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه

والله الموفق

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من القسم
الاسم :- د/ أميرة طه بخش	أ د/ حامد بن سالم الحربي	د/ عبد الناصر عطايا
التوقيع :- [signature]	[signature]	[signature]

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل النسخة .

الفصل الأول

الإطار المنهجي للدراسة

المقـــدمـــــة

موضوع الدراسة

تساؤلات الدراسة

أهداف الدراسة

أهمية الدراسة

منهج الدراسة

مصطلحات الدراسة

الدراسات السابقة

ملخص الدراسة

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً يهدي به من يشاء من ظلمة الجهل والضلال .

اسم الباحثة : فائقة عبده يحي يماني .

عنوان الدراسة : (الشيخ عبد العزيز بن باز جهوده وفكره التربوي) .

هدف الدراسة : الكشف عن ملامح شخصية الشيخ وتحديد معالم عصره والتعرف على العوامل المؤثرة في فكره والكشف عن الجوانب العملية التربوية في حياته والكشف عن الأفكار التربوية لديه وذلك من خلال فتاواه ورسائله وكذلك التعرف على جهوده التربوية العلمية والعملية

فصول الدراسة : خمسة كما يلي تتقدمها خطة البحث موضوع الدراسة تساؤلات الدراسة،أهداف الدراسة،أهمية الدراسة،منهج الدراسة،مصطلحات الدراسة،الدراسات السابقة. الفصل الثاني يتضمن:ترجمة مجملة للشيخ،العوامل المؤثرة في فكره.الفصل الثالث يتضمن:الجهود العلمية والعملية للشيخ ابن باز.ويتضمن مبحثان:المبحث الأول:الجهود العلمية:وبه خمسة محاور:جهوده في مجال التربية والتعليم،آثاره،العلم عند ابن باز،آداب العالم،مسئوليات طالب العلم.المبحث الثاني:الجهود العملية وبه خمسة محاور:المحافظة على السنة،المداومة على إلقاء الدروس العلمية،الطلب الدائم للعلم،فقه الشيخ بالواقع،العلاقات الاجتماعية في حياة ابن باز.الفصل الرابع:الفكر التربوي عند ابن باز:ثلاثة مباحث:الأول:أهداف التربية عند ابن باز.المبحث الثاني:مجالات التربية عند ابن باز:التربية العقدية،التربية الجسدية،التربية الأخلاقية،التربية الاجتماعية،تربية المرأة.المبحث الثالث:الأساليب التربوية عند ابن باز.ثم الخاتمة والمقترحات والتوصيات. **ومن أهم نتائج الدراسة ما يلي :**

١ .شخصية ابن باز أنموذج من نماذج السلف الصالح،وذلك من عدة نواحي:التمسك بالدين الإسلامي والفقه الصحيح لمبادئه،الفكر السليم،والفقه بالواقع العلم الواسع،والاجتهاد لاحتواء مستجدات العصر ، ، ،

٢ .الاهتمام بتكوين المسلم تكويناً إيمانياً كاملاً حتى تتبلور رؤى التوحيد على شخصيته وسلوكه

٣ .الدين الإسلامي بكل ما يحتويه من أوامر ونواهي وما إلى ذلك ، وما تتضمنه من محاسن عظيمة كفيل بتحقيق السعادة لبني البشر .

٤ .التعليم من أهم عمليات التربية . وقد اهتم ابن باز بكل محاوره فمنّهج طلبه وحث المعلم وطالب العلم على لزوم آدابه

٥.واقعية الفكر أمر لابد منه في فكر كل مسلم ، وهو أولى لدى العالم والمتعلم . يعالج مشكلات عصره .

كلمات مضيئة

قال الله ﷻ

{ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين }

(سورة فصلت ، آية : ٣٣)

قال رسول الله ﷺ :

(من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)

أخرجه الإمام مسلم ص١١٣٥ .

الواجب على المسلمين وخاصة الدعاة أن ينشطوا بين هذه الأمم لدعوتهم إلى دين الله ، و لا ننسى قبل القيام بذلك أن نتمثل الإسلام فينا : علماً وسلوكاً . فالبشرية بحاجة إلى من يخرجهم من الظلمات إلى النور .

ابن باز .

.. وأن يكونوا معسكراً متكاملاً له عدته وله كيانه وله وزنه في المحيط الدولي والسياسي والاقتصادي والصناعي وسائر مقومات المجتمع ووسائل نهضته وصموده أمام كل خطر كما أمرهم بذلك دينهم وأرشدهم إليه كتاب ربهم .

ابن باز .

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العلم ويسر لنا طريقه ، أحمده عز وجل على توفيقه لي لإتمام هذا الدراسة ، فله الحمد حتى يرضى وله الحمد عند الرضى وله الحمد بعد الرضى .

وهذه هي بطاقات شكري الجزيل أسجلها هنا عرفاناً بالجميل . وأبدأ بمن تكرمت وأشرفت على هذه الدراسة الدكتورة / أميرة طه بخش ، فلها شكري وتقديري على ما بذلته من علم وجهد ومتابعة لإتمام هذه الدراسة ، ولها من الله الكريم المنان عظيم الأجر وسكن الجنان .

كذلك أتقدم بالشكر والتقدير لأصحاب السعادة عضوي لجنة المناقشة سعادة الأستاذ الدكتور حامد الحربي ، وسعادة الأستاذ الدكتور عبد الناصر عطايا ، على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الدراسة ، فشكر الله لهما وجزاهما بخير ما يجزي به العلماء .

وكذلك شكري موصول إلى عضوي لجنة تحكيم خطة هذه الدراسة سعادة الدكتور نايف همام ، وسعادة الدكتورة عائشة جلاّل على ما بذلاه من نصح وتوجيه ، فجزاهما الله كل خير وزادهما علماً نافعا .

كما يسعدني أن أسجل شكري وامتناني لوالدي الكريمين أطال الله بقاءهما في طاعته على ما قدماه لي من عون ومساعدة وما رفعاه لي من دعاء ، ولهما من الله العلي القدير فردوس الجنان .

كذلك يسعدني أن أسجل شكري وتقديري الكبيرين للأستاذ إبراهيم علي العرّافي زوجي يحفظه الله الذي كان له الفضل بعد الله عز وجل في تدوين هذه الدراسة وتوفير مراجعها ، فاللهم أكرم له الأجر في الدنيا والآخرة .

كما لا يفوتني أن أشكر كلاً من : الدكتور مرشد عا لم الذي تكرم بتنظيم وتنسيق نسخ هذه الرسالة ، والشيخ علي العرَّافي على مساعدته لي في تخريج الأحاديث النبوية ، وكذلك الأخت العزيزة مريم علي العرّافي فقد كانت خير معين لي في توفير المراجع ، فأثابهم الله أجراً عظيما . كما أتقدم بالشكر الجزيل لعائلتي الكريمة وكل من أسدل لي معروفاً أياً كان ، فلهم من الله سبحانه خير الجزاء .

قائمة المحتويات

ملخص الدراسة .... ب

كلمات مضيئة .... ت

شكر وتقدير .... ث

قائمة المحتويات ....ج

الفصل الأول : الإطار المنهجي للدراسة ١

المقدمة ٢

موضوع الدراسة ٥

تساؤلات الدراسة ٦

أهداف الدراسة ٧

منهج الدراسة ٨

مصطلحات الدراسة ٩

الدراسات السابقة ١٠

الفصل الثاني : حياة الشيخ ابن باز والعوامل المؤثرة في فكره ١٥

المبحث الأول : حياة الشيخ ابن باز ١٦

المولد والنشأة ١٦

أسرته العلمية ١٨

مشواره العلمي ٢٠

شيوخه ٢٢

تلاميذه ٢٤

سماته الخُلقية ٢٨

وفاة الشيخ ٣٥

المبحث الثاني : العوامل المؤثرة في فكر الشيخ ابن باز ٣٧

أولاً ــ العوامل السياسية ٣٧
ثانياً ــ العوامل الدينية ٤١
ثالثاً ــ العوامل الاجتماعية ٤٢
رابعاً ــ العوامل الاقتصادية ٤٨
خامساً ــ العوامل العلمية ٥١
سادساً ــ العوامل الثقافية ٥٧
الفصل الثالث الجهود العلمية والعملية للشيخ ابن باز ٦٠
تمهيد ٦١
المبحث الأول ــ الجهود العلمية ٦١
أولاً : جهوده في مجال التربية والتعليم ٦١
ثانياً : آثــــــاره ٧٠
ثالثاً : العلم عند ابن باز ٧٦
رابعاً : آداب العالم ٨٨
خامساً : مسئوليات طالب العلم ٩٧
المبحث الثاني : الجهود العملية ١٠٧
تمهيد ١٠٧
أولاً : المحافظة على السنة النبوية ١٠٧
ثانياً : المداومة على إلقاء الدروس العلمية ١٠٨
ثالثاً : الطلب الدائم للعلم ١١٢
رابعاً : فقه الشيخ بالواقع ١١٣
خامساً : العلاقات الاجتماعية في حياة الشيخ ١١٧
الفصل الرابع : الفكر التربوي عند ابن باز ١٢٨
تمهيد ١٢٩
المبحث الأول : أهداف التربية عند ابن باز ١٣٠
الهدف الأول : تحقيق الصحة النفسية ١٣٠
الهدف الثاني : : تنمية الاقتصاد الإسلامي ١٦٣

الهدف الثالث : التربية للوقاية ١٧١

المبحث الثاني : مجالات التربية عند ابن باز ١٨٨

أولاً : التربية العقدية ١٨٨

ثانياً : التربية الجسدية ٢٢٣

ثالثاً : التربية الخلقية ٢٣٠

رابعاً : التربية الاجتماعية ٢٣٣

خامساً : تربية المرأة عند ابن باز ٢٥٣

المبحث الثالث : أساليب التربية والتعليم عند ابن باز ٢٦٢

أولاً ــ في التربية : ٢٦٢

أ . القدوة الحسنة ٢٦٢

ب . النصح والإرشاد بالحسنى ٢٦٢

ج . تأليف النفوس ٢٦٣

د . رد المخطئ ٢٦٤

هـ . تأليف الكتب ٢٦٦

ثانياً – في التعليم : ٢٦٨

طريقة الإلقاء ٢٦٩

الخاتمــة ٢٨١

المقترحات ٢٨٥

التوصيات ٢٩٩

قائمة المراجع .... ٣٠٠_٣٠٧

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ، وله الحمد سبحانه أن جعل العلم طريقاً إلى الجنان ، وصلوات الله على الهادي البشير والسراج المنير محمد ابن عبد الله أول من بلّغ القرآن الكريم ، وعلّم السنةَ النبوية الشريفة ، وسلام الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

يقول الله عز وجل في محكم كتابه : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[١] ، ففضّل العلماء وستشهدهم على الحق ، ورفعهم على الناس درجات في الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه : { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }[٢] .

ورغّبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقهم كل طالب ، وجعلها طريقاً إلى الجنة ، وبفضل ما لديهم من إيمان وعلم وبصيرة ؛ أمّنهم الله من الفتن ماداموا قائمين على أمره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدِّين ، وإنما أنا قاسم ، والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)[٣] .

والعلماء بشهادة الله لهم أشد الناس خشية له سبحانه قال تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }[٤]، وذلك لعلمهم أن الله هو الحق ، ولمعرفتهم بآلائه وعجائب قدرته في هذا الكون ، وواسع علمه وملكوته -سبحانه- فهم لهذا يعبدون الله على علم وبصيرة ، وهم ورثة الأنبياء بعلمهم هذا ، يسترشد بهم كل ضال ، وينتفع بهم كل من

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٨) .

(٢) سورة المجادلة ، آية (١١) .

(٣) النيسابوري ، مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم . ط١ ، لبنان : بيروت/دار إحياء التراث العربي ، (١٤٢٠هـ) ، حديث رقم (١٠٣٧) ، ص٤٣٧ .

(٤) سورة فاطر ، آية (٢٨) .

يريد الحياة ، ولهذا الأمر فُضّل العالمُ على العابد ، ففضْل العالم وخيره يفيض على غيره من الناس والمخلوقات عامة ، أما خير العابد فلا يتجاوز ذاته .

وللعاقل أن يتأمل في بر العالم ؛ ألم يصل إحسانه إلى الناس في أقصى الأرض ؟ بل إن نفع العالم يبقى حتى بعد موته ! وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاثة : إلاّ من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له)[1] .

وهذا التاريخ الإسلامي يذخر بجمهرة العلماء ، أمثال عمر ابن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وابن مسعود ، والإمام مالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وابن تيميه ، وابن القيم ، وابن رجب ، ومحمد بن عبد الوهاب .. وغيرهم ممن تعدى خيرهم إلى القرون من بعدهم . فهذا إنتاجهم العلمي مسطراً باقياً وإن بليت أجسادهم .

من أجل ذلك ، فإن من واجب الأمة لعلمائها توقيرهم وإجلالهم والاعتزاز بهم ، وتعريفهم للناس بالمظهر اللائق لكل منهم فهم عمادها وعتادها ، وهم مشاعل النور لأفرادها ، فمن للناس غير العلماء يقتدون بهم ، وينهلون من علمهم ويتتبعون منهجهم ، ويهتدون بمثل ما اهتدوا به .. ثم إن المجتمع الإسلامي اليوم في أمس الحاجة إلى العالم المربي والمفكر الإسلامي والقدوة الصالحة ، للنهوض بالأمة الإسلامية فقد عم البلاء نتيجة الغزو الفكري ، وما سبّبه من الهزيمة النفسية والفكرية لكثير من المسلمين ، والتي أدت إلى الشعور بالضعف والذّل والهوان أمام الأعداء ، والتقليد غير المحدود ، والانبهار المفتوح بعادات ومفاهيم وأفكار الغرب السيئة التي تتنافى مع عادات ومفاهيم وأفكار المسلمين ، مما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة .. فهذا ما يحزّ في النفس ويتألم له الفؤاد .

ورجعةً إلى واجب الأمة الإسلامية لعلمائها ، فمن سبل هذا التوقير والتعريف

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري . صحيح مسلم . ط١ ، لبنان / بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (١٤٢٠هـ) ، حديث رقم (١٦٣١) ، ص٧٢٥ .

بالعلماء : إقامة الأبحاث العلمية الموسَّعة والمختلفة لدراسة شخصياتهم ، وجهودهم ، وإنتاجهم الفكري ، للإسترشاد بهم والاقتداء بما هم عليه من الحق .

إنما تقاس حضارة الأمة ومدى تقدمها بقدر ما لديها من علوم وبقدر ما تضم في كيانها من العلماء وطلبة العلم الإجلاء ، فهم عنوان لطلب المعالي ، وهم عنوان للتقدم والنهضة . وبهم تُعز الأمم أو تُذل . وما نهضت الحضارة الغربية وبهرت أنظار العالم ببريقها إلاّ بالعلم الذيّ خلّفه أسلاف المسلمين العظماء ، وما ورّثوه للأمم من الحكمة – والتاريخ أصدق دليل على ذلك – وإلاّ فقد كان الغرب من أذّل الأمم في العصور الوسطى ؛ وذلك بسبب الجهل الذي خلّفته الكنيسة بين أفرادها ، فقد كانت تمنعهم التعلُّم وتعذّب كل من يخالف أفكارها ، أو يشذ عما تدعو له ...

ويدور الزمان دورته وتُهيئ الأسباب أمام هذه السنة الكونية قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }(1) فلا تتخلف ، ويصاب العالم الإسلامي اليوم بالضعف والخور ، ويتسرب المرض إلى الداخل فلا ينجو منه إلاّ من عصمه الله وتحصَّن منه بهدي الإسلام ، ويتردى فيه من ترك هذا الهدي القويم .

أسباب هذا الضعف والمرض كثيرة ، ولكنها بلا شك مجتمعة بسبب الجهل والتخلف العلمي المنتشر بين الأفراد في معظم أقطار العالم الإسلامي ، بالرغم من أن الإسلام لم يحجر أهله عن التعلّم ، ولم يمنعهم من طلب العلوم والمعارف ، بل جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ولم يرض بالجهل وحذر منه ، وفتح باب الاجتهاد ، وحث عليه ، ورغب المجتهد بحصول الأجرين إن هو أصاب في اجتهاده ، وبالأجر الواحد إن هو أخطأ . وعند إطلاق القول بالتخلف العلمي فيما سبق فهذا بالطبع لا يُقصد به التخلف المادي في أسباب العلم ، فهذا متحقق بفضل الله ، وقد وصل أشدَّه ، بل يقصد به التخلف في طلب العلم من أصوله ، والانحراف في ذلك والأخذ عن الغرب بدون تأمل أو ملاحظة ، وعدم التنبه إلى خطر الغزو الفكري وما أفسده في أساليب التربية وطرق التعليم والمناهج والثقافة الإسلامية ..

---

(1) سورة الرعد ، آية (11) .

ويعزو ابن باز السبب في ما أصاب المسلمون إلى « عدم تمسكهم بدينهم كما يجب وعدم فهم الأكثرية لحقيقته وما ذلك إلا لإعراضهم عنه وعدم تفقههم فيه وتقصير الكثير من العلماء في شرح مزاياه وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره والصدق والصبر في الدعوة إليه وتحمُّل الأذى في ذلك بالأساليب والطرق المتبعة في هذا العصر ومن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف ، وجهلُ الأكثرية بأحكام الإسلام ، والتباس الأمور عليهم » [1].

ولابد للبشرية من تربية تراعي مطالبها وتحقق رغباتها وتهذبها ، ومن لهذا الدور إلاّ التربية الإسلامية ذات المبادئ الربانية الصالحة للفرد والمجتمع . والحديث عن الجوانب التربوية في حياة الشخصيات الكبيرة أمثال العلماء والمفكرين التربويين الإسلاميين ؛ حديث عن ضرورة التربية الإسلامية وأهميتها للنهوض بالأمة اليوم ، وفيه عودة لها إلى أمجادها السابقة .

موضوع الدراسة

تدور هذه الدراسة حول عالم من علماء الأمة الإسلامية ، عالم جليل من علماء هذا العصر ، هو حبر الديار السعودية ومفتيها العام : الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٣٣٠هـ-١٤٢٠هـ) العالِم الرباني ، ناصر الدين ، وفقيه الأمة ، المفكر الناصح ، والداعية النشيط ، الذي عاش يحمل هموم الأمة الإسلامية ، ويتبنى قضاياها ، فكان يساند كل حركة إسلامية وكل دعوة إصلاحية على المستوى العالمي ويذبُ عنها ، ويجاهد الإلحاد ونظرياته الهدَّامة . وهو من خيرة العلماء والمفكرين ، بل من العلماء من أجاز وصفه بشيخ الإسلام . يذكره الشيخ صالح اللحيدان بقوله : كان سماحته - يرحمه الله - مثالاً لعلماء السلف في زهده وورعه ونصحه ، كان مثالاً لمن أراد أن يقتدي بعالم يجعله قدوة له في نصحه ووعظه وتعليمه وتحمُّله .. ثم قال : هو من نوادر علماء هذا الزمان .. وإذا قال قائل لا أعلم في هذا الزمن الحاضر عالماً يساويه في مجموع علومه مع

---

(١) ابن باز ، عبد العزيز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . جمع وترتيب : محمد بن سعد الشويعر ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار القاسم ، (١٤٢٠هـ) ،ج١/ص٣٨٨ .

النصح والتقى والورع ، لم يكن مجازفاً في ذلك ، بل إن الرجل كأنما نذر نفسه لديـن الله جل وعلا ولكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ [(١)] .

وقد جمع سماحته - يرحمه الله - جانباً من العلوم قل أن يجده الناس في عالم ، وجمع جملة من الأخلاق الفاضلة ، والآداب المستحبة ، وكان لا يعظ غيره إلاّ ويكون هو المثال الحيّ لما يعظ به ، فلا يكاد يراه المترقب إلاّ مؤولاً للقرآن ، ومتبعاً للسنة قولاً وعمـــلاً . يذكره الشيخ عبد الله المنيع بقوله : لا شك أن شيخنا ووالدنا الشيخ عبد العزيز ، إمـــام ومجدد في عصرنا الحاضر ، فهو إمام في علم الحديث ، وفي رجاله بلا نزاع ، وهو إمام في الفقه ودقة النظر ، وإمام في الدعوة إلى الله بلسانه وقلمه ونفسه وماله ، وهو إمام في كرم النفس وكرم اليد ، وإمام في النصح والعمل والمثابرة عليه ، وإمام في السماحة والتواضـع والقناعة والتقوى والصلاح [(٢)] .

وموضوع هذه الدراسة هو إبراز الجوانب التربوية في حياة هذا الإمام وتقسيمها في البحث إلى جوانب عملية تطبيقية تتمثل في إظهار جهود الشيخ وإســهاماته العلميــة في مجال التربية والتعليم . وعرض الجوانب التي تبرز أفكار الشيخ التربوية . ولعل مما تتطلبــه مثل هذه الدراسة أن تــتقدمها ترجمة مُجملة للشيخ ، وشرحاً وافياً للعوامل التي أثــرت في فكره وحياته .

تساؤلات الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الرئيسي التالـــي :

- ما أهم الجهود العلمية والتربوية في فكر وحياة الشيخ عبد العزيز بن باز ؟

وكذلك الأسئلة الفرعية التالية :

١ - ما أهم ملامح شخصية الشيخ عبدالعزيز بن باز ؟

٢ - ما أهم معالم عصر الشيخ عبدالعزيز بن باز ؟ وما العوامل المؤثرة فيه ؟

---

(١) المؤسسة العربية للأبحاث والعلاقات العامة . ملف صحفي توثيقي يرصد أصداء رحيل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله . المملكة العربية السعودية / الرياض ، (١٤٢٠هـ) ، ص١٨ .

(٢) الرحمة ، عبد الرحمن بن يوسف . الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الهجرة ، (١٤٢١هـ) ، ص٥ .

٣ – ما أهم الجهود العلمية والعملية للشيخ عبد العزيز بن باز ؟

٤ – ما الفكر التربوي لدى الشيخ عبدالعزيز بن باز ؟

٥ – إلى أي مدى يمكن الاستفادة من جهود ابن باز التربوية في تطوير علاقات الإنسان بكل ما يحيط به في الكون ؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى :

١ – الكشف عن أهم ملامح شخصية الشيخ عبدالعزيز بن باز .

٢ – تحديد أهم معالم عصر الشيخ عبدالعزيز بن باز والعوامل المؤثرة فيه .

٣ – الكشف عن أهم الجهود العلمية والعملية للشيخ عبد العزيز بن باز .

٤ – الكشف عن أهم الأفكار التربوية لدى الشيخ عبدالعزيز بن باز .

٥ – تعيين بعض من مجالات الحياة التي يمكن تطويرها من خلال جهود الشيخ عبد العزيز بن باز التربوية .

أهمية الدراسة

تبدو أهمية هذه الدراسة في كونها :

أولاً : تكشف عن بعض مبادئ التربية الإسلامية وتوجيهاتها من خلال دراستها في الجوانب الفكرية التربوية لدى الشيخ ابن باز الذي يعدّ من كبار العلماء والمفكرين المسلمين . وهذا الأمر له أهميته عند المخلصين في التربية والتعليم ، للاستفادة من هذه الأفكار والمبادئ ومحاولة تطبيقها في تربية الأجيال ، وتحقيق الصلاح الذي تنشده التربية الإسلامية في الأرض .

ثانياً : تجسد لكل إنسان مثالاً رائعاً للقدوة الصالحة ، وذلك من خلال دراستها وإفصاحها عن الجوانب العملية من حياة الشيخ ابن باز .

ثالثاً : تسلط الضوء على فكر عالم من علماء الأمة الإسلامية ؛ ترأس بعض ميادين التربية والتعليم ، وقاد مسيرات الدعوة إلى الله ، واستطاع أن يربي بالدين الإسلامي أجيالاً متلاحقة ، ومتعددة في مختلف أنحاء العالم .

رابعاً : تنشيطاً لمسيرة الدراسات الفكرية التربوية الإسلامية ، خشية التوقف بها عند حد معين أو في وقت معين ، وهذه الدراسات الفكرية من أهم المعارف التي تربط المسلمين بجذورهم الأصيلة . وتكون الفهم الصحيح لمبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، بعيداً عن الفلسفات الأخرى .

خامساً : لقد تبوأ الشيخ مكانة عظيمة عند الناس واستحوذ على محبتهم واهتمامهم ، فلا يكاد يُلقى عليهم شئ من فتاوى الشيخ ورسائله ، أو شئ من نصائحه وتوجيهاته إلاّ وتلقوه بالقبول والتطبيق ثقة فيه ومحبة له ، ودراسة مثل هذه الدراسة الحالية سوف تثري معرفة الناس بشخص الشيخ عبد العزيز بن باز ، وجوانب من حياته التربوية . . وهذا بمفرده له أبلغ الأثر في إمكانية تبنّ بعض هذه الجوانب لدى محبي الشيخ ، ومن ثم إمكانية نشر هذا الخير بين الناس لأصالته عندهم .

منهج الدراسة

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي . والذي يقوم على وصف ما هو كائن ، وتفسيره ، وتحديد الممارسات الشائعة ، والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات [1] .

وهذا ما جرى في الفصل الثاني عند دراسة شخصية الشيخ ابن باز -رحمه الله- فهذا الفصل يحتاج إلى وصف مراحل حياة الشيخ ، وعرض أهم مؤلفاته ، وأنشطته العلمية والعملية ، واستعراض ملامح شخصيته ، وما تميز فيها .

وكذلك احتاجت الباحثة إلى المنهج التاريخي الذي يسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ، ولا يقف عند مجرد الوصف ، وإنما يدرس هذه الوقائع ويحللها ويفسرها على أسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لا تساعدنا على فهم الحاضر بل التنبوء بالمستقبل[2] . وذلك عند عرض النبذة التاريخية عن

---

(١) عبد الحميد وكاظم ، جابر وأحمد خيري . مناهج البحث في التربية وعلم النفس . ط٢ ، مصر/ القاهرة : دار النهضة العربية ، (١٩٧٨هـ) ، ص١٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٠٤ .

عصر ابن باز ، وتحليل أهم العوامل المؤثرة في فكره وشخصيته، سواء كانت عوامل مادية ، أو عوامل معنوية .

وكذلك استخدمت الباحثة الطريقة الاستنباطية : وهي الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة [١] . وهذا المنهج أو الطريقة تم تطبيقه في الفصل الرابع وذلك لاستنباط الأفكار التربوية لدى الشيخ من خلال فتاواه ورسائله وجهوده العلمية والعملية .

مصطلحات الدراسة

١ـ الفكر التربوي

الفِكر : بالكسر هو ، تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني ، ويقال : ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب عِلماً أو ظناً [٢] . وهو كذلك بالفتح : إعمال الخاطر في الشيء . والتفكر والتأمل [٣] .

التربوي : التربية هي إنشاء الشيء حالاً إلى حد التمام [٤] . ويقال : ربيته تربية وتربَّيته ، أي غذوته [٥] .

التعريف الإجرائي للفكر التربوي : الأفكار والتصورات التي يبنيها الإنسان أو يتبناها حول نفسه وسلوكه وحول الدين والكون والحياة بأكملها .

---

(١) فوده وعبد الله ، حلمي محمد وعبد الرحمن صالح . المرشد في كتابة الأبحاث . ط٦ ، المملكة العربية السعودية / جدة : دار الشروق ، (١٤١٢هـ) ، ص٤٣ .

(٢) الرافعي ، (د.ت) . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . ج٢ ، ص٤٧٩ .

(٣) ابن منظور ، محمد بن مكرّم . لسان العرب . لبنان / بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (١٤١٣هـ) ، ج١٠/ص٣٠٧ .

(٤) الأصفهاني ، الحسين بن محمد الراغب . المفردات في غريب القرآن . لبنان / بيروت : دار المعرفة ، (د.ت) ، ص١٨٤ .

(٥) ابن منظور ، مرجع سابق ، ج٥/ص١٣٨ .

٢ ـ الجهود التربوية

الجَهْدُ : الطاقة والمشقة ، واجهد جهدك أبلغ غايتك ، وجُهادك أن تفعل قصاراك[١] . وقيل الجُهد للإنسان ، يُقال جهدت رأيي وأجهدته : أتعبته بالفكر [٢] .

ومن التعريف اللغوي للجهد يتضح أنه يمكن أن ينقسم إلى قسمين : الجهد الفكري النظري ، الذي يقوم به العقل ، وهو الذي يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات التي تقوم بالجهود العملية المختلفة ، التي يتحملها جسد الإنسان ، وهذا هو الجهد العملي .

التعريف الإجرائي للجهود التربوية

التعريف الإجرائي للجهود الفكرية : هي الأعمال الفكرية النظرية التي يقوم بها العقل لتنمية الإنسانية من جميع جوانب الحياة المختلفة .

التعريف الإجرائي للجهود العملية التربوية : هي الأعمال التي يقوم بها الإنسان عملياً لتنمية الإنسانية من جميع جوانب الحياة المختلفة .

الدراسات السابقة

بعد البحث والتقصي عن الدراسات السابقة لهذه الدراسة الحالية في كل من : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتبة الملك فهد الوطنية ، ومعهد البحوث التابع لجامعة أم القرى ؛ فإن الباحثة لم تعثر على أي دراسة تربوية ترتبط بموضوع الدراسة الحالية . وتُعتبر هذه الدراسة هي الأولى بدورها التي تبحث في الجوانب التربوية في حياة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله .

إلاّ أنه قد سبقتها دراسات تربوية في مجال الفكر التربوي عند علماء آخرين ومن هذه الدراسات :

---

(١) الفيروز أبادي . القاموس المحيط . ج١ ، لبنان / بيروت : دار الفكر ، (د.ت) ، ج١/ص٢٨٦ .

(٢) الأصفهاني ، مرجع سابق ، ص١٠١ .

١ . دراسة الحجاجي [١]

عنوان هذه الدراسة "الفكر التربوي عند ابن القيم"، وهدفت إلى إبراز فكر ابن القيم التربوي ، والمشاركة في علاج الانحراف الواقع فيه بعض الكتّاب المسلمين في التربية . وقد اشتملت هذه الدراسة أربعة أبواب تناولت فيها الحديث عن حياة ابن القيم ولمحة مختصرة عن العصر الذي عاش فيه ، ثم عرض آراءه في الإنسان والتربية ، ثم تناول جوانب التربية عند ابن القيم : التربية الإيمانية ، والروحية ، والفكرية ، والعاطفية ، والخلقية ، والاجتماعية ، والإرادية ، والبدنية ، والجنسية . ثم حدد التوجيهات التربوية العامة لنجاح التربية عند ابن القيم ، فكانت ثلاثة : المحتوى العلمي والمعرفي عند ابن القيم ، وعوامل النجاح في تقديم المحتوى وطريقة تلقيه ، وتوجيه المؤسسات التربوية . وخلص الباحث إلى أن التربية عند ابن القيم تحرص على إيجاد نموذج من الإنسان الصالح المحب للخير ، كما تحرص هذه التربية على تكوين المجتمع الفاضل الذي تسوده السعادة والأمن ، والعلماء في هذا المجتمع هم القائمون بمهمة التربية . وكانت أهم نتائج هذه الدراسة : وضوح النظرية التربوية لابن القيم وأصالتها وحيويتها . وأيضاً بناء نظرية المعرفة عند ابن القيم على أساس أن السعادة لا تكون إلا بالعلم المقرون بالعمل الصالح . بالإضافة إلى أن ابن القيم واحد ممن سبق واضعي علم النفس الحديث في بيان أن الإنسان خلق مزوداً بدوافع وغرائز . وسبق واضعي الاختبارات المسلكية والتوجيه المهني عندما حث على اكتشاف المواهب وتوجيهها الوجهة الصالحة ، والتي تحقق مصلحة الفرد ومصلحة الأمة .

---

(١) الحجاجي ، حسن بن علي . الفكر التربوي عند ابن القيم . ط١ ، المملكة العربية السعودية : الرياض / دار حافظ للنشر والتوزيع ، (١٤٠٨هـ) .

٢ . دراسة الزهراني [١]

وهي رسالة ماجستير بعنوان « الفكر التربوي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب » وقد هدفت إلى إبراز المبادئ التربوية التي تضمنتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية . والإسهام في تجسيد مقررات السياسة التعلمية في المملكة العربية السعودية ، والإسهام في تسهيل مهمة العاملين في ميادين المناهج والطرق والوسائل التعليمية في صبغ التربية بالصبغة الإسلامية في المملكة العربية السعودية ، وقد كانت لهذه الدراسة أهمية كبيرة في بيان المكانة العلمية التربوية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وفي أسلمة المعرفة . وقد احتوت على ثلاثة أبواب : ترجمة الشيخ ، وعرض آرائه التربوية في التربية وأهدافها ، والمنهاج وأساليب التربية ، ومفهوم التعلم ، وأخلاق المربي ، ثم بيان الآثار التربوية لمبادئ الشيخ . وقد كانت أهم نتائج هذه الدراسة : ارتباط الفكر التربوي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتوحيد .

٣ . دراسة عبدالعال[٢] .

حاول أن يقف على أصول البحث العلمي وآدابه عند الإمام النووي مستخلصاً إياها من كتاباته التربوية ، ليرد الزعم القائل بأن أسلوب الفكر العلمي عند العرب والمسلمين ، أسلوب غيبي لا يمت إلى العلم بصلة ، وأنه يفتقر إلى قواعد المنهج العلمي ، ولقد ثبت من خلال عرض أفكار النووي أنه زَعْمٌ يفتقر إلى الصحة ، ويعوزه الدليل ، كما ثبت العلاقة بين منهج البحث والكتابة في مجال التربية عند الإمام النووي ، ومن ثم عند غيره من المربين المسلمين . وقد عرض الباحث لأراء الإمام النووي في حاجة المعلمين للبحث العلمي ، وأهميته في نموهم العلمي والمهني ، وكأن البحث عنده ضرورة لكل معلم ولا يمكن الاستغناء عنه .

كما عرض الباحث لأهمية امتلاك المعلم لأدوات البحث ومهاراته ، وقد حددها

---

(١) الزهراني ، أحمد حسن الكباشة . الفكر التربوي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رسالة ماجستير قسم تربية إسلامية ، كلية التربية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، (١٤٠٩هـ) .

(٢) عبد العال ، حسن إبراهيم . أصول البحث العلمي وآدابه عند الإمام النووي . رسالة الخليج العربي ، العدد (٢٤) ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (١٤٠٨هـ) .

الإمام في التحقق ، والتثبت ، استخدام التفكير الاستنباطي وتحديد المشكلة بدقة وفحص الأدلة ، والبصر بالاستخدامات اللغوية الصحيحة . كذلك عرض الباحث لرأي الإمام في أفضل مجالات البحث العلمي ، وقد ذهب إلى أن أفضل البحوث ما التحم بالمنفعة العامة للناس ، وما قصر على تحقيق مصالحهم . ثم تناول الباحث أهم قواعد المنهج العلمي عند النووي وكان من أبرزها تحري الباحث للحقيقة في بحثه ، وتناولها من أي أحد ، فهي ضالته يلتقطها أنى وجدها ، وأوضح الإمام أن العلم في حقيقته طريقة أو منهج لتحصيل المعرفة ومعالجة الحقائق ، وأن بطبيعته متغير ولا تحدده حدود .

وأخيراً تناول البحث أهم معوقات البحث العلمي كما يراها الإمام النووي وقد أجملها في ثلاثة معوقات رئيسية ، تندرج تحتها معوقات أخرى ، ولكنها ترجع عادة إلى الجهل بطبيعة البحث العلمي وأهدافه ، وتلك المعوقات هي : عدم القدرة على حصر الذهن ، وتركيز الانتباه وكثرة الشواغل ، والالتزامات المهنية والاجتماعية والمشكلات الصحية ، وتسرع بعض الباحثين في التوصل إلى نتائج لم تتأكد بعد صحتها ، وقد تطرق الباحث إلى علاج تلك المعوقات .

٤ . دراسة عبد الكريم [(١)]

والتي اهتمت بآراء وأفكار ابن خلدون التربوية وذلك من خلال عرض لحياة ابن خلدون ، ثم عرض الآراء التربوية له والتي كان من أبرزها : أن العلم والتعلم ضروري وطبيعي في حياة البشر لأنه أساسي في حياقم ، والتعلم في نظره وسيلة للحصول على العلم والمعرفة ، وكذلك اهتم ابن خلدون بتعليم الأطفال اهتماماً بالغاً ودعا الآباء إلى تعليم أبنائهم منذ الصغر لأن التعليم يكون أشد رسوخاً في الصغر ، كذلك يعتبر ابن خلدون من أبرز علماء المسلمين الذين تحدثوا ، عن أساليب التدريس ، حيث يقوم أسلوبه في التدريس على : التدرج من السهل إلى الصعب ، مراعاة القدرة الفعلية للمتعلمين والفروق بينهم ، واستعداداقم ، عدم الانتقال من مسألة إلى أخرى إلا بعد

---

(١) عبد الكريم ، محمد أحمد . ابن خلدون وآراءه التربوية . رسالة التربية ، عمان / وزارة التربية والتعليم ، المديرية العامة للتنمية التربوية ، دائرة البحوث التربوية ، (١٤١٦هـ) ، ص ١٨٩ ــ ص١٩٨ .

فهم المسألة الأولى منها مطلقاً ، المناقشة والحوار ، مراجعة الدروس السابقة قبل البدء بشرح الدروس الجديدة ، وقد حذرا بن خلدون المعلمين أثناء التدريس من الخلط بين علمين في آن واحد ، والاعتماد على الحفظ دون الوعي كوسيلة للتحصيل العلمي لدى المتعلمين ، واهتم أيضاً ابن خلدون بموضوع العقاب اهتماماً بالغاً ، وعلى الرغم من ذلك إلا أنه يحدده بضوابط شأنه شأن سائر علماء التربية في الإسلام .

٥ . دراسة مصطفى[1]

هدفت الدراسة إلى عرض أفكار ابن باجة التربوية ، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات : ما أهم سمات الفترة الزمنية التي عاش فيها ابن باجه ؟ من هو ابن باجه ، وما أبرز الاهتمامات التربوية في فكره ؟ وما الأصول التي يمكن رد فكر ابن باجه إليها؟واستخدم الباحث المنهج التحليلي الفلسفي الذي يقوم على أساس من تحليل النصوص الفكرية للرجل مع استنباط المضامين التربوية المحتملة في النص ما أمكن مع الاستفادة بالمنهج التاريخي في الكشف عن ظروف المجتمع في الفترة التي عاش فيها الرجل بحيث أثرت في فكره ، وقد مرت الدراسة بخطوتين أساسيتين الخطوة الأولى تناول فيها الباحث العصر الذي عاش فيه أن ابن باجه وتأثره به ، والخطوة الثانية عرض الأفكار والمضامين التربوية عند ابن باجه التي تكمن في فاعليته في النقد وإبداع النموذج المراد تحقيقه .

العلاقة بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية :

ترتبط هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في كونها تبحث في الفكر التربوي لدى علماء المسلمين . وقد استفادت الباحثة من هذه الدراسات في التعرف على إجراءات البحث في الفكر التربوي .

* * *

---

(٢) مصطفى ، علي خليل . ابن باجة وأفكاره التربوية . مجلة كلية التربية ، مصر / القاهرة : كلية التربية ، (يوليو ، ١٩٩٢م) ، ص٨٠ ــ ص١٢٠ .

الفصل الثاني
حياة الشيخ ابن باز
والعوامل المؤثرة في فكره

المبحث الأول : حياة الشيخ

المولد والنشأة

أسرته العلمية

مشواره العلمي

شيوخـــه

تلاميـــذه

سماته الخُلقية

وفاة الشيخ

المبحث الثاني : العوامل المؤثرة في فكر الشيخ ابن باز

أولاً ــ العوامل السياسية

ثانياً ــ العوامل الدينية

ثالثاً ــ العوامل الاجتماعية

رابعاً ــ العوامل الاقتصادية

خامساً ــ العوامل العلمية

سادساً ــ العوامل الثقافية

المبحث الأول : حياة الشيخ ابن باز

المولد والنشأة :

الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن باز . كنيته "أبو عبد الله"، ولد في مدينة الرياض في ١٢/١٢/١٣٣٠ هـ[١] .

وفي ظل تربية دينية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وفي رعاية من أعيان الأسرة البازية نشأ الشيخ -رحمه الله- فنشأ نشأة علمية مباركة ، في بيت متواضع بين والديه وإخوانه ، ثم توفي والده وهو في الثالثة من عمره في ١٣٣٣هـ[٢] . فنشأ يتيماً في كنف أمه ، يبيع البشوت الرجالية في السوق مع أخيه الأكبر محمد طلباً للرزق[٣] .

وقد اهتمت أمه بتوجيهه لطلب العلم الشرعي وتشجيعه على الطلب من العلماء والمشايخ منذ الصبا . فيقول عنها : «ولا شك أن لوالدتي -رحمة الله عليها- فضلاً كبيراً وأثراً عظيماً في تشجيعي على الدراسة والإعانة عليها »[٤] . وساعده في ذلك البيئة العلمية من حوله ، سواء العلماء من حوله بالرياض عامة أو الأسرة البازية .

استهل مشواره العلمي بحفظ كتاب الله الكريم ، فحفظه ووعاه وهو في الرابعة عشر من عمره ، ثم انخرط بعدها في طلب العلوم الشرعية والعربية ، فجد في طلبها على أيدي العلماء والمراجع من الكتب ، ورغم أنه أصيب بمرض "التراخوما" فكُف بصره وهو في مستهل شبابه -عشرون سنة- إلا أنه لم يضعف أمام المرض ، وازداد إصراراً ومثابرة في طلب العلوم ، وتفرغ للعلم تلقياً وتلقيناً ، وخدمة للإسلام والمسلمين في كل

---

(١) الدّويش ، أحمد بن عبد الرزاق . فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء . ط٣ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار العاصمة ، (١٤١٩هـ) ، ج١/ص٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٠ .

(٣) الشتوي ، حمد بن إبراهيم بن عبد العزيز . الإبرازية في التسعين البازيّة . المملكة العربية السعودية / الرياض : دار العاصمة ، (١٤٢٠هـ) ، ص٢٠ _ ص٢١ .

(٤) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٣٥٠ .

مكان . وصدق العليم الحكيم في قوله الكريم : { فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [١] .

وفي مجال استفادة الشيخ -رحمه الله- مما أصابه من العمى يقول القرني : وقد استفاد الشيخ من إصابته بالعمى أموراً أربعة : الأجر والمثوبة من الله . واستفاد أيضاً الذكاء المفرط ، فالشيخ حافظ العصر في علم الحديث إذا سُئل عن حديث كان في الغالب مذياعاً فصيحاً يستحضره سنداً ومتناً ، ومن تكلم فيه ، ورجاله وشرحه . وأيضاً أغفل مباهج الحياة وفتنة الدنيا وزينتها ، فزهد فيها وتوجه قلبه إلى الدار الآخرة وازداد تواضعاً وتذللاً لله . وكذلك مما استفاده الشيخ من مركب النقص في العينين إذ ألحّ على نفسه وأملها بالجد والمثابرة حتى أصبح من العلماء الكبار [٢] .

- تزوج الشيخ وعمره أربع وعشرون سنة ، وله من الأبناء أربعة : عبد الله وعبدالرحمن وأحمد وخالد ، ومن البنات ستاً .

- لم ينقل عن الشيخ أن خرج من الديار السعودية مسافراً أبداً ، وكان أول سفره داخل البلاد السعودية : قدومه إلى مكة المكرمة في سنة ١٣٤٩هـ ليؤدي فريضة الحج ، وكان عمره آنذاك تسعة عشر عاما ، يقول الشيخ - رحمه الله : « كنت أذهب للحرم وحديّ لأن لديّ بقية من النظر ، ولم يذهب نظري كله ، والناس ذلك الوقت قليل عددهم في مكة ، فكنت أذهب إلى الحرم وأطوف وأرجع وحدي والمطاف خفيف جداً والحجاج في تلك السنة عددهم قليل ، ثم أضاف : وحججتُ بعد ذلك أربع مرات . . إلى أن انتقل -رحمه الله- من الخرج إلى الرياض تابع حجه في كل سنة إلا حج عام ١٤١٩هـ الذي اشتد فيه مرضه» [٣] .

---

(١) سورة الحج ، آية (٤٦) .

(٢) القرني ، عائض بن عبد الله . الممتاز في مناقب ابن باز . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الصميعي ، (١٤١١هـ) ، ص١٣ ـ ص١٤ .

(٣) البرّاك ، عبد العزيز بن ناصر . ابن باز في الدّلم قاضياً ومعلماً . ط٢ ، المملكة العربية السعودية : شركة مطابع نجد التجارية ، (١٤٢١هـ) ، ص١٠٠ .

أسرته العلمية :

أسرة آل باز أسرة معروفة بالعلم والفضل ، والزهد والورع ، وكذلك يغلب عليها طابع الجد في ممارسة الخير سعياً في نشدان الكسب الحلال ، **فمنهم :**

الشيخ عبد المحسن بن أحمد آل باز ، وقد تولى القضاء بالحلوة والإرشاد في الهجرة الأرطاوية في قبيلة مطير [1] . وتوفي الشيخ عبد المحسن في عام ١٣٤٢هـ ، عن دراية تامة في الفقه ، واطلاع واسع في العلوم الشرعية ، ومحبة لطلب العلم ومحاسن الأخلاق وكريم الشمائل .

ومنهم : الشيخ مبارك بن عبد المحسن (١٣٠٣-١٣٥٦هـ) الذي أرسله الملك عبد العزيز إلى مكة مع بعض العلماء ليناظر ويناقش علماءها في مسائل التوحيد والعقيدة الصحيحة ، تولى قضاء عدة بلدان منها بيشة والأرطاوية ورنية والطائف وحريملاء [2] .

مشوار الشيخ العلمي

لقد وصل الشيخ ابن باز إلى درجة علمية مرموقة ، وهو لم يتلق علماً أكاديمياً قط ، بل تتلمذ على أيدي العلماء وواظب على حلقات المساجد العلمية . وهذه هي الطريقة التقليدية التي كانت معروفة في ذاك الزمان ؛ حيث يجلس الطالب لحفظ القرآن ، ثم إذا أتمه تعلم مبادئ العقيدة واللغة والفقه والتفسير والحديث وما إلى ذلك . وهو في ذلك يتدرج بالقراءة من المختصرات إلى المطولات . وكذلك سار الشيخ ابن باز يقرأ على العلماء كتب العلم ويستمع إلى شروحهم . فما وصل رحمه الله إلى ما وصل إليه من العلم إلاّ بعد طلب مستمر وجد وملازمة للعلماء والشيوخ ، وفيما يلي ملخص لأطوار حياته العلمية :

. سنة ١٣٤٠هـ بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم ؛ حتى ختمه سنة ١٣٤٤هـ

---

(١) المجذوب ، محمد . علماء ومفكرون عرفتهم . ط٤، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الشواف ، (١٤١٢هـ) ، ج١/ص٧٧ .

(٢) الرحمة ، عبد الرحمن بن يوسف . الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض ، دار الهجرة ، (١٤٢١هـ) ، ص٤٠ ـ ص٤٢ .

تقريباً . ثم كان يصلي بالناس من حفظه .

. سنة ١٣٤٥هـ قرأ على الشيخ حمد بن فارس الفارس كتاب "الآجرومية" في النحو .

. وقرأ على الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ جملة من المتون : ثلاثة الأصول ، وكشف الشبهات ، والتوحيد ، والواسطية ، وعمدة الحديث ، والأربعين النووية ، وكان هذا في مسجد "ابن شلوان" .

. سنة ١٣٤٧هـ قرأ قطعة من كتاب التوحيد على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، بالجامع الكبير .

. سنة ١٣٥٠هـ تقريباً بدأ الدراسة عند سماحة المفتي الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ فقرأ عليه جملة من المتون والمختصرات والمطولات في جميع الفنون[1] .

ويصف الرويشد دراسة الشيخ ابن باز على شيخه فيقول :

"لقد كان للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الحظ الأوفر في تحقيق العلوم لابن باز ، فقد لازمه نحو عشر سنين ، حيث بدأ الدراسة على يديه ابتداء من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٥٧هـ . وكان لهذه الدراسة نظامها الخاص ؛ وهو نظام التدرج والبدء بالأهم .
فأولاً بدأ بدراسة العقائد ، وابتدأها : بثلاثة الأصول ، ثم كشف الشبهات ، ثم كتاب التوحيد ، ثم العقيدة الواسطية ، وهكذا في الفقه بالتدرج في المتون ، وكذلك الفرائض قرأها مراراً ، وكذلك في النحو في الآجرومية ، ثم الملحة ، ثم القطر .
وكانت أوقات الدراسة مع الشيخ تسير على النهج الآتي : في الصباح بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس في المسجد ، ثم ضحوة النهار في مجلس سماحة المفتي في البيت ، ثم بعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب عقب الصلوات في المسجد" [2] .

واستمر في طلب العلوم وملازمة البحث العلمي ، بعد ذلك ، ولم ينقطع عنه حتى توفاه الله ، فمازالت تُقرأ عليه الكتب والمصنفات ، ويناقش فيها ويرجح بالدليل ،

---

(١) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٢٥ ــ ص٢٦ .

(٢) الرويشد ، عبد الله بن سعد . قادة الفكر الإسلامي عبر القرون . مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د. ت) ، ص٤٢٠ .

ويبحث في المسائل حتى ازداد علماً وبصيرة ورسوخاً ، وبهذا أصبح من علمـــاء العصـــر الذين يشار إليهم بالبنان .

شيوخـــه

إن علاّمة كابن باز لا يُعقل أن يكون له شيخ واحد فقد! فقد جلس ورافق العلماء منذ صباه ، واستقى من علومهم العذب الزلال . وإمام كابن باز لا يمكن أن يكون قـــد اعتمد أو اكتفى بالتلقي من الشيوخ دون مطالعة الكتب ! فكلٌ فيه الخير ، وإن كان ابـن باز لا يحبذ التلقي من الكتب وحدها ، دون الشيخ [1] . فقد كان يرحمه الله يقرأ علـــى شيوخ أجلاء ويتلقى منهم ، ويقرأ الكتب والمصنفات ويستزيد منها العلوم .

وشيوخ ابن باز أكثرهم من علماء آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب -يرحمـــه الله- الإمام والمجدد العلامة . ويشيد ابن باز ، بمشايخه هؤلاء ، وآثارهم في فكره وتوجيهـــه ، وبخاصة تشجيعه على المثابرة في تحقيق الخير والعلم والتبحر في عقيدة السلف[2] .

وفيما يلي تراجم مختصرة لشيوخه رحمهم الله :

١ - الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٣ - ١٣٦٧هـ) وهو من كبار علماء زمانه كانت له اليد الطـولى في التوحيـد والتفسـير والحديث والفقه وعلوم العربية . وقد عينه الملك عبد العزيـز -رحمـه الله- قاضيـاً في القويعية ثم في الوشم ، وبعثه إلى بلاد عسير والحجاز مرشداً وداعياً إلى الله ، ثم ولي قضاء الرياض والإفتاء والتدريس فيها .

٢ - الشيخ سعد بن حمد بن علي بن عتيق (١٢٦٨-١٣٤٩هـ) أخذ العلم عـن والده ، ثم سافر لطلب العلم نحو تسع سنين ، فأخذ العلم عن الشيخ نذير الدهلـــوي ، والشيخ شريف حسين ، والشيخ حسن القنوجي وغيرهم جماعة من علماء مكة المكرمة . وقد برع حتى أدرك من العلوم حظاً وافراً ، وفاق أهل زمانه محصولاً ، له اليد الطـولى في

---

(١) شريط "رحلتي مع الكتاب " .

(٢) المجذوب ، مرجع سابق ، ج١/ص٧٩ .

الأصول والفروع ، تام المعرفة في الحديث ورجاله [١] .

تولى القضاء في الأفلاج والرياض ، ثم اشتغل بإمامة الجامع الكبير بالرياض والتدريس فيه ويعترف ابن باز بفضله فيقول : أدركته وقد كبر سنه ، ورقّ عظمه ، وقرأت عليه في الحديث والعقيدة . له عدة مؤلفات ، منها : "حجة التحريض في تحريم الذبح للمريض"، "عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية"، "نيل المراد بنظم متن الزاد"،"نظم المفاتيح لابن القيم" وغير ذلك[٢] .

- حمد بن فارس بن محمد آل فارس (١٢٦٣-١٣٤٥هـ) أنحى أهل نجد في زمانه ، له اطلاع واسع في علوم الفلك والحساب والأوقات والبروج والمنازل . عيَّنه الإمام عبد الله الفيصل آل سعود أمين بيت المال ، ثم مديراً عاماً لأوقاف آل سعود ، وكان مع ذلك يدَرس في مسجد الإمام عبد الله بن محمد عبد الوهاب بالرياض .

٤ - الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ (ت١٣٧٢هـ) مفتي الملك عبد العزيز ومرفقه في غزواته ، ثم أصبح قاضي الرياض لمشاكل الحاضرة ، وكان يدَرس في مسجد الشيخ عبد الرحمن بن حسن .

٥ - سعد بن وقاص البخاري ، من علماء مكة المكرمة ، المعروفين بسلامة المعتقد ، وحسن التعليم ، وإتقان التجويد .

٦ - محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٣١١-١٣٨٩هـ) نشأ نشأة علمية على يد أبيه ، ولازم علماء الرياض الشيخ سعد بن عتيق ، والشيخ حمد بن فارس ، والشيخ عبد الله بن راشد [٣] .

تولى المناصب الدينية والعلمية وصعد فيها وأدارها باقتدار وحكمة حتى صار مفتياً للمملكة العربية السعودية ، فمنها : رئاسة القضاة ، رئاسة الكليات والمعاهد العلمية ، رئاسة الجامعة الإسلامية ، رئاسة دور الأيتام ، الإشراف العام على رئاسة تعليم البنات ،

---

(١) النجدي ، عبد الرحمن بن محمد . الدرر السنية في الأجوبة النجدية . ط٦ ، (١٤١٧هـ) ، ج١٦/ ص٤٥٣_ص٤٥٤ .

(٢) الرحمة ، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ص٩٧_ ص٩٩ .

(٣) النجدي ، مرجع سابق ، ج١٦/ص٤٧٥ .

وغيرها . وقد كان ابن باز يجلّه كثيراً ويذكره بالخير ، ولا يملك نفسه عن البكاء إذا ذكره وفاءً وحباً له [١] .

وبلغت رسائله وفتاواه (١٣) جزءاً مرتبة ترتيباً جيداً . وله أثر كبير في التعليم وحسن التأسيس له ، والحرص على تعلم الناس دينهم الذي لا نجاة لهم إلاّ به [٢].

وأما شيوخ ابن باز من الكتب فقد تتلمذ -رحمه الله- على كتب شيخ الإسلام ابن تيميه ومؤلفات الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ، وكان قد استوعب كتاب الله حفظاً ومعناً ، وكذلك بعض كتب السنة النبوية ، وغيرها كثير .

تلاميذه :

لقد قضى ابن باز – يرحمه الله – أكثر من ستين سنة في مجال التربية والتعليم ، لذلك فقد تتلمذ على يده الآلاف من طلبة العلم ؛ من مختلف مناطق المملكة العربية السعودية وغيرها من دول العالم الإسلامي . وعند ذكر طلابه وعدهم فإنه لا يقتصر فيه على طلابه في المعهد العلمي أو كلية الشريعة بالرياض أو الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بل إن كل من تتلمذ على يد الشيخ في المسجد أو من خلال الاستماع إلى محاضراته العلمية عبر الأشرطة المسجلة فهو من طلابه ، لذلك فهم متفرقون : في الدّلم والرياض والمدينة المنورة ومكة والطائف وغيرها ومن خارج المملكة : من مصر والشام وتركيا والسودان واليمن والمغرب والجزائر والكويت والعراق والهند وباكستان وغيرها في العالم العربي والإسلامي ، ولهذا الأمر لا يمكن حصرهم ، ولكن للتمثيل سيُذكر أشهرهم ، فمنهم :

١ – الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ، عضو هيئة كبار العلماء ، والمفتي العام للمملكة العربية السعودية – حالياً – وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، وعضو اللجنة الخماسية ، وخطيب مسجد نمرة ، وإمام وخطيب جامع "الأمير تركي بن عبد الله" .

---

(١) الرحمة ، مرجع سابق ، ص١١٢ ــ ص١١٦ .

(٢) الرويشد ، مرجع سابق ، ص٤٠٥ ــ ص٤٠٦ .

٢ – الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، رئيس المجلس الأعلى للقضاء ، وعضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الخماسية الثقافية ، له دروس دينية في المسجد الحرام .

٣ – الشيخ محمد بن صالح العثيمين –يرحمه الله– عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، وعضو هيئة التدريس في كلية الشريعة بعنيزة .

٤ – الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد العزيز السبيل ، عضو هيئة كبار العلماء ، إمام وخطيب المسجد الحرام ، والرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي .

٥ – الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان ، عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، وعضو اللجنة الخماسية .

٦ – الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، وعضو هيئة كبار العلماء ، والأمين العام لرابطة العلم الإسلامي –حالياً .

٧ – الشيخ راشد بن صالح بن خنين المستشار بالديوان الملكي ، وأحد أعضاء هيئة كبار العلماء ، وقد كان من كُتَّاب الشيخ ابن باز .

٨ – الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود – يرحمه الله – عضو هيئة كبار العلماء ، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء سابقاً ، وإمام وخطيب جامع الملك عبد العزيز بالمربع .

٩ – الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري ، رئيس ديوان المظالم – سابقاً .

١٠ – الشيخ صالح بن فوزان آل فوزان ، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الخماسية الثقافية ، من أقوى العلماء في فهم العقيدة ، ولذا كان الشيخ ابن باز دائماً يحيل عليه مسائل العقيدة .

١١ – الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ، عضو الفتوى المتقاعد

بإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، وهو أقرب التلاميذ إلى شخصية أستاذه : الشيخ ابن باز – يرحمه الله .

١٢ – الشيخ عبد المحسن بن حمد العبَّاد ، نائب رئيس الجامعة الإسلامية – سابقاً – والمدرس بالمسجد النبوي ، له دروس علمية بالمسجد النبوي في علم الحديث ، يسمى "عالِم المدينة" .

١٣ – الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع ، نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سابقاً ثم قاضي التمييز بمكة ، وعضو هيئة كبار العلماء ، وعضو مجلس الأوقاف الأعلى .

١٤ – الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم ، عضو هيئة كبار العلماء ، وعضو الإفتاء ، وعضو هيئة التدريس بكلية الشريعة في الرياض ، له مقالات ومشاركات نافعة .

١٥ – الشيخ صالح بن غانم بن عبد الله السدلان ، الأستاذ بقسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة الإمام .

١٦ – الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم ، القاضي الشهير ، وهو من أحسن من لازَم الإمام ابن باز آخر حياته .

١٧ – د .عبد الله بن صالح القصيِّر ، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، والمستشار بوزارة الشئون الإسلامية .

١٨ – الشيخ صالح بن عبد العزيز العقيل ، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ثم الوكيل المساعد بوزارة العدل ، وهو من قدماء الملازمين للإمام ابن باز – رحمه الله .

١٩ – د . عمر بن سعود العيد ، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام ، ومن الدعاة إلى الله .

٢٠ – الشيخ عبد الله البريك ، الأستاذ بالكلية المتوسطة ، والداعية المشهور .

٢١ – الشيخ أحمد بن عبد العزيز بن باز ، المعيد بكلية الشريعة

بجامعة الإمام محمد بن سعود [١] .

٢٢ - عبد العزيز بن عبد الله السالم ، أمين عام مجلس الوزراء .

٢٣ - الشيخ سعد بن حمد بن سعد بن عتيق - يرحمه الله - عمل في معهد الإحساء العلمي ثم في المعهد العلمي في الأفلاج ، وقد كان مبرزاً في كثير من العلوم .

٢٤ - الشيخ محمد بن سليمان الأشقر العالم الأصولي ، له أعمال ومساهمات في الكويت ، منها : الموسوعة الفقهية التي أصدرتها وزارة الشئون الإسلامية ، وكتاب زبدة التفسير عن فتح القدير ، وغيرها .

٢٥ - الشيخ عطية بن محمد سالم - يرحمه الله - القاضي بمحكمة المدينة المنورة ، والمدرس بالمسجد النبوي .

٢٦ - الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم ، رئيس محاكم المدينة المنورة - سابقاً - وعضو المجلس الأعلى للقضاء ، وإمام وخطيب المسجد النبوي .

٢٧ - الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ، المدرس بالمسجد النبوي ، وصاحب كتاب "أيسر التفاسير" .

٢٨ - الشيخ سعد بن محمد الفريّان ، عضو جماعة تحفيظ القرآن الكريم ، ورئيس تحرير مجلة الدعوة - سابقاً - يرحمه الله .

٢٩ - الشيخ عمر بن سليمان الأشقر ، صاحب المصنفات المشهورة في عقيدة أهل السنة والجماعة .

٣٠ - الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام للجامعة الإسلامية- سابقاً- والأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامية ، ثم أمينها العام ، بعد وفاة الشيخ ابن باز ، وهو صاحب الرحلات المتعددة إلى بلاد العالم الإسلامي .

٣١ - الشيخ سعد بن عِبد الرحمن الحصيّن ، مدير مركز الدعوة

---

(١) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٧٠ ـ ص٧٥ .

والإرشاد بعمّان ، له مؤلفات قيمة في نشر السنة والتوحيد .

٣٢ – الشيخ محمد بن المجذوب بن مصطفى – يرحمه الله – الأستاذ بالجامعة الإسلامية –سابقاً– له مؤلفات قيمة ، منها :"علماء ومفكرون عرفتهم" .

٣٣ – عبد الله بن حمود التويجري ، عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض ورئيس قسم السنة [1] .

٣٤ – الشيخ محمد بن عبد الله العديني ، من اليمن ، المدرس في مدرسة "ابن عباس" الابتدائية عند افتتاحها ، أنشأ كتّاباً لتحفيظ القرآن الكريم في العذار .

٣٥ – الشيخ محمود ياسين ، من فلسطين ، رشحه الشيخ ابن باز ليكون أول مدير للمدرسة السعودية الابتدائية "ابن عباس" .

٣٦ – الشيخ عبد الكريم الهرري ، من الحبشة [2] .

المناصب التي تقلدها ابن باز :

لقد تدرجت مسيرة الشيخ ابن باز مع العلم والعطاء خلال عدة محطات رئيسية جسد فيها القدوة الصالحة والمثال الحي للقاضي العادل والعالم المربي والإداري الناجح ، واكتسب كثيراً من الخبرات التي أضافت لشخصيته أبعاداً أكثر شمولية .

واعترافاً بفضل الشيخ وتقديراً لنشاطاته المتنوعة ، وتعدد جهوده فقد مُنح جائزة الملك فيصل العلمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٢هـ ، فكانت أسباب منحه الجائزة الخدمات الجليلة المتمثلة فيما يأتي كما نصت الجائزة [3] :

١ – تنوع نشاطاته في ميادين الدعوة إلى الله ، ومثابرته على

(١) الرحمة ، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ص١١٧ـ ص١٥٠ .

(٢) البرّاك ، مرجع سابق ، ص٦١ ـ ص٦٢ .

(٣) البكران ، وآخرون ، فهد . ابن باز .. الداعية الإنسان . المملكة العربية السعودية / جدة : مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ، (د . ت) ، ص١٣٣ .

الجهاد والنضال ، والعمل الصالح في هذا العصر .

٢ – التزامه بالإسلام التزاماً عملياً في فكره وسلوكه ، ومنهجه في الحياة ودعوته إلى ذلك .

٣ – إسهاماته القيمة في مجالات البحوث والدراسات ، وفي حقل التعليم الإسلامي ، ونشر الكتاب الإسلامي بمختلف أنواعه وتعميم توزيعه في أطراف العالم ، حتى غدا علماً بارزاً من أعلام الثقافة الإسلامية .

٤ – حرصه على إيجاد الحلول المناسبة لقضايا الإسلام والمسلين في مختلف الديار والأصقاع .

٥ – دعمه لحركات الجهاد الإسلامي في كل بقاع العالم .

٦ – مساندته المشاريع الإسلامية ، وحث العلماء والأشخاص والهيئات على مساعدتها والمشاركة بها .

ولأن الشيخ رحمه الله لم تشغله الدنيا بما فيها فقد أهدى هذه الجائزة إلى دار الحديث الخيرية الأهلية المكية ، معونة لها في خدمة الإسلام والمسلمي – فرحم الله هذا الإمام وأسكنه فسيح جناته .

وفيما يلي عرضاً موجزاً للوظائف والمهام التي قام بها رحمه الله :

١ . قضاء الخرج ، وقد تولاه وهو في السابعة والعشرون من عمره ، وذلك عام ١٣٥٧-١٣٧١هـ .

٢ . التدريس في المعهد العلمي بالرياض ، وذلك عام ١٣٧٢-١٣٧٣هـ .

٣ . التدريس في كلية الشريعة بالرياض ، وذلك عام ١٣٧٣-١٣٨٠هـ .

٤ . نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وذلك عام ١٣٨١-١٣٩٠هـ .

٥ . رئاسة الجامعة الإسلامية بعد وفاة رئيسها ، وذلك عام ١٣٩٠-

١٣٩٥هـ .

٦ . الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة وزير ، وذلك عام ١٣٩٥-١٤٢١هـ .

هذا بالإضافة إلى جانب تولّيه رئاسة وعضوية كثير من المجالس والهيئات العلمية والإسلامية منها :

١. عضوية هيئة كبار العلماء في المملكة .

٢. رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في هيئة كبار العلماء .

٣. رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

٤. رئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد التابع للرابطة .

٥. رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع للرابطة أيضاً .

٦. عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

٧. عضوية الهيئة العلياء للدعوة الإسلامية .

٨. عضوية المجلس الاستشاري للندوة العالمية للشباب الإسلامي .

٩. عضوية الصندوق الدائم للتنمية الشبابية .

كما تولى سماحته رئاسة العديد من المؤتمرات العالمية التي عُقدت بالمملكة ، ومهدت له ويسرت أمامه سبل الاتصال بالكثير من الدعاة ورجال وزعماء التجمعات الإسلامية والشخصيات البارزة في حقل الدعوة الإسلامية وهموم وقضايا المسلمين في كل أنحاء العالم[1] .

سماته الخُلقية :

لقد تمتع ابن باز -رحمه الله- بجميل الصفات وكريم الأخلاق ، فكان القدوة لطلابه ومعارفه والناس جميعاً . فمن يعرفه يربط بينه وبين أخلاق الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ومن بعده من السلف الصالح . هذا بالرغم مما وصل إليه من مكانة

---

(١) البكران ، مرجع سابق ، ص٢٧ ــ ص٢٨ .

علمية واجتماعية وعالمية إلاّ أنه لم يزل العالم الجليل الفاضل ، صاحب الخلق الحسن والصفات الجمة الرفيعة ، وهو لذلك ، ولشهرته العالمية لا يحتاج إلى دلالة على كريم خلق أو إشارة إلى عظيم مناقب ، فمناقبه العظيمة كثيرة وليس هذا مجال بسطها والاستمتاع برصدها ، ولكن ستُسجل بعضها للتذكير بها ، وتحقيق أكبر قدر من الموضوعية في هذه الدراسة .

١ - الزهد

لقد أدرك ابن باز المقصود من قول الله تعالى :{ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ}[١]، فباع دنياه بآخر ته ، وامتثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ازهد في الدنيا يحبُّك الله ، وازْهَدْ فيما في أيدي الناسِ يحبُّوك)[٢] .

فترك -رحمه الله- الدنيا و لم يلقِ لها بالاً ، رغم خضوعها له بكل زينتها ومباهجها ، فكان متواضعاً في ملبسه ومسكنه ، وأغراضه كلها .

- فأثاث مكتبه ومنـزله أثاثٌ عاديٌّ ومتواضعٌ إلى أبعد مدى ، ولقد كان يأتي إليه كثير من الوجهاء والأمراء فيعرضون عليه تجديد الأثاث وتغيير المتاع وتحسين الوضع ، وكان لا ينظر إلى ذلك . وعندما زاره الملك فيصل -رحمه الله- في المدينة المنورة ؛ أمر ببناء قصر له يتوافق مع مكانته العلمية والدينية والاجتماعية . . فرفض الشيخ ابن باز أن يُسجلَ باسمه ، وقال يبقى القصر باسم رئيس الجامعة الإسلامية ، كل من تولى رئاسة الجامعة فالقصر سكن له[٣] .

- ولما وهبته الحكومة أرضاً عظيمة في أغلى المواقع على طريق العزيزية بمكة لم يرغب دخولها في حسابه الخاص ، بل اختار ، أن تكون مسجداً جامعاً كبيراً بكامل

---

(١) سورة الحديد ، آية (٢٠) .

(٢) ابن ماجه ، سنن ابن ماجه . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج٢ ، لبنان / بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (١٣٩٥هـ) ، رقم الحديث (٤١٠٢٠) ، ج٢/ص١٣٧٤ .

(٣) الزهراني ، ناصر بن مسفر . إمام العصر سماحة الشيخ العلامة الإمام عبد العزيز بن باز . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مؤسسة الجريسي ، (١٤٢٠هـ) ، ص٩٠ .

خدماته قِبلة بيته المتواضع – المستأجر – في مكة [١] .

– وموقفه عندما حصل على جائزة الملك فيصل – لعلمه وخدمته الإسلام والمسلمين – لهو أبلغ مثال في الزهد والاستعلاء على حطام الدنيا .

٢ ـ الكرم

الكرم من صفات الله ، فاسمه جلّ وعلا : الكريم ، وأكرم الناس وأجودهم رسوله صلى الله عليه وسلم ، الذي كان ينفق كمن لا يخاف الفقر ، والكرماء قد بشرهم الله تبارك وتعالى بالأمن يوم القيامة ؛ لا يخافون يوم يخاف الناس في ذلك اليوم ، ولا يحزنون آنذاك ، قال تعالى : { الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ }[٢]، ولم يغفل الشيخ ابن باز هذا الهدي المستقيم ، فكان منذ صباه يدعو إلى طعام أهله كل من يلقاه من الرفاق ، وذلك رغم قصور الحال في ذلك الوقت ، ولكنه تتطبع بالكرم فأصبح من سجاياه ، فهو حاتم الطائي في عصره ، ولم يقتصر كرمه –رحمه الله– على الطعام ، بل شمل كل ما يحتاجه الناس : كرم الضيافة في كل وقت ، وكرم في العطاء لكل سائل ، وفي التوجيه والإرشاد ، وفي التربية والتعليم ، وفي خدمة الإسلام والمسلمين والدعوة والدعاة . . هذا هو الكرم بعينه ، ليس فيه إسراف ولا تكلف .

لقد تعدى كرم ابن باز –يرحمه الله– إلى أبعد ما يكون على هذه الأرض .

– وصل إلى غابات أفريقيا ، حيث المرأة الأفريقية التي اشتكت ضيق حالها ، فقيل لها : ليس لك بعد الله إلا ابن باز ، فكتبت إليه ، تسأله . . فأرسل إليها مبلغ بعشرة آلاف ريال لتسد به حاجتها [٣] .

وكرم الشيخ يتمثل في عدة أمور :

أولاً : عطاءه المستمر للفقراء والمحتاجين والمساكين فهو لا يرد طلباً ، وقد وفد عليه

---

(١) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٧٤) .

(٣) الزهراني ، مرجع سابق ، ص١٤٣ .

أحد المجاهدين يطلب مالاً ، فلم يجد الشيخ ما يعطيه إلا غرضاً خاصاً له ؛ باعه وأعطاه قيمته في سبيل الله ﷻ .

ثانياً : كونه لا يدنو وحده إلى طعام ، ولا يأكل منفرداً وحيداً ، وإنما يدعو إليه الناس[١]، دعوة عامة لكل من يلقاه بدون استثناء .

وقد حدث أن سافر الشيخ إلى مكة كعادته في الصيف ، ولم يفد إليه الضيوف والفقراء في الأيام الأولى . . فتألم الشيخ لذلك ، وقال للعاملين معه : ما بال الناس لا يأتون ؟! هل أنتم تعتذرون من أحد ؟ أو تغلقون الأبواب في وجوه الناس أم . .؟ فقالوا : يا شيخ كثير منهم لم يعلم بوصولك فقال : اذهبوا وأخبروا الناس وقولوا لهم : الشيخ يدعوكم وبيته مفتوح لكم ! [٢] .

كان ذلك دأبه -رحمه الله- في أيامه كلها ، بل كان يتلذذ بالعطاء أكثر من تلذذه بالأخذ ، أُهدي إليه مرة عود فاخر ، فسأله أحدهم إياها ، فقدَّمها الشيخ له[٣] . وطلب منه تلميذه هدية يتذكره بها ، فما كان من الشيخ إلاّ أن خلع عباءته وأعطاه إياها ، وقال : خذ هذا هديتك مني ! .

٣ـ التواضع

صفة التواضع من ألزم صفات العلماء ، وقد تخلق بها ابن باز -رحمه الله- فظهرت على مظهره ، وكان يتعامل بها مع الصغير والكبير ، والبسيط والعظيم ، يتعامل مع الناس كلهم ببساطة تامة ، لا يعلوها تكلف أو ترفع على أحد ، وكان -رحمه الله- متواضعاً في ثوبه وتزينه للناس يلبس مما يلبسون ، ولا يتكلف في ذلك ولا يسرف ، كما أنه لا يظهر لهم بما لا يليق . . وكان في مشيته تواضع بالغ ، فهو إذا مشى على الأرض كان هوناً ، وكان يدب دبيباً مع سكينة ووقار .

---

(١) القرني ، مرجع سابق ، ص٣٩ ــ ص٤٠ .

(٢) الزهراني ، مرجع سابق ، ص١٠٠ .

(٣) المطر ، حمود بن عبد الله . مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز ين باز . ط١، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الوطن للنشر ، (١٤٢٠هـ) ، ص٢١٨ .

وبالرغم من علو مكانته العلمية والوظيفية -رحمه الله- إلا أنه لم يغتر بها ، بل زادته تواضعاً ورحمة ، فلا يرى نفسه إلا كأي أحد من الناس ، يجلس مع عامة الناس ، ويأكل مع الفقراء والمساكين ، ولا يتحرج أن يسمع من الكبير والصغير .. ولهذا وبه أحبه عامة الناس قبل خواصهم ، وبهذا علا ذكره بين الورى ، وعرفه الأعجمي قبل العربي ، فحقاً من تواضع لله رفعه الله .

"جاءه بعض الناس فقال له : يا سماحة الشيخ ، بعض الفضلاء يرون أنك إذا جلست مع الناس وقت الغداء والعشاء وغيرها ؛ أنه يجلس معك العاملون والموظفون والعرب والعجم والفقراء ودهماء الناس ، وأن في هذا حرج لبعض كبار الضيوف والزوّار ، فنحن لا نقترح عليك ترك إطعام الناس وفتح المنزل لهم ، ولكن ليكن لهم مجلس خاص ، ومكان خاص لأكلهم وشربهم ، وأنت وخواص ضيوفك يوضع طعامكم في مكان خاص ، فتغير وجه الشيخ من هذه المقولة ، وقال : مسكين ! مسكين صاحب هذا الرأي! هذا لم يتلذذ بالجلوس مع المساكين ، والأكل مع الفقراء ، أنا سأستمر على هذا ، وليس عندي خصوصيات ، والذي يستطيع أن يجلس معي أنا وهؤلاء الفقراء والمساكين يجلس ، والذي لا يعجبه وتأبى نفسه فليس مجبوراً على ذلك"[1] .

ومن تواضعه -رحمه الله- كان يلبي دعوة طلابه في حفلات الزواج الخاصة بهم ، ويبارك لهم ، ويتوج حضوره بتفسير بعض آي الذكر الحكيم .

٤ ـ الصدق

الصدق دليل إلى البر وهو يقود صاحبه إلى الجنة كما قال الرسول ﷺ : (إنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليَصْدُق حتى يكتب صِدِّيقاً) [2] .

لقد حاز ابن باز على ثقة الناس ومحبتهم لشخصه ، فهو يبلِّغ العلم والدعوة عن ربه سبحانه وتعالى وعن رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وهم يعلمون أنه الصادق في قوله وعمله ، فلما يكذب وهو لا يخشى إلاّ الله ، ويعلمون أنه العالم الربانيّ الذي يهمه الإسلام وتحقيق مصالح المسلمين ، وغاية صدقه رضا الله ﷻ .

(١) الزهراني ، مرجع سابق ، ص٩٣ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٠٧٩) ، ص١١١٠ .

وفي هذا يقول الشتوي : كان -رحمه الله- لا يرضى بديلاً عن الصدق والوضوح والصراحة ، مهما كان الأمر ، ولهذا رزقه الله بكونه"صادقاً " أن يكون "مصدَّقاً "، فلا أظن أن أحداً من الناس عرفه أو خالطه أو شاركه في علم أو عمل ؛ إلا صدَّقه فيما قال ، ولا أخبر بخبر أو أفتى بحكم إلا صدَّقه الناس فيما يقول -رحمه الله- ، وهذه أول أبواب القبول الذي رزقه الله إياه (١) .

٥ ـ الحلم وسعة الصدر

الحلم من الصفات التي يحبها الله ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وهي من صفات الأنبياء والرسل ومن تخلق بأخلاقهم من الصالحين ، وقد اتصف بها ابن باز وكانت من الصفات الملازمة له ، والتي امتلك بها قلوب محبيه ، ووسع بها صدره لهم جميعاً .

وبالحلم يتحمَّل الإنسان أذى الآخرين ، وبه يملك نفسه عند الغضب ، فلا يقابل السيئة بمثلها ولا يسيء إن أساء الناس ، بل يقابل بالحسنة السيئة فيعفو ويصفح ويكرم المسيء قال تعالى :{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً}(٢) ، وقد بلغ حلم الشيخ ابن باز هذا المبلغ الكريم .

يذكر البراك فيقول : دخل على الشيخ وهو في مجلس القضاء في الدِّلم : رجل كثير السِّباب ، فسبَّ الشيخ وشتمه ، والشيخ لا يرد عليه . . وعندما سافر الشيخ إلى الحج توفي هذا الرجل ، فلم يصل عليه إمام المسجد آنذاك الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن هلال ، وقال : لا أصلي على شخص يشتم الشيخ ابن باز ، بل صلوا عليه أنتم ؛ فلما عاد الشيخ ابن باز من الحج وأُخبر بموت ذلك الرجل ، ترَّحم عليه . . وقال دلوني على قبره فصلى عليه ودعا له(٣) .

---

(١) الشتوي ، مرجع السابق ، ص٣١ .

(٢) سورة الفرقان ، آية (٦٣) .

(٣) البراك ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

وقد وهبه الله من الحلم الكثير مما يسع صدرهُ الجاهلَ الكاذب ، فيغمره بعطفه ، رغم ما يعلمه فيه من سوء الخلق . وفي هذا يروي الزهراني (١٤٢٠هـ) مثالاً بالغاً فيقول :

"جاء شخص وحرص على مقابلة الشيخ على انفراد ، وكان الشيخ في جلسته المعتادة للناس بعد المغرب ، فقال الشيخ : ليحضر الرجل ، فجاء وقال : إنني رأيت رؤيا وحُلُماً . . رأيت الرسول ﷺ ، فقلت له : يا رسول الله إن عندي مشكلة ، فقال أرسلها للشيخ ابن باز ويحلّها لك ، فقال الشيخ : أكتب لنا هذه المشكلة ، ثم ما هي هذه المشكلة ، فقال ذلك الرجل : إن مشكلتي أنني ليس عندي إقامة وأريد إقامة ، وأريد أن أبحث عن عمل ، فضحك الشيخ – رحمه الله – ومع ذلك قال الشيخ : ابحث عمن يزكيك تخشى أنك لم تر الرسول ﷺ حقيقة ، فلم يرده رغم كذبه وخداعه و لم يطرده من مجلسه" [1] .

ويروي أيضاً قصة من أبدع القصص في هذا المجال ، وحادثة من أمتع الحوادث التي تدل على سمو خلق الشيخ وسلامة صدره ، وروعة أدبه ، فيقول :

"كان أحد المشايخ من طلاب الشيخ ، والمتتلمذين عليه والعاملين معه . . وفي يوم من الأيام كتب له كتاباً قاسياً ملأه بالعبارات القاسية ، والكلمات الفظّة ، وقال : أنت لم تعد تهتم بيّ ، وأنت تقدم غيري عليّ ، وأنا ظلمت معك ، والناس ينتظرون فيك العدالة ، وسأقف أنا وأنت بين يدي الله ، لقد عملت معك مدة طويلة فلم أحصل على ترقية وتحسين لمستواي الوظيفي . . فلم قُرأت الرسالة على الشيخ تبسم وقال : الله يسامحه ، لقد أحسست بهذه الجفوة فيه ، وشعرت أن في نفسه شيئاً عليَّ ، وأمر كاتبه أن يكتب : من عبد العزيز بن عبد الله إلى حضرة الابن فلان بن فلان حفظه الله وبارك فيه ، أما بعد ، فوالله إنك من أحب الناس إلى قلبي ، وأنا ليس في نفسي عليك شيء ، أما بالنسبة لموضوعك فأنت لم تكلمني فيه أبداً ، ولكن أرجو منك أن تغير خطابك هذا بخطاب آخر تشرح فيه موضوعك وننظر في الأمر – إن شاء الله – ونجتهد فيه ، ثم دعا له بالتوفيق والفلاح" [2] .

---

(١) الزهراني ، مرجع سابق ، ص١١٨ ــ ص١١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص١١٩ .

٦- الشجاعة

لقد ضرب ابن باز للشجاعة في الحق أروع الأمثال ، فكان لا يخشى في الله لومة لائم ، يبلغ الحق ولو كان إلى سلطان جائر ، لا يداهن في الحق أحداً ، ولا يجامل فيه شيئاً ، وكانت تُكتب له الشكاوى ، فيرفع الظلم عن أصحابها بقدر ما أوتي من سلطان ، وكان يتتبع أحوال العالم الإسلامي ويثني على المعروف منها ، ويقوم المعوجّ ، وينكر الباطل ويبيّن وجه بطلانه بحكمة ، وكانت تقرأ عليه الكتب والمقالات فإن علم انحرافها عن الجادة اندفع يرد على أصحابها بكل ثقة وقوة ، هدفه في ذلك بيان الحق للناس وإزالة المنكر وكل ما يشوه حقائق الدين الإسلامي الحنيف .

وقد كانت شجاعته -رحمه الله- نابعة من إحساسه بالمسئولية وتحمله الأمانة ، فلا يرتاح باله ، ولا تستقر حاله ، ولا تهدأ نفسه ، ولا تغمض عينه ؛ حتى يؤدي ما يقدر عليه من المواجهة والمكافحة ، بكل قوة وشدة بأس .

وله أمثلة كثيرة تجسد شجاعته في الرأي والاجتهاد ، وفي النصح والإرشاد ، منها : موقفه من الحاكم المصري جمال عبد الناصر ، حين أصدر الحكم بإعدام الداعية الإسلامي الشهير سيد قطب ، فقد كتب برقية شديدة يخوفه فيها بالله ، ويهدده بعواقب قتله له ، ثم ختمها بالآية العظيمة :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً}[1] . وكذلك موقفه من الحاكم التونسي " أبو رقيبة " حين طعن في الشريعة ، واعتدى على المسلمين . وكذلك موقفه من الحاكم الليبي ، الذي رد السنة النبوية وحارب القرآن ، ووضع كتابه الأخضر . وموقفه من الحاكم " الخميني " ، و"صدام حسين" [2] .

لقد صوَّر -رحمه الله- مثال الشخصية المؤمنة ، والعالم الرباني ، والداعية الناجح والإنسان الصالح المتزن . . لقد صوَّر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه السمحة . .

---

(١) سورة النساء ، آية (٩٣) .

(٢) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٣٥ ــ ص٣٧ .

لقد صوَّرها بما كان يتصف به من كريم الخلق وعظيم السجايا .

وفاة الشيخ :

توفي الشيخ ابن باز – يرحمه الله – في يوم الخميس الموافق ١٤١٩/١/٢٧هـ ، أثر أزمة قلبية تضاعفت عليه في الساعة الثالثة صباحاً . بعد عمر حافل بالصالحات ، خدم بها الإسلام والمسلمين في أكثر بقاع الأرض . ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة بعد أن صُلي عليه بعد صلاة الجمعة ١٤١٩/١/٢٨هـ . توفي بعد أن جلس مع الناس واستمع إليهم ، وباشر المعاملات والفتاوى وكان –رحمه الله– يمارس عمله اليومي بجد ونشاط ولم يُلحظ عليه شيء من المرض ، وتوفي بعد أن جلس مع أسرته آخر الليل ، وتوفي وهو يذكر الله ؛ فكان أخر مجلس له مع الناس ومع الأهل ومع الدنيا بما فيها –رحمه الله وأسكنه فسيح جناته– ودع الدنيا بمثل ما استقبلها به ؛ عمل دءوب ، ونشاط لا يفتر .

ومن حرصه على نفع الناس فقد أوصى رحمه الله :

١ – أن تُوقف مكتبته بالرياض لتكون بمكة ، بجوار مسجده .

٢ – مكتبة البيت في كل من مكة والطائف تُسلم لمكتبة هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة .

٣ – أن يتولى ابنه الشيخ أحمد والدكتور محمد الشويعر جمع وتنظيم تعليقاته وتحشيته على سائر كتبه ومن ثم إخراجها بالطريقة المناسبة ، وذلك ليتسنى للناس الانتفاع بها [(١)] .

وقصارى القول ، فكل ما سُطر سابقاً ما هو إلاّ نفحات قليلة زُينت بها هذه الرسالة وقد دُونت من قبل في تاريخ حافل مجيد ، عاصر حياة الشيخ ابن باز . فرحمك الله يا ابن باز وأسكنك فسيح جناته .

---

(١) الشويعر ، محمد بن سعد . من مشاهير علمائنا . المملكة العربية السعودية / الطائف : دار الحارثي ، (١٤٢١هـ) ، ص٦٧ ـ ص٦٨ .

المبحث الثاني
العوامل المؤثرة في فكر الشيخ ابن باز

تمهيد

لا تخلو أي دراسة علمية لأحد الرواد والمفكرين من الدراسة التاريخية للبيئة المحيطة والعوامل المؤثرة في الشخصية والثقافة والفكر . والشيخ ابن باز عاش ثلاث فترات مهمة من الزمن : فترة ما قبل بناء الدولة السعودية ، وكان آنذاك طفلاً ، فعاصرت طفولته كل ما كان عليه الناس وقتئذ خاصة أهل نجد الذين عاشوا بحكم طبيعة بيئتهم في شبه عزلة عن العالم الخارجي .

والفترة الثانية : فترة قيام الدولة السعودية وتوحيد أرجائها على يد الملك عبد العزيز آل سعود وكانت هذه الحقبة من الزمن فترة شباب الشيخ ابن باز وبداية مشواره العلمي .

والفترة الثالثة : كانت في نهضة الدولة السعودية وازدهارها ، وقد قضى فيها الشيخ ابن باز حياته الباقية .

لقد سجل تاريخ ابن باز جزءٌ كبير من تاريخ الدولة السعودية وكذلك من تاريخ العالم الإسلامي . وفيما يلي عرض أهم العوامل المؤثرة في حياة الشيخ ابن باز والتي شكّلت أفكاره ورسمت منظومته التربوية .

أولاً ــ العوامل السياسية

المملكة العربية السعودية قلب العالم ، وموقعها الجغرافي أكسبها مركزاً سياسياً بين الدول ، وهي عملاق شبه الجزيرة العربية ولا منازع ، إذ تستأثر بالنصيب الأوفى من الأرض أي (٨٠) في المائة من مساحتها ، وهي تجمع بين حناياها ألواناً شتى من الأرض ، وألواناً شتى من الناس . لها ساحلان طويلان : الخليج العربي ، وهو منفذ لها إلى الشرق ، ومدخل لحضارته في نفس الوقت . وساحل البحر الأحمر ، منفذ لها إلى الغرب ومدخل

أيضاً لأفكاره وثقافاته [١] .

ولذلك لم تكن الحياة السياسية في شبه الجزيرة العربية – قبل توحيدها – حياة مستقرة ، بل لقد دامت فيها الحروب والفتن ؛ الحروب الداخلية والقبلية بين القبائل والمناطق ، وكذلك الحروب الخارجية من بعض الدول المجاورة العربية ، بالإضافة إلى هيمنة الأتراك وتنافس الدول الأوربية الكبرى على احتلال المنطقة :

"فروسيا تريد الوصول إلى المياه الدافئة وإلى الخليج خاصة ، إما عن طريق التوغل الاقتصادي ومن ثَم السياسي في إيران حتى تطل على الخليج ، وإما إقامة قواعد لأساطيلها التجارية والحربية . وفرنسا تريد أيضاً تعزيز وجودها المحدود في الخليج والمتمثل في محطة فحم في عمان بالإضافة إلى مطامعها في سوريا . وألمانيا تريد السيطرة الاقتصادية على الدولة العثمانية عن طريق فتح أسواقها لمنتجاتها ، والحصول على الموارد الأولية بأسعار رخيصة وما يتبع ذلك من إعفاءات وتسهيلات جمركية ونحوها ، بل ربما الوصول إلى الهند في نهاية الأمر ، والطريق إلى ذلك هو الخليج . أما بريطانيا فكانت تريد المحافظة على الأوضاع التي كانت قائمة إبان تفردها بالهيمنة على الدولة العثمانية معظم القرن التاسع عشر . ولكن ألمانيا بأوضاعها الجديدة لا تريد استمرار هذا الوضع " [٢] .

وبشكل عام كانت الأوضاع تمثل صراعاً شبه دائم على السلطة وكانت تزكيها الدسائس والفتن التي كانت تبثها بعض الدول الأجنبية كما كانت تعين بعض القبائل على بعض بالسلاح ؛ إحياءً لأسباب الفوضى وإشعالاً لنيران الحروب في هذا القطع من العالم ؛ وذلك كي تضمن انشغاله وإضعافه بهذه الصراعات ، ثم إحكام قبضتها وهيمنتها عليه بعد الخلافة الراشدة .

أما مقاصدهم الحربية فثلاثة :

أولاً : أن يعقدوا حبل الولاء بين الأمراء أحلافهم .

ثانياً : أن يحكموا نطاق الحصار ويشددوه على العدو من الجهات العربية كلها .

---

(١) أبو العلا ، محمود طه . جغرافية شبه جزيرة العرب . ط٢ ، مصر / القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، (١٩٧٢م) ، ج٢/ص٩ .

(٢) الغنام ، سليمان بن محمد . البيئة السياسية الإقليمية والدولية في شبه الجزيرة العربية إبان نهوض الملك عبد العزيز لتأسيس الدولة الحديثة . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة العبيكان ، (١٤٢٠هـ) ، ص٤٣ ـ ص٤٤ .

ثالثاً : أن يستخدموا ما عند كل أمير من قوى القتال ، ويضيفوا ما أمكنهم إليها في سبيل النصر[١] .

إن المناطق التي تكونت منها المملكة العربية السعودية كانت تتكوَّن من عدة وحدات ، كل وحدة مستقلة عن الأخرى في كل شيء ، والصفة المشتركة بين هذه الوحدات هي الغزو والسلب وقطع الطريق ثم القتل والثأر والانتقام . . وما نعمت هذه الجزيرة بالأمن والاستقرار بعد سقوط دولة الإسلام إلا بعد ظهور الدعوة الإصلاحية في عهد آل سعود لحكمهم بالشريعة الإسلامية .

١ . لقد تأثر الشيخ ابن باز تأثيراً بالغاً بحالة البلاد السياسية وما كانت عليه في أول الأمر من الفوضى والتشتت والانقسامات والحروب . فلمس عن قرب ما تحدثه هذه الاضطرابات في الشعوب ، لذلك كان دائماً يدعو في مواعظه ودروسه دعوة المربي المشفق إلى الوحدة والتماسك وضرورة اجتماع الأمة الإسلامية .

٢ . أثَّر الجو الأمني المضطرب على طلب العلم آنذاك ، وبحكم هذا الاضطراب تمركز العلماء كلٌّ في بلده ، و لم يرحلوا إلاّ نادراً لطلب العلم ، ومن هؤلاء علماء نجد ، ومنهم شيوخ ابن باز الذين تأثر بهم وبفكرهم وتوجهاتهم .

وقد حرص الملك عبد العزيز – رحمه الله – على تطبيق الشريعة الإسلامية وإرساء المبادئ السياسية منها ، حتى أصبحت هي الدستور المتبع في قوانين الدولة وعلاقاتها السياسية .

٣ . كان تحكيم الشريعة الإسلامية وجعلها الدستور الشرعي للمملكة ، إن الدواعي الكبيرة والمؤثرة على فكر الشيخ ابن باز ، لاسيما وهو يرى هذا الأمر واقعاً أمامه ، فكثيراً ما اهتم بشرح أحكام الشريعة وتفصيلاتها ، واستنباط الأحكام التشريعية للمستجدات . فهذا حقٌّ ما كان يشغل فكر الشيخ واحتوى حياته كلها ، بل وكان كثيراً ما يحث الناس والعلماء وولاة الأمر خارج البلاد وداخلها بضرورة الرجوع إلى الشريعة الإسلامية وتحكيمها وبيان محاسنها .

---

(١) الريحاني ، أمين . تاريخ نجد وملحقاته . دار الريحاني للطباعة ،(د . ت) ، ص٢٣٧ .

قال تعالى : { الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }(١)، ومن أجل خلق مجتمع فاضل لا بد من القضاء على المفاسد في أوكارها حتى يدرأ خطرها ، وهذا ما جعل الملك عبد العزيز يؤسس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحدد وظائفها ، فأنشأ مخافر ومراكز الهيئة في معظم مدن وقرى المملكة ، وكان يأمر بتوزيع المنشورات والبلاغات داعياً الناس إلى التمسك بالدين في جميع شئوهم وتعاملاتهم ، وكان يأمر بإحالة جميع الخصومات والخلافات سواء كانت فردية أم قبلية إلى المحاكم التي أقامها في المدن والقرى بصورة دائمة .

فكانت رئاسة القضاء من أوائل الدوائر التي تشكلت في الحجاز بعد انتهاء الحرب فيها عام ١٣٤٤هـ ، وتلي هذا إنشاء المحاكم بأنواعها وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوسع في إرسال المرشدين إلى الهجر والقرى(٢) .

٤ . النظام القضائي السائد في المملكة كان له أثر بالغ في فكر الشيخ وتوجهاته ، فالنظام قائم على احترام القاضي واستقلاله بالحكم على الأمور بما تحكم به الشريعة الإسلامية ، وتحمله المسؤولية ، والإصلاح في المجتمع . وهذا الأمر من شانه أن يقوي في القاضي الشعور بالمسئولية وتحمل الأمانة ، وهذا ما كان يشعر به الشيخ ابن باز –رحمه الله– فلم تكن وظيفة القضاء تقتصر على الحكم والفصل بين الناس ، بل كان يسعى في كل المجالات لإصلاح المجتمع .

هذا كان له أبلغ الأثر في استتباب الأمن واستقرار النظام ، وإصلاح المجتمع ، ونشر تعاليم الدين الحنيف . التي قضت بدورها على الفوضى والجرائم ، وأنشأت مجتمعاً محافظاً .

٥ . لقد كان من نهج ولاة الأمر في التعامل مع الشعب : سياسة الباب المفتوح ، القائمة على الشورى والتناصح . ومن أقوال الملك عبد العزيز :

---

(١) سورة الحج ، آية (٤١) .

(٢) العتيبي ، إبراهيم بن عويض التعلـي . الأمن في عهد الملك عبد العزيز . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، (١٤١٧هـ) ، ص١٥٤ ـ ص١٦٣ .

"إن على الشعب واجبات وعلى ولاة الأمور واجبات ، أما واجبات الشعب فهي الاستقامة ومراعاة ما يرضي الله ويصلح حالهم ، والتآلف والتآزر مع حكومتهم للعمل بما فيه رقي بلادهم وأمتهم . إن خدمة الشعب واجبة علينا ، لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا ، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص [(١)] .

وقد كان لنظام الشورى أبلغ الأثر في توثيق العلاقة بين العلماء وولاة الأمر ، والذي بدوره أدى إلى بسط آراء العلماء وأظهر شخصياتهم وقد كان الشيخ ابن باز على رأس هذه الكوكبة ، يشير برأيه ، ويدلي بفكره الثاقب ؛ إصلاحاً للأمة ونفعاً للمسلمين في كل أرجاء المعمورة .

ثانياً ــ العوامل الدينية

لقد كانت نجد معقل الدعوة السلفية ومنها انطلقت وفيها نجحت واستقرت ؛ لذلك فقد حافظ أهلها على معالم الدين الإسلامي الحنيف أكثر من غيرهم من مناطق شبه الجزيرة و لم تتعدد فيها المذاهب والفرق الإسلامية كالصوفية وغيرها

لذلك فقد كان المذهب الرسمي للحكومة هو المذهب السلفي . وأهل السنة في نجد يذهبون مذهب السلف الصالح على الإطلاق وفي الفروع يتبعون أقربها دليلاً غير مقيدين بأحد الأئمة وفي الاجتهاد يتبعون الإمام أحمد بن حنبل .

١ . لقد أدرك الشيخ ابن باز –يرحمه الله– بمعاصرته الفترة الانتقالية لتصحيح العقيدة في الدولة السعودية ، ما في الدين الإسلامي من نعمة فنشأ محباً للدين مستمسكاً بالقرآن الكريم وما صح من السنة النبوية ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم .

٢ . يبدو واضحاً تأثر الشيخ بالمذهب الحنبلي ، مذهب الدعوة السلفية وما بعدها ، ولكنه –رحمه الله– لا يقلد بل يجتهد ويرجِّح ، ويتبع الصحيح وإن خالف المذهب الحنبلي . أما الحجاز فكان فيه أتباع المذاهب الأربعة ، ويكثر في البادية أتباع الإمام الشافعي ، وفي حرب يكثر أتباع الإمام أبي حنيفة ، وفي المدن يكثر الأحناف أيضاً ، وفي الحرم المكي مقامات للمذاهب الأربعة ، وكانت الصلاة تقام في أوقاتها على

---

(١) الحقيل ، عبد الله بن حمد . توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة العبيكان ، (١٤٢٠هـ) ، ص١٢٥ .

المذاهب الأربعة وراء أئمة أربعة . وقد أبطلت هذه العادة منذ تأسست الحكومة الحاضرة وأصبح الإمام في الصلاة واحداً يتبعه الناس كلهم . وكان فيها أيضاً بقايا من الطرق الصوفية المختلفة : كالسنوسية والإدرسية والقادرية والكيلانية والبكطاشية ، وقد أبطلها قيام الحكومة الحاضرة . وفي الأحساء خليط من الشيعة الأمامية الاثنى عشرية والقرامطة [1] .

لكن نظراً لتطبيق نظام الحسبة في المملكة ، ونتيجة البعثات التعليمية والوعظية التي كان يرسلها الملك عبد العزيز - يرحمه الله - إلى المدن والقرى والهجر لتصحيح العقيدة وبيان المنهج القويم والتحذير من البدع والشركيات ؛ أن تغير مفهوم الناس عن الدين الإسلامي ، فاستقام ما انحرف منه ، وانتشرت السنة وأقبل الناس على الدين .

٣ . لقد أدرك الشيخ ابن باز أهمية الدعوة إلى الله والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكان يسعى بكل ما أوتي من قوة وسلطان لتحقيق هذا المبدأ . . لقد وجد فيه صلاح الأمة ونجاتها .

ثالثاً ـــ العوامل الاجتماعية

لقد أثرت الحياة السياسية في شبه الجزيرة العربية قبل عهد الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- على الحياة الاجتماعية ؛ فالتناحر السياسي بين المناطق ، وتعدد السلطات الحاكمة لها ، وانعزالها العام عن العالم الخارجي ، ما عدا بعض المناطق فيها كالحجاز و الأحساء بالإضافة إلى تأثير البيئة الطبيعية واقتصاديات المجتمع ؛ كل ذلك أثر على طبيعة المجتمع ونوعيته ، ونشاطاته وأسلوب حياته ، ومدى تطوره .

ولكن بمجمل القول : المجتمع الحجازي أكثر تطوراً في شتى مجالات الحياة من المجتمع النجدي الذي تغلُب عليه طبيعة التنقل وعدم الاستقرار ، اللّهمَّ إلاّ بعض الواحات التي يعتمد سكانها على الزراعة ولكنها شبه معزولة عن التيارات المجاورة لصعوبة المواصلات [2] .

---

(١) حمزة ، فؤاد . قلب جزيرة العرب . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، (١٣٨٨هـ) ، ص١٠٤ ـ ص١٠٥ .

(٢) العتيبي ، مرجع سابق ، ص٣٥ ـ ص٣٦ .

ومجتمع الجزيرة بشكل عام ينقسم إلى ثلاث فئات :

١ – البدو ، وأهل القرى .

٢ – الحضر .

٣ – أهل الهجر ، هم غالبية البدو الذين انتقلوا إلى الهجر فيما بعد في عهد الملك عبد العزيز آل سعود وإصلاحاته الداخلية .

وهذا التقسيم يعكس صوراً متعددة من الحياة الاجتماعية في هذا القطع من الأرض .

فالبدو هم الغالبية العظمى من سكان شبه الجزيرة ، طابعهم التنقل والترحال يعيشون في خيام الشعر والوبر ، ويعتمدون على رعي الأغنام في معاشهم . وُجد فيهم الخير من العادات كحب الكرم والشجاعة والوفاء بالعهد ونصرة المظلوم وما إلى ذلك ، ولكنها لم تخل من بعض السلبيات ، وذلك لتحكم الأهواء فيها فالسطو والحرب يعد شجاعة . . وأهل البادية : قبائل متفرقون ، لكل قبيلة شيخ أو أمير يحكمها وترجع إليه في أمورها ولا يحتكم أفرادها إلى غيره ، وتختلف كل قبيلة عن الأخرى من حيث العدد والقوة ، ومدى الحاجة إلى المادة .

ونتيجة هذا الاختلاف وتفشي الجهل ، وضعف الوازع الديني أو انعدامه ، والتقيد بالعادات والتقاليد القبلية السيئة ، والتفاخر ببعضها ، بل والحرب من أجلها ، وانتشار الفقر وصعوبة الظروف المعيشية ، وضرورة التنقل بحثاً عن الماء والعشب ، ولضعف القوة الحاكمة الرادعة ، ولعدم وجود القوانين أو الضوابط التي تحكم تنقلات القبائل .. نتيجة ذلك كله انتشرت الجريمة في شبه الجزيرة العربية ، وانعدم الأمن ، وكثر قطع الطريق ، واشتهرت بعض القبائل بعمليات السطو والقتل والنهب وسلب عابري السبيل بمن فيهم الحجيج وغيرهم من القوافل ؛ لذلك كانت بعض القوافل تدفع لرؤساء القبائل التي تمرّ بأراضيها مبالغ مالية ؛ مقابل حمايتها من السرقة . وهؤلاء فيما بعد هم أهل الهجر .

وأهل القرى ، ليسوا بالحضر الكُمل ولا بالبدو الصرف ، يسكنون القرى ،

ويشتغلون بالزراعة وبعض الصناعات الخفيفة اليدوية [١] .

وأماالحضر ، فيستقرون في المدن ويسكنون المباني ، ويشتغلون بالحرف . والزراعة من أهم مقومات الحياة الاقتصادية عندهم . وفي نجد يعتمدون على زراعة النخيل . ثم التجارة وهي على ثلاثة أنواع : تجارة محلية بين الحضر أنفسهم . وتجارة إقليمية بين بلدة وأخرى أو بين الحضر والبدو وتجارة خارجية وهي التجارة بين نجد كلها وبين الأقطار الأخرى . وكانت هناك بعض الصناعات اليدوية التقليدية ، كالأواني النحاسية : الدلال وغيرها ، وصناعة الملابس ، والفرش . وكان أهل نجد يستوردون بعض الأطعمة والملابس والسلاح ، ويصدرون بعض الحيوانات : كالإبل والخيل . ولكنها تتعطل نتيجة سطو بعض القبائل عليها .

١ . يبدو مما سبق شدة ما كان يعانيه الناس من شظف العيش وقلة المادة ، وليس ذلك كسلاً أو من ملل في السعي والعمل ، بل لقد كانت أوقاتهم مليئة بالعمل دون كلل أو ملل ، لا يتوقفون عنه إلاّ بالليل .

وهذا ما تطبع عليه الشيخ –رحمه الله– فقد كان دائم العمل في خدمة الإسلام والمسلمين ، دون كلل أو ملل .

بل يذكر الشيخ عبد العزيز الناصر ، مدير شؤون الموظفين بالرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء أن الشيخ ابن باز كان ملتزماً بالدوام الرسمي دخولاً وخروجاً ، ولم يتمتع قط بإجازة [٢] .

وتعتبر"نجد" أنقى النسب في مجموعة الثقافة السامية وأكثرها صفاء في الدم – العرب الخلص –ويعود هذا لأن إقليم نجد ظل في شبه عزلة لمدة طويلة عن الموجات البشرية الخارجية ذات الأجناس المختلفة ، لغور المنطقة داخل الجزيرة العربية من جهة ، ولإحاطتها بالرمال الصحراوية ولقلة تعرضها لموجات الغزو الخارجي من جهة أخرى [٣] .

---

(١) العتيبي ، مرجع سابق ، ص١٧١ .

(٢) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص٣٤ .

(٣) أبو علية ، عبد الفتاح . الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز . المملكة العربية السعودية / الرياض : دار المريخ ، (١٤١٨هـ) ، ص٢١ ــ ص٢٢ .

إلاّ أن هذه العزلة عن المؤثرات الحضارية ، وعدم استقرار الأوضاع السياسية ، وانعدام التنظيم العام للحياة ؛ جعلتها أسوأ حالاً من منطقتي الحجاز والأحساء ، فغلب عليها الطابع البدوي المتخلف علمياً [١] .

ويبدو من أنماط الحياة في نجد ، أن من سمات المجتمع النجدي : الدين والخصوصية ؛ فالبناء المتراص السائد في المناطق التقليدية جنباً إلى جنب مع توسط موقع المسجد ؛ لأنه بالإضافة إلى كونه مكاناً للعبادة يعتبر أيضاً نقطة الانطلاق بالنسبة للسكان ونشاطهم . ثم نمط الشوارع غير المنتظمة مع النهايات المسدودة للعديد منها حتى تصبح أماكن شبه خاصة يصعب على الأغراب التجول فيها [٢] . والمباني في غالب مدن نجد من اللبن ، لها نوافذ صغيرة لإدخال النور ، ولا تخلو من فناء الدواب وآخر للسماد ، وفرشها الحصير المصنوع من الخوص ، وطعامها العادي هو التمر واللبن والخبز ، وأحياناً الأرز واللحم [٣] . تكيفاً مع الإمكانيات المتاحة والظروف البيئية . ويبدو أن المجتمع النجدي كان بسيطاً في احتياجاته ، فالأثاث لا يتعدى الفرش والزوالي والبسط . أما الملابس فلا تعقيد فيها ، يلبس الرجل الثوب الأبيض ، وعادة ما يكون فوق الكعب وذلك تطبيقاً للسنة ، ويرتدي العباءة كذلك ، ويضع على رأسه « الغترة » أو « الشماغ »، ويلبس النعل أو الصندل المصنوع من جلد البعير أو الخوص . وعُرف عنهم التطيب بالمسك أو دهن العود ، واستخدامهم السواك [٤] .

٢ . إن للطابع الاجتماعي العام في البلاد ؛ من حالة الفقر والفاقة وشدة العيش ما أثر في فكر الشيخ ، فلم تشغله الدنيا بما فيها . وزهِد فيها ، رغم ما أعطاه الله عز وجل منها بعد ذلك ، فكان يلبس أبسط الثياب ويأكل أخف المأكولات لقد آثر أخرته

---

(١) العتيبي ، مرجع سابق ، ص٦٩ .

(٢) الهطلاني ، مضاوي حمد الناصر . مدينة الرياض . المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة العبيكان ، (١٤١٧هـ) ، ص١٤٥ ـ ص١٤٦ .

(٣) وهبة ، حافظ . جزيرة العرب في القرن العشرين . ط٥ ، مصر / القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (١٣٨٧هـ) ، ص٤٣ .

(٤) الهطلاني ، مرجع سابق ، ص٣١٠ ـ ص٣١١ .

على دنياه ، وهذه من أهم صفات المربي الرباني .

٣ . لقد أثرت حالة الفقر والعوز هذه على سلوك الشيخ ، فكان -رحمه الله- يساعد كل من عرف حتى طلبة العلم ، كان شديد المساعدة لهم ، ليتفرغوا لطلب العلم .

وبالرغم من اختلاف اللهجات في مجتمع الجزيرة إلاّ أن لغة حاضرة نجد أقرب إلى اللهجة الفصحى من حاضرة الحجاز ، وذلك نتيجة اختلاطهم بالأعاجم [١] . لقد عاش أهل نجد على مر الزمان أحراراً أُباة للضيم محتفظين بما أنحدر إليهم آبائهم وأجدادهم من فضائل الدين والشمائل العربية الأصيلة وتقاليد البداوة المعتمدة على الفطرة السليمة [٢] .

٤ . لقد تأثر الشيخ بقيم وعادات مجتمعه السائدة القديمة والأصيلة والتي تعبر عن التكيف مع الحياة الصعبة : كالعمل الجاد المتواصل ، وصرف الأوقات كلها فيما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة ، التآلف والمحبة ، الكرم ، الصبر والجلد ، وغيرها من القيم الأصيلة .

وبقيت الحالة مضطربة حتى تمكّن الملك عبد العزيز من توحيد البلاد وجعل كلمة « لا إله إلاّ الله » هي العليا ، وبناء دولة عربية إسلامية تعيد لهذه البلاد وجهها الصحيح ، ويقيم صرحاً شامخاً أساسه التقوى واتباع الدين الإسلامي الصحيح ، حيث شيَّد بناءه على الأخلاق والدين ، وجعلها غاية وهدفاً ، ووضع الأسس لميادين الإصلاح الاجتماعي مع مراعاة الوضع الداخلي للبلاد [٣] .

وتُعد الهجر من أقوى مظاهر وحدة المجتمع واستقراره وأمنه ، لأنها حققت الترابط الاجتماعي ونشرت الوعي بينها وبين طبقات المجتمع بتبادل الثقة والمحبة . فحققت بذلك قول الله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

---

(١) حمزة ، مرجع سابق ، ص١٠٧ .

(٢) جمعة ، رابح لطفي . حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز . المملكة العربية السعودية / الرياض : دارة الملك عبد العزيز (٢٣) ، (١٤٠٢هـ) ، ص١٦٥ .

(٣) الحقيل ، توحيد المملكة العربية السعودية ، مرجع سابق ، ص١٦٥ .

كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً }[١] . وهذه نقلة حضارية عظيمة كانت نقطة انطلاق المشاريع الإصلاحية التنموية : التعليمية بنشر المدارس . والاقتصادية بالاهتمام بالزراعة والعمل المنتج ، وإحياءً لحركة التجارة بين أهل الهجر والمدن وغيرهم ..

مما يجدر ذكره أن من أوائل من تولى القضاء في "الأرطاوية" : الشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز ، أحد العلماء البارزين من أسرة الباز .

٥ . لقد تأثر الشيخ بترابط مجتمعه تأثراً جعله يشعر بالسعادة والراحة لانتمائه للوطن ؛ فآثر بذلك البقاء بجانبه يخدمه ويعمِّره بما وهبه الله إياه من العلم والمال ، ولم يذكر عنه خروجه عن الديار السعودية رغم كثرة الدعوات الموجهة إليه من العلماء والمؤتمرات خارج المملكة .

يُعد إنشاء مراكز التنمية الاجتماعية في جميع أنحاء المملكة من أكبر الخدمات الاجتماعية المبذولة ، وقد أُنشئ أولها عام ١٣٨٠هـ في الدرعية . وتتنوع خدمات هذه المراكز ، فمنها : الخدمات التعليمية والمهنية التدريبية والصحية .. وكل ما يحتاجه المجتمع بصفة عامة . بالإضافة إلى أن هذه المراكز لا تعمل كدوائر حكومية ، وإنما تعمل متعاونة مع أفراد المجتمع ، وتهدف إلى جعل المحيط الذي يُنمَّى اجتماعياً يستغني في النهاية عن خدمات مركز التنمية الاجتماعية ، عن طريق اكتساب أفراده وجماعاته الوعي الاجتماعي ، بالإضافة إلى الخبرة اللازمة للمجتمعات الحديثة المتطورة [٢] .

ولضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية وفَّرت المملكة لمواطنيها أنواعاً متعددة من الضمانات الاجتماعية : الضمان الاجتماعي العام ، ضمان التعليم المجاني للجميع في جميع مستويات الدراسة والتخصص ، مع منح مكافآت سخية للطلاب المحتاجين . وكذلك الضمان الصحي .

لقد شُيِّدت المدن وشقت الطرق ونشأ عمران عظيم . وأثمرت مشاريع النهضة

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٠٣) .

(٢) عسّه ، أحمد . معجزة فوق الرمال . المطابع الأهلية اللبنانية ، (١٣٨٦هـ) ، ص٤٧٤ ـ ص٤٨١ .

الشاملة في جميع المجالات الدينية والسياسية والثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية ، وبالأخص بعد اكتشاف البترول ؛ طرأ على المنطقة تطور عظيم لم تعهده من قبل .

فبعد أن كان اعتماد الدولة على الوسائل البدائية القديمة كالخيل والإبل ، أصبحت الطرق المعبدة ، بل وذات المسارين تعم مختلف البلاد وتربط كل أجزائها من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، بالإضافة لوجود ٢٥ مطاراً منها ثلاثة مطارات دولية تربطها داخلياً وخارجياً بالعالم كله . يضاف إلى ذلك سكة الحديد التي تربط المنطقة الشرقية بالرياض ، ووجود الموانئ التي تعد منافذ التصدير والاستيراد . . هذا من ناحية الطرق أما بقية المواصلات والاتصالات فإن المملكة قطعت فيها شوطاً مميزاً ، فارتبطت بشبكة الهاتف والاتصالات السلكية واللاسلكية ، وبشبكة من البريد . يضاف إلى ذلك الشبكة الإعلامية الإذاعية والتلفزيونية والصحافة المطبوعة . . ولا يقل عن ذلك مجال التعمير والإنشاء وما يتبعه من خدمات مياه الشرب وإقامة محطات للتحلية وشبكات الصرف الصحي والخدمات الكهربائية ، وغيرها من الخدمات التي باتت ضرورية في عهد النهوض والازدهار[1] .

٦ . لقد قابل ابن باز هذا الجانب الحضاري الذي طرأ على البلاد والمجتمع السعودي بالتشجيع والتذكير بضرورة شكر نعم الله عز وجل وطاعته بها .

رابعاً ــ العوامل الاقتصادية

من المعلوم أن العوامل البيئية هي التي تشكل النشاط الاقتصادي للإنسان ، ولما كانت أرض شبه الجزيرة العربية غالبها صحراوياً ؛ لذلك فقد دَرَجَ سكانها يمارسون ألوان النشاط الاقتصادي القديم كرعي الأغنام وزراعة النخيل وصناعة ما يحتاجونه من الملابس والفرش ، والتجارة الداخلية فيما بينهم البدو – والحضر ، والخارجية بينهم والأمم المجاورة لهم ، ولكن كثيراً ما كانت تتعرض هذه التجارة للسطو والسرقة .

وظلت الحياة تسير بمبدأ : العمل في نطاق محدود لتوفير سبل الحياة الضرورية بدون

---

(١) الحميضي ، ناصر عبد الله . بلادنا السعودية . ط١، مطبعة مرامر ، (١٤١٤هـ) ، ص٢٨٤ .

توسع أو أي تقدم . . وكان المورد الوحيد للدولة مورد الحجيج ، وهو مورد سنوي ، لا يسمن ولا يغني من جوع .

ومع ذلك فقد كان من سوء حظ الدولة الجديدة أن ولادتها صادفت ظهور موجة الكساد الأكبر في العالم وما رافقه من أزمة اقتصادية خانقة ، فتأثر هذا المورد الضئيل تأثراً انخفض معه عدد الحجيج انخفاضاً محسوساً ، ثم أخذ هذا الهبوط يشكل تدهوراً سريعاً ، حتى بلغ عدد الحجاج زهاء أربعين ألف حاج فقط في عام إعلان قيام المملكة ، وكان من الطبيعي أن ينجم عن هذا النقص المفزع في الموارد تدهور مفزع في سعر العملة السعودية [1] .

وظل السكان مع ضيق سبل الحياة يقدمون ولاءهم للدولة الحاكمة بضرائب يؤدونها شاءوا أم أبوا .. هكذا كان اقتصاد الدول من قبل . ولم تتغير سبل الحياة الاقتصادية إلاّ بعد اكتشاف البترول في عهد المملكة العربية السعودية ، والذي أحدث بدوره انقلاباً اقتصاديا كبيراً في البلاد . فتطورت الأوضاع الاقتصادية ، وانعكس ذلك على الأوضاع الاجتماعية والصحية والأمنية والعلمية في الدولة . فارتفع دخل الفرد وتحسنت أحواله المعيشية . وازدادت حركة التجارة في البلاد . واستحدثت كثير من الصناعات الآلية ، كصناعة مواد البناء والمواد الغذائية والمنسوجات والأثاث والمعادن والمنتجات المعدنية البلاستيك والآلات والأجهزة . . وما إلى ذلك مما هو مشاهد ملموس اليوم ، ولا حصر له ، والحمد لله .

النظام الاقتصادي السعودي :

لقد أحدثت الدولة نظاماً مالياً متكاملاً ، يعتمد على الأنظمة التشريعية الإسلامية ، التي ترعى حقوق الفرد والمجتمع ، وهو نظام متكامل يأخذ بمبدأ التطور مع نمو البلاد الإسلامية ، ويحقق العدالة بين عامة الناس على مختلف أديانهم [2] .

---

(١) عسّه ، مرجع سابق ، ص٢٧١ ــ ص٢٧٢ .

(٢) الشعيبي ، صالح الحمد . ملامح السياسة المالية والإدارية في المملكة العربية السعودية . ط١، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة الخريجي ، (١٤٠٧هـ) ، ص٢٠٧ــ ص٢١٥ .

وقد انتهجت المملكة لتحقيق النهضة الاقتصادية نظاماً من الخطط الزمنية ، فكلنت الخطة الخمسية الأولى عام ١٣٩٠هـ ، وتلتها الثانية عام ١٣٩٥هـ ، وانتقلت فيهما من مرحلة الاستراتيجية المتوازنة إلى مرحلة تنويع القاعدة الإنتاجية ، وإحداث تحول حقيقي في البنية الاقتصادية عبر خطتي التنمية الثالثة عام ١٤٠٠هـ ، والرابعة عام ١٤٠٥هـ . ولمزيد من تحقيق الرفاهية والرخاء وتحسين مستوى المعيشة للإنسان السعودي كانت الخطة الخمسية الخامسة عام ١٤١٠هـ[١] .

ولكن مما ينبغي ملاحظته هنا أن عوائد البترول وإن جعلت الحياة أكثر يسراً وسهولة وأسهمت في تقدم البلاد ورفاهيتها والأخذ بأسباب التمدن والحضارة الحديثة إلاّ أنها لم تؤثر قط في حفاظ المملكة على التمسك بالإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية .

١ . لقد عاصر الشيخ ابن باز الفترة الاقتصادية الأولى ، أي قبل اكتشاف البترول فكانت فترة طفولته وشبابه . وقد أثرت فيه كثيراً ، لذلك يجده المتأمل قد تربى على حب التقشف والزهد في الدنيا والتخفف من متاعها الزائل ، وكثيراً ما يجده المتأمل يحث على لزوم التواضع .

لأنه – رحمه الله – قد عاصر فترة التطور الاقتصادي ، فكانت فترة نضوجه الفكري ، فيجده القارئ كثيراً ما يحمد الله ﷻ على نعمه وآلائه ، وكثيراً ما يحض على وجوب شكر النعم .

يُروى عنه أنه عند شرح حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله ، قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير ، قال: فنفدت أوزاد القوم ، قال : حتى همَّ بنحر بعض حمائلهم . قال : فقال عمر : يا رسول الله ، لو جمعت ما بقى من أزواد القوم ، فدعوت الله عليها . قال ففعل . قال : فجاء ذو البُرَّ ببره ، وذو التمر بتمره . .)[٢] . وعندها بكى الشيخ ابن باز –رحمه الله– بكاءً متواصلاً ، وأصبح في نشيج متصل ، دام سبع دقائق ، ثم وصف لهم حالة الصحابة

---

(١) الحقيل ، توحيد المملكة ، مرجع سابق ، ص١٨٩_ ص١٩٢ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٧) ، ص٧٤ .

من شظف العيش وشكرهم لله ، وكيف نعيش نحن في عصرنا الحاضر ونعم الله علينا كثيرة ، ولكننا لا نقدرها حق قدرها ولا نحمد الله عليها كما يجب أن يُحمد ، وإنما كثيراً منا يرمون بها في النفايات ، وهذا ما أوصلنا إلى الحالة الواهنة التي نعيشها ، ومضى سماحته يتحدث طويلاً في هذا المجال [١] .

٢ . كثيراً ما تؤثر النهضة المادية ورفاهية المجتمع سلباً على الإنسان ، ولكن الشيخ ابن باز – رحمه الله – لم تغيره المادة ، بل ظل كما هو محافظاً متمسكاً بالكتاب والسنة ، يستفيد من المدنية الجديدة ؛ ليواكب عصره ، ولكنها لم تؤثر سلباً على فكره أو دينه وقيّمه وأخلاقه .

خامساً ـــ العوامل العلمية

على الرغم من أن جزيرة العرب كانت المشعل الذي أنار للإنسانية جمعاء طريق العلم والهداية ، فإن هذه البلاد قد أصيبت بفعل الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي طرأت عليها ، بنكسة شديدة لم ينج منها ، في الواقع ، أي بلد عربي أو إسلامي . وكان من نتائج هذه النكسة أن عمّ الجهل مرة أخرى ، وانتشر الظلام ، فوق هذه الربوع التي شهدت مولد أعظم نور عم جميع أنحاء الأرض [٢] .

ولكن شاء الله بقدرته ﷻ أن تظهر الدعوة السلفية وتزدهر حركة العلم والثقافة – إلى حد ما – نتيجة الوعي الديني الذي نشرته بين الناس ، فلا سبيل للقضاء على البدع والضلالات والتغلب على الجهل إلاّ بالعلم والتعلم . وبذلك أصبح الوعي الثقافي وطلب العلوم من المبادئ التي تتبناها الدعوة السلفية والسلطة الحاكمة ، وتسعى جاهدة لتحقيقها ورفع مستواها .

ومازالت الحياة العلمية في شبه الجزيرة بين مد وجزر ، تبدأ في عهد دولة ثم تندثر ، نتيجة الحروب والتناحر المستمر بين ساكنيها ، ولكنها حقيقة لم تزدهر إلاّ في عهد الملك

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص٧٣ .

(٣) مُصلح ، أحمد منير . نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الملك سعود ، (١٤٠٢هـ) ، ص٤٣ ـ ص٤٦ .

عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - فقد أدرك بثاقب نظره وحكمته ضرورة نشر العلم ، وتحقيق الوعي الثقافي بين أفراد الشعب السعودي ابتداءً لتنفيذ خطط التنمية التي شملت جميع مجالات الحياة في المملكة .

لذلك فقد ولاَّه جل اهتمامه ، فمنذ أن ضم الحجاز إلى ملكه عام ١٣٤٤هـ ؛ سعى إلى إنشاء "إدارة المعارف العامة" أو "مديرية المعارف" ، بمكة المكرمة ، والتي اختصت بشؤون التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية ، من حيث نشر العلم وإنشاء المدارس ، وتقرير المناهج ، وتعيين المدرسين ، ومحاولة السير بعجلة التعليم إلى الأمام بخطوات سريعة ، ومواكبة ما وصل إليه غيرها في الدول الأخرى .

وبنظرة سريعة في تاريخ التعليم قبل توحيد المملكة ؛ يدرك كيف كان التعليم قبل وكيف أصبح .

التعليم قبل الدولة السعودية :

كان التعليم في المملكة يسير على الطريقة القديمة فالدراسة تتم في المساجد والكتاتيب حيث يتخرج القضاة وأهل العلم ولا سيما في إقليم نجد لبعده عن التيار الحضاري فيدرِّس القرآن في الكتاتيب ، والقراءة والكتابة . أما المساجد فكان يتركز فيها التدريس على أصول الدين وفروعه وشيء من قواعد اللغة العربية . أما المدارس فلا تكاد تذكر في نجد وإن وجدت في الحجاز فهي قليلة منها « الصولتية » ١٢٩٠هـ و« الفخرية »١٢٦٩هـ ثم « الفلاح » ١٣٢٣هـ ثم « الخيرية التحضيرية الهاشمية » و « دار العلوم الدينية » و« العلوم الشرعية » و« الراقية » و « العالية » و« الحربية »والمدرسة « الزراعية »، كما أُنشئت بعض المدارس الأولية في كل من المدينة المنورة وجدة .

لقد ظل العلم محصوراً في مراكز معينة لم يفد منها فائدة مذكورة إلاّ قلة ممن نذروا حياتهم لعلوم الدين واللغة العربية ، أما السواد الأعظم من الناس فما كانت ظروف العيش لتمكنهم من التفرغ للعلم ، هذا العلم الذي لم يكن يمد صاحبه بوسيلة من وسائل الرزق ، بل كان يؤهله في معظم الأحوال لمهنة التدريس التي كانت تعتبر حينئذ بضاعة

كاسدة [1] .

لذلك فقد ظلت الأمية والجهل هما الطابع العام للناس في هذه الفترة ؛ فالمدارس قليلة ، والوسائل فيها غير مجدية ، والظروف المادية لا تؤهل لطلب العلم ، والوعي الثقافي معدوم .

وأما التعليم في المسجدين الشريفين : المسجد الحرام في مكة المكرمة ، والمسجد النبوي في المدينة المنورة ، فقد كانت تقام فيهما الدروس الدينية والأدبية واللغوية وكذلك التاريخية إلى جانب دروس تحفيظ القرآن الكريم ، وقد تخرج منهما الكثيرون من علماء ذلك الزمان .

أما في عهد الدولة السعودية فقد تغيرت الأحوال بتحسن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. وبتقوية الوازع الديني الذي حث الناس على طلب العلم ، وتقدير العلماء وتوقيرهم والأخذ بمشورهم .. هذا الوعي الثقافي الذي غير نظرة الناس إلى العلم ، ثم ما شهدته المملكة وما حققته من نهضة علمية شاملة ، أدت إلى توظيف العلم خدمة للدولة ، وفتح مجالات العمل وفرص العيش الكريم أمام المتعلمين .

فكان التعليم في أول عهده ، عهد المديرية العامة قائماً على أربعة أسس هي :

١ - إنشاء المدارس النظامية

٢ - إرسال المطاوعة والمرشدين إلى الهجر والقبائل ، للتعليم والإرشاد ، ولا يقتصر عملهم على ذلك ، بل يشمل توليه جميع الشؤون الدينية في القبيلة .

٣ - تنظيم البعثات إلى الخارج ، وذلك للتخصص في بعض العلوم . وكانت "مدرسة تحضير البعثات" بمكة المكرمة من أجدى المعاهد السعودية نفعاً - في ذلك العهد .

٤ - التعليم الأهلي ، وله في نهضة المملكة الحديثة فضل كبير ، ففي عام ١٣٥٤هـ تجاوز عدد المدارس الأهلية عشرون مدرسة ، وكان عدد الطلاب فيها

---

(١) الشامخ ، محمد عبد الرحمن . التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني . ط١، المملكة العربية السعودية / الرياض : المطابع الأهلية للأوفست ، (١٣٩٣هـ) ، ص١٢٣ .

(٢٥٧٧) تلميذاً [١] .

أما منطقة نجد فعكفت على الدراسات القرآنية والحديثية والفقهية ، أول الأمر . ولم تُعرف فيها المدارس النظامية الحديثة إلاّ بعد سنة ١٣٥٠هـ ، فافتُتحت في بعض مدنها مدارس تدرّج التعليم فيها ببطيء ، لقلة المدرسين أولاً ولضعف الرغبة يومئذ في الإقبال على طرائق التدريس الحديثة . ولكنها وثبت بعد ذلك ، فما دخلت سنة ١٣٦٩هـ حتى كان في نجد (٨٤) مدرسة ، زاد طلابها على ثمانية آلاف . وأُنشأت مدرسة « الأمراء »، ومدرسة « الأيتام » ألحقتا بالقصر الملكي ، ثم المدرسة « التذكارية »[٢] .

وبعد أن اتسع نشاط الدولة في الإنتاج والخدمات تبعاً لزيادة مواردها المالية ؛ شُكِّلت خمس وزارات جديدة منها « وزارة المعارف » .

وبظهور هذه الوزارة استكملت الدولة شكلها الحديث ، متوّجة مرحلة غنية بالتطورات التي تناولت مختلف جوانب الحياة ونواحيها . وتمَّ لأول مرة ، مكافحة الأمية . وأُضيف إلى نظم التعليم : نظام رياض الأطفال ، وانتظمت فيها البعثات الدراسية إلى الخارج واتسع نطاقها ، وشُكِّلت « الرئاسة العامة لتعليم البنات » لتشرف على تعليم الإناث[٣] .

وأما التعليم العالي فبدايته عام ١٣٦٩هـ عندما أُنشئت كلية الشريعة بمكة المكرمة ، ثم كلية المعلمين ، وهو الآن يتم في سبع جامعات ، بالإضافة إلى الكليات التابعة لوزارة المعارف والكليات التابعة لرئاسة تعليم البنات ، والكليات العسكرية التابعة لوزارة الدفاع والطيران والتابعة للحرس الوطني ، وكلية الملك فهد الأمنية التابعة لوزارة

---

(١) الزركلي ، خير الدين . شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز . ط٥ ، لبنان / بيروت : دار العلم للملايين ، (١٩٩٢م) ، ج٢/ص٦٣٤ ـ ص٦٤٣ .

(٢) الزركلي ، المرجع السابق ، ج٢/ص٦٤٥ ـ ص٦٤٤ .

(٣) مُصلح ، أحمد منير . نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الملك سعود ، (١٤٠٢هـ) ، ص٥٩ ـ ص٦٩ .

الداخلية [١] .

هذا ولم تقف جهود المملكة عند هذا الحد ، بل لقد دعمت وثيقة سياسة التعليم في المملكة الصادرة عام ١٣٩٠هـ مسيرة التجديد التربوي في البلاد بدعوتها إلى الاستفادة من جميع أنواع المعارف الإنسانية النافعة على ضوء الإسلام للنهوض بالأمة ورفع مستوى حياتها واستخدام التقنية في المجالات العلمية ، والتفاعل الواعي مع التطورات الحضارية العالمية في ميادين العلوم والثقافة والآداب بتتبعها والمشاركة فيها . فأنشأت لذلك وكالة وزارة لشئون التطوير التربوي .

وقد شملت التجديدات التربوية كافة جوانب العملية التربوية ، فمن أهمها :

المدرسة غير المتدرجة ، متمثلة في « مدرسة الفهد » وهي تأخذ بنظام التعليم الذاتي والتعلم المفتوح على السواء .

وكذلك من ألوان التجديد التربوي : المدرسة الشاملة ، والمدارس الثانوية المطورة ، ومراكز خدمة المجتمع والتعليم المستمر ، والكليات الجامعية لإعداد المعلمين والمعلمات ، كذلك إضافة مادة الحاسب الآلي إلى مجموعة المواد الرئيسية بالمدارس الثانوية ، أيضاً التعليم الذاتي والتعليم المفتوح ، واستخدام الدائرة التلفزيونية المغلقة ، والحملات الصيفية للمساهمة في إنجاح مشروع توطين البدو[٢] .

وبعد فما سبق كان غيض من فيض ، فنظام التعليم في المملكة : نظام شامل متكامل مبني على أسس إسلامية أصيلة ، تقرر الحقوق الإنسانية للفرد ، وتسعى لتحقيق التنمية الشاملة في المجتمع ، بما في ذلك : تنمية الفكر والعمل للنهوض بالأمة الإسلامية قُدماً .

ولذلك فقد تميز كثيراً عن نظم التعليم في البلدان العربية الأخرى ؛ فهذا النظام له أهداف عظيمة . وسياسته : تربوية تنبثق من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف . ومنهجه :

---

(١) الحقيل ، سليمان بن عبد الرحمن . نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية . ط١٠ ، المملكة العربية السعودية : مطابع التقنية للأوفست ، (١٤١٧هـ) ، ص٤٧ ــ ص٥٣ .

(٢) السنبل وآخرون ، عبد العزيز بن عبد الله . نظام التعليم في المملكة العربية السعودية . ط٣ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الخريجي ، (١٤١٢هـ) ، ص٤٥٤ ــ ص٤٦٥ .

القرآن الكريم والسنة الشريفة . وغايته : تربية الطالب والمجتمع دينياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ؛ ليكون عضواً نافعاً في بناء الأمة الإسلامية .

وهو نظام مرن يجمع بين القديم الأصيل وبين الحديث النافع . لا يفصل الدين عن العلم ولا يعتمد على أحدهما دون الآخر . وهو تعليم متنوع ليسد حاجة المجتمع ، فمنه : النظري ، والمهني والفني . ويتميز كذلك بالفصل التام بين تعليم البنين وتعليم البنات ، فكل منهما مستقل عن الآخر . كذلك مما يميز هذا النظام أنه مجاني في جميع المراحل التعليمية ، بالإضافة إلى ما يقدمه من المكافآت والمساعدات للطلاب .

بالنظر إلى الحياة العلمية الموازية لحياة الشيخ نلحظ كثيراً من عوامل التأثر بها من أهم هذه العوامل ما يلي :

١ . بالرغم من أن ابن باز نشأ في بيئة علمية متخلفة ومقلدة ، إلاّ أنه – رحمه الله – لم يتأثر بها سلباً ، بل لقد شجعه جهل بيئته إلى الجد والاجتهاد في التعلم والتعليم حتى غدا من أعلامها الكبار . فكان يسعى ويجتهد ؛ وما ذلك إلاّ ليرفع هذا الجهل عن أمته ويعلي من شأنها .

٢ . لم يرتبط تعليم الشيخ بالتعليم النظامي في المدارس ، بل تأثر بطريقة التعليم في المساجد وعلى أيدي العلماء ، فحفظ القرآن ، ثم اتجه إلى حلق العلم ، فهذه الطريقة التي تعْلم بها ، وهي طريقته التي عَلم بها . فكان مع قضائه في الخرج ينظم الدروس العلمية في المسجد وفي البيت ، وكذلك عندما تولى التدريس بالرياض ، وعندما تولى رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وحتى عندما تولى الإفتاء العام ، كانت طريقته في التعليم والدعوة .

٣ . تأثر الشيخ العميق بشيوخه ، وأكثرهم الشيخ : محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ . فقد لازمهم – رحمه الله – منذ طفولته وطلبه العلم على أيديهم ، فاستفاد منهم العلم والهدي والأخلاق والمعتقد الصحيح . فكان العالم الرباني الذي حمل هم الأمة الإسلامية على عاتقه .

٤ . تأثره بنظام التعليم في المملكة ، من ضرورة إنشاء المدارس لتلقي العلم ، فلم يكتف بالدروس التي يلقيها في الجامع الكبير أو في بيته بل طلب من ولي العهد آنذاك

الأمير سعود بن عبد العزيز افتتاح مدرسة ابتدائية في الدِّلم عام (١٣٦٨هـ) ، وسُميت المدرسة السعودية الابتدائية [١] .

٥ . اختلاف المذاهب الفقيه ، وتعصب معتنقيها ، فنتيجة الانقسامات والاختلافات التي كان يجدها بين علماء زمانه ، في نجد مثلاً ينتشر المذهب الحنبلي ، وفي الحجاز وفي الأحساء الشيعة ، وفي عسير ينتشر المذهب الشافعي ؛ هذا الأمر أثر في توجه الشيخ العلمي وتخصصه ، فقد عكف على الدراسات القرآنية والحديثة ، وانكب على دراسة المذاهب الفقيه ، واجتهد في الترجيح بينها بالأدلة ، ودرس تاريخ الفرق الاعتيادية ، ليتعلَّم الرد عليها ومجادلتها بالحسنى .

٦ . النهضة العلمية التي مرت بها المملكة ساعدت العلماء ومنهم الشيخ ابن باز على مواصلة التعلم والتعليم والبحث والمطالعة العلمية . حتى غدت مدرسته في التعليم والفتوى من المدارس العالمية لشهرتها وثقة الناس فيها .

سادساً ـ العوامل الثقافية

لقد تعدد الثقافات التي غزت شبه الجزيرة العربية بحكم موقعها الجغرافي من العالم ؛ ولذلك فقد تأثر مناطق المملكة بهذه الثقافات الخارجية ، أما نجد قلب شبه الجزيرة فلم تختلط بهذه الثقافات ، وظلت تعيش وعلماؤها بمنأى عن العالم الخارجي ، تحافظ على معالم الدين الإسلامي ، مسترشدة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإصلاحات الملك عبد العزيز آل سعود – يرحمهما الله .

لقد اهتم الملك عبد العزيز بالكتاب والعلم والعلماء ونشر العقيدة الإسلامية فوضع بذلك البذور الأولى لانطلاقة النهضة الفكرية والثقافية والإعلامية مما حقق نتائج طيبة وحميدة ، جعل مؤرخي الأدب يجمعون على تسمية عهده « بعهد النهضة الفكرية » ؛ نتيجة دعمه السخي في شتى حقول المعرفة والعطاء المتميز للعلم والمعرفة والثقافة والدعوة وخدمة الإسلام والمسلمين ، فأنشأ العديد من المعاهد المدارس الحديثة بمراحلها المختلفة في

---

(١) الرحمة ، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ص١٩٤ .

معظم البلاد ، وأرسل بعوثاً إلى الخارج ، واستقدم المعلمين الدول العربية الشقيقة . ثم أخذ في طبع الكثير من الكتب العلمية والثقافية . ووجه عناية خاصة إلى كتب العلوم الإسلامية المخطوطة تحقيقاً وتوزيعاً ، ودعم إصدار الصحف والمجلات والمطابع[١] .

وقد أسهمت وزارة الإعلام بكافة مجالاتها : بتوعية الناس وتوجيههم ففي مجال الإذاعة أنشئت محطات إذاعية تبث برامجها لمناطق المملكة وما جاورها من الدول العربية ، بالإضافة إلى إنشاء إذاعات موجهة لأوربا وإفريقيا وأمريكا وآسيا ، باللغات الإنجليزية والفرنسية والسواحلية والفارسية والأردية [٢] .

وكذلك في مجال التلفزيون وما له من قنوات عالمية ، أصبح حلقة وصل بين المسلمين في شتى بقاع الأرض بما يبث من برامج دينية ؛ تتشوق لها قلوب المسلمين أينما كانوا .

لقد أتاحت النهضة الثقافية كل سبل الاتصال أمام العلماء ، فساعدت العلماء والمفكرين على التأليف والنشر في جميع المجالات ، وقد كان ابن باز رغم انشغاله بالإفتاء والدعوة إلى الله تعالى ، يؤلف الكتب ويصنف في بعض العلوم الذي يحتاجها طالب العلم الشرعي ، وبالإضافة إلى ذلك كان دائماً ينشر الرسائل والردود التي يبثها للعلماء وطلاب العلم وغيرهم . والتي كانت تشتمل على توضيح الأمور ، وإنكار البدع والمنكرات في الداخل والخارج ، وتنوير وتثقيف العقول .

لقد فطن ابن باز لشدة تأثير وسائل الإعلام على الفكر الإنساني ، فكان دائماً يحث أربابها على استغلال هذا التأثير في نشر الخير ويحذرهم والناس عامة من خطرها ، وما تقذفه من سموم في الفكر والأخلاق وكافة المجالات الحياتية ، لاسيما وأن بعض وسائل الإعلام العالمية تقع في أيدي الكفار واليهود ومن هم أعداء الأمة الإسلامية .

وفيما يلي عرض نصيحته المنهجية للقراء :

---

(١) الحقيل ، نظام وسياسة التعليم ، مرجع سابق ، ص٦٣ ــ ص٧٢ .

(٢) إبراهيم ، سيد محمد . تاريخ المملكة العربية السعودية . المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، (١٤٠٦هـ) ، ص٢٩٨ .

« أن يأخذوا بوصية الله سبحانه التي أوصى بها في كتابه الكريم حيث يقول :{ وَلِلَّهِ ما فِي السمات وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ }[١].

ومما أنصح به القراء وهو من جملة التقوى : التثبت في الأمور ، والتريث في الحكم عليها ، إلا بعد دراستها من جميع نواحيها .

وبعد التحقق من معناها ومعرفتها معرفة تامة بعرض ذلك المعنى على الميزان الشرعي وهو كتاب الله تعالى ، وما صح من السنة النبوية الشريفة ، فما وافق ذلك الميزان قُبل ، وما خالفه تُرك .

ويجب أن يكون القارئ في دراسته للأشياء وعرضه لها على الميزان المذكور ، بعيداً كل البعد عن الإفراط والتفريط ، متجرداً عن ثوبي التعصب والهوى .

دعوة العباد إلى الله سبحانه والتواصي بالحق والصبر عليه ، والتعاون على البر والتقوى . ومتى سلم من هذه الأمور ، ودرس الأمور حق دراستها بإخلاص ، وقصد حسن ، وُفّق للحقيقة وفاز بالصواب ، وحمد العاقبة ، وكم جرت العجلة على أصحابها وغيرهم من ويلات ومشاكل ، تذهب الأيام والليالي وآثارها وتبعتها باقية ؟ وكم حصل بسبب التعصب والهوى من فساد ودمار وعواقب لا تحمد ؟ »[٢] .

* * *

---

(١) سورة النساء ، آية (١٣١) .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ،ج١/ص٣٢٢ ـ ص٣٢٣ .

الفصل الثالث

الجهود العلمية والعملية للشيخ ابن باز

تمهيد

المبحث الأول ــ الجهود العلمية

أولاً : جهوده في مجال التربية والتعليم

ثانياً : آثــــاره

ثالثاً : العلم عند ابن باز

رابعاً : آداب العالم

خامساً : مسئوليات طالب العلم

المبحث الثاني ــ الجهود العملية

تمهيد

أولاً : المحافظة على السنة النبوية

ثانياً : المداومة على إلقاء الدروس العلمية .

ثالثاً : الطلب الدائم للعلم

رابعاً : فقه الشيخ بالواقع

خامساً : العلاقات الاجتماعية في حياة الشيخ

الجهود العلمية والعملية للشيخ ابن باز

تمهيد :

بعد العرض السابق لحياة الشيخ ابن باز يرى القارئ أن مسيرة الشيخ مع العلم والعطاء قد تدرجت خلال عدة محطات رئيسية قدم فيها ابن باز القدوة الصالحة لكل مسلم والمثل الرائع للعالم المربي .

وفي هذا الفصل تُعرض أهم جهود ابن باز العلمية والتي قضاه بجانب التعليم والتدريس في أكثر من مجال ، واكتسب منها كثيراً من الخبرات التي أضافت لشخصيته أبعاداً أكثر شمولية .

المبحث الأول : الجهود العلمية

يمكن عرض جهود ابن باز العلمية في خمسة محاور :

أولاً : جهوده في مجال التربية والتعليم

ثانياً : آثاره

ثالثاً : العلم عند ابن باز

رابعاً : آداب العالم

خامساً : مسئوليات طالب العلم

أولاً ـــ جهوده في مجال التربية والتعليم

للشيخ ابن باز جهود عظيمة في مجال التربية والتعليم ، فقد شارك كثيراً في تأسيس المدارس في مختلف بقاع الأرض ، وكان يسعى دائماً لإعانتها بتحمل بعض رواتب المدرسين ، أو جعل مقررات سنوية ، من هذه المدارس : دار الحديث الخيرية بمكة

المكرمة ، أشرف على عملها ، وكفل طلابها ، ووفر ميزانيتها ، وحرص علـــى تميزهـــا واستقلالها حتى غدت شهادتها العالية تعادل الشهـــادة الجامعيـــة [(١)] .

وكان – رحمه الله – معلما مربيا .. ينشر العلم ويربي النفوس ، ويزرع الخير فيها ؛ لا يجعل من التعليم وحشو الأحكام والمفاهيم وحشو العلوم هدفا وحيدا له ، بل يقدم مع العلم التربية التي تخرج من قلب واسع رحيم ، وتقدم بلا تكلف ، هكذا بسيطة ســهلة ، لكنها غالية تقع في النفوس فلا تخرج منها ، وتركز في العقل فلا تفارقه . وكان –رحمــه الله– مربيا : بسمته خلقه وتواضعه ، دون أن يتكلم في ذلك أو يرشد إليه .. إنه بذلـــك ينشئ جيلا ، ويربي نفوسا ، ويزرع خيرا وعلما وفقها ، ويصقل مواهب ، ويكتشـــف كنوزا [(٢)] .

وفيما يلي بعض جهوده في هذا المجال :

١ – التدريس في المعهد العلمي وكلية الشريعة

في عام ١٣٧٢هـــ تولى الشيخ ابن باز التدريس في المعهد العلمي بالرياض ، وذلـــك بأمر من سماحة المفتي العام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، ثم بعد ذلـــك في كليـــة الشريعة . واستمر تدريسه فيها إلى عام ١٣٨٠هـــ . وكان الشـــيخ يـــدرس العقيـــدة والحديث والفقه ودرس النحو إلى أن جاء الشيخ عبد اللطيف بن سرحان .

لقد كان مثلا رائعا للمعلم الرباني الذي ينتفع الناس بعلمه حقا ، وللشيخ منهجه في البحث العلمي ، والاستفادة من السنة النبوية ، وفي القضاء والفتوى ، وقد قام طلبة العلم على نهجه ، يعلمون الناس ويدعون إلى الله . وفي هذا يذكـــره الســـديري بقولـــه : إن لمدرسة الشيخ أثر كبير في نشر السنة والاهتمام بحديث رسول الله ﷺ ، ولقد تأثر طلبـــة العلم المعاصرون ، والجامعات الإسلامية بنهج الشيخ ومدرسته في الاهتمام بتحقيـق الآراء والفتاوى ، واعتماده على السنة الصحيحة المأثورة عن رسول الله ﷺ [(٣)] .

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع السابق ، ص٩٦ .

(٢) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص١٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص٧٥ .

ولقد كانت له وقفات تربوية كثيرة من أهمها :

أ – التدريس عبادة

كان – رحمه الله – يمارس التعليم عبادة ، كما فرضه الله ، أمانة ومسؤولية ؛ فيؤديها بإخلاص وتفاني لينتفع الناس عامة . لا يهمه الأجر إلاّ من الله سبحانه ، فهذا أحد طلابه الملازمين له يسطر مبادئ شيخه كما عرفها فيه : كان –رحمه الله– يرى أن التدريس أمانة عظيمة ، ومسئولية جسيمة ، لا بدّ من القيام بها ، وهو أمر إن أحسن من يقوم به ، فإنه سيكون له أكبر الأثر وأعظم النفع بين البلاد والعباد ، فكان جاداً في تدريسه وأدائه ، مخلصاً في عمله [١] .

ب – التدريس تربية وتوجيه

لما كان التدريس في نظر ابن باز عبادة جليلة ؛ ارتقت أهدافه التربوية ، واعتلت على مكاسب الدنيا و أمانيها . لقد اهتم بالتربية قبل الأهداف الأخرى ، فلم يهمه التلقين وحشو الأذهان بقدر ما أهمه توجيه طلابه وإرشادهم .

وإن رأى من أحد طلابه خطأ أو عيباً ينبهه إلى ذلك برفق وتؤدة وحسن خلق وصدق في النصح والتوجيه والإرشاد [٢] .

ج – السعي لتحقيق الأهداف التربوية من التدريس وذلك من خلال ما يلي :

١ – التمسك بالكتاب والسنة واتخاذهما منهجاً للتعليم

٢ – التشجيع لطلب العلم والبحث والاستنباط .

وكانت له قدرة هائلة في الاستنباط من النصوص ، وتوضيح المسائل العلمية . . وكان مثلاً لرحابة الصدر ، وإبانة المسائل ، وتربية الطلاب على طريقة الترجيح ، ولاسيما أنه كانت مواطن الدرس في كل من الحديث والفقه متفقة ، فمثلاً يـُدَرس باب الزكاة في الفقه وباب الزكاة في الحديث ، فإذا كانت حصة الفقه قرر المسألة على مذهب الحنابلة بدليلها عندهم ، وإذا كان درس الحديث قرر المسألة على ما تنص عليه الأحاديث

---

(٢) الرحمة ، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٠٣ .

فإن وافقه المذهب كان تأييداً له وإذا خالفه أشار إلى وجه الترجيح ودعا إلى الأخذ بما يسانده الدليل ، بدون تعصب لمذهب معين » .

٣ – المناقشة العلمية بالدليل والحجة والبيان وكان –رحمه الله– يناقش طلابه في المسائل العلمية بالدليل والحجة القوية ، ونصاعة البيان » .

٢ – نائباً ورئيساً للجامعة الإسلامية :

عند تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٣٨١هـ عُين الشيخ ابن باز – رحمه الله – نائباً لرئيسها إلى عام ١٣٩٠هـ ، ثم بعد ذلك تولى رئاستها – بعد وفاة رئيسها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – واستمر في رئاستها إلى عام ١٣٩٥هـ ، وقد بذل – رحمه الله – قصارى جهده لاحتضان الجامعة في هذه الفترة ؛ فترة التمهيد والبناء والتخطيط .

لقد بدأت الجامعة عام ١٣٨١هـ ذات مرحلتين ، ففي جانب ، معهد للدراسة الإعدادية والثانوية ، وفي الجانب الآخر كلية لعلوم الشريعة . . وهي الآن تضم مع المعهدين شعبة خاصة لتعليم العربية لغير العرب ، وإلى جانب كلية الشريعة أربع ، إحداهن لأصول الدين والدعوة ، والثانية كلية القرآن والدراسات الإسلامية ، وثالثة للعربية وآدابها ، ورابعة للحديث الشريف . . ثم قسم الدراسات العليا . . وإن كانت بعض هذه المنشآت لم تظهر إلاّ بعد انتقال الشيخ إلى الرياض ، إلاّ أن التخطيط لذلك سبق انتقاله ، وكان له الأثر البعيد في التوجيه إليه ، ذلك أنه يرى للجامعة رسالة علمية تستدعي تجهيزها بكل الإمكانات التي تساعدها على أدائها [١] .

لقد استطاع – رحمه الله – أن يجعلها تصل إلى أعلى مرتبة ممكنة لمؤسسة خاصة بنشر العلم النافع . وقد تخرج منها أفواجاً كبيرة من أبناء العالم الإسلامي ، عادوا إلى بلادهم مشاعل هداية ودعاة إسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفق ما تعلموه على يديه في هذه الجامعة من منهج سلفي قويم [٢] .

---

(١) الرويشد ، مرجع سابق ، ص٨٤ ـ ص٨٥ .

(٢) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص١٧ .

طريقته في إدارة الجامعة

لم يكن الشيخ ابن باز في إدارته للجامعة في مكان المدير الآمر الناهي ، بل كـــان يقوم بدور القائد المربي ، يجمع بين العمل الإداري من التخطيط والإشراف وغير ذلـك ، وبين التربية والتوجيه عبر الكلمة والمحاضرة النافعة . فمن مواقفه التربوية :

– **المراقبة** : كان يتفقد الفصول بين الحين والآخر ، فيستمع إلى دروس المشايخ ، ويلقي توجيهاته الحكيمة .

– **والتوجيه** : كان يتردد على قاعات المدرسين فيسألهم عن صحتهم وراحتــهم ، ويحاورهم في شئون التعليم ، ويشجعهم على المزيد من الجهد في خدمة الطلبـــة ابتغـاء ما عند الله .

– **التنظيم** : كان يرتب الاجتماعات السنوية مع أســاتذة المعــاهد ، وأســاتذة الكليات الأخرى ؛ فيجتمع بهم في مطلع كل عام دراسي ، ويتداول معهم أمور الجامعة ، وضرورة الانتفاع من الخبرات الماضية ، مؤكداً على وجوب الاهتمام بأصول العقيــدة ، والعناية باللغة العربية ، ويجتمع معهم أيضاً في نهاية العام الدراسي[١] .

–**التشاور** : كان يناقش أعضاء مجلس الجامعة ، ويعطي الفرصة لكل عضو حـــتى يبدي رأيه بصراحة ثم يطرح الآراء المختلفة للتصويت ، وكثيراً ما يكون هذا الـــترجيح مخالفاً لرأي الشيخ ، ولكن ثقتـــه بأعضاء المجلس ، والتزامه مبدأ الشورى ينتهيان بـــه إلى الرضـــى التام بكل ما تم [٢] .

٣ – الدروس وحلقات العلم :

دروس الشيخ – رحمه الله – لها طابع مميز ، فهي أشبه بدروس السلف ، وقد بدأها الشيخ في الدِّلم عندما تولى قضاء الخرج ، وكان يحب استمرارها والانتظام فيها طـــوال عمره ، فلم تنقطع إلا بموته – يرحمه الله – وكان من شدة تعلقه بهـــا ينقلــها حيث ارتحــل . فلا يُـبَالغ في القول ، إن قيل أنها شغُلت معظم وقته ، وشملت بنفعها معظـــم

(١) الرويشد ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

(٢) مجلة الأربعاء ، ٤/ صفر/١٤٢٠هــ ، صفحات من حياة إمام أهل السنة في القرن العشرين ، ص٧ .

أرجاء المملكة العربية السعودية . فقد استمرت أكثر من ستين عاماً ، وكانت على أربعة مراحل ؛ وذلك حسب تنقلات الشيخ وأعماله الوظيفية : في الخرج ، في الرياض ، في المدينة المنورة ، ثم أخيراً في الرياض . وكان – رحمه الله – أيام الصيف ينقلها إلى الطائف حيث إقامته فيها .

وفيما يلي وصف شامل ومفصل بعض الشيء لهذه الدروس في مراحلها الأربع :

أ – في الخرج : لقد أحدث الشيخ ابن باز – رحمه الله – عند مجيئه الدِّلم قاضياً للخرج ؛ نقلة كبيرة في جميع النواحي وبالأخص الناحية التعليمية ، إذ وجد قلوباً محبة للخير والعلم والصبر على ذلك ، فعقد حلقات التدريس في الجامع الكبير في الدِّلم لطلاب العلم الذين أخذوا يتوافدون عليه من الدِّلم والقرى المحيطة به ، ومن داخل المملكة ومن خارجها ، ولم تقتصر تلك الحلقات على الجامع ، بل كان هناك حلقة في بيته لبعض الطلاب الملازمين له ، فكان غالب يومه في غير أوقات القضاء في الدرس والتربية والتعليم . وكانت دروسه – رحمه الله – مرتبة في كتب العقيدة والحديث والفقه والنحو .

وكان قد خصص لطلابه بعض المساعدات الشهرية على حساب المحسنين ، والتي أصبحت فيما بعد مكافآت شهرية ، تُرسل إليه من المسئولين وعلى رأسهم الملك عبد العزيز وولي عهده الأمير سعود – رحمهما الله – فيكلف الشيخ من يوزعها على الطلاب تشجيعاً لهم على طلب العلم ، ومساعدة لهم على تكاليف الحياة .

وكذلك سعى الشيخ ابن باز ببناء السكن لهم بدعم من الملك عبد العزيز – رحمه الله – قرب جامع الدِّلم الكبير ، الذي أصبح بعدها أشبه بجامعة علمية .

وأما عن دروس الشيخ فقد كانت له حلقتان في الجامع الكبير في الدِّلم :

– حلقة بعد صلاة الفجر في التوحيد والفقه والحديث والنحو ، وتستمر إلى الضحى .

– والحلقة الثانية بعد صلاة المغرب إلى ما بعد صلاة العشاء ، بعد المغرب في الفرائض ، وبعد صلاة العشاء في التفسير ، بالإضافة إلى حلقة في بيته لبعض طلابه الملازمين له .

- وكان بعد صلاة الجمعة يستقبل عموم الناس في بيتـــه ويفيدهـــم بـــدرس في التفسير .

وكانت له أيضاً حلقتان بعد صلاة الظهر وبعد صلاة العصـــر ؛ ولكـــن الشـــيخ أوقفهما بعد ذلك لازدحام برنامجه بالأعمال [١] .

ب – "في الرياض : انتقل الشيخ ابن باز – يرحمه الله – إلى الرياض للتدريـــس في المعهد العلمي ، واستمرت دروسه على ما كانت عليه ، ولكن كان الطابع العام لها يظهر من خلاله اهتمام الشيخ بكتب الحديث ، وخاصة "بلوغ المرام" و"شرح نخبة الفكـــر"، وكلاهما للحافظ ابن حجر ، وقد اجتمع عليه خلالها أفاضل الطلاب وخيار التلاميذ مـــن عام ١٣٧١هـــ حتى عام ١٣٨٠هـــ .

ج – في المدينة المنورة : نظم ابن باز دروسه في الجامعة الإســـلامية وفي المســـجد النبوي وغيرهما ، وفيها اجتمع له الطلاب من كل حدب وصـــوب ، وصـــار أســـتاذاً لأخلاط الجنسيات الإسلامية التي تتوافد إلى المدينة ، فكانت هذه المرحلة من مراحل حياة الشيخ الذهبية ؛ التي اجتمع له فيها من العلوم والمعارف ، والعلاقات والاتصالات ، ما لم يكن قبـــل .

د – في الرياض مرة ثانية : بعد عودة الشيخ إلى الرياض وتعيينه رئيساً للإفتـــاء ، نظم الحلقات العلمية في الجامع الكبير ، وكان إماماً له آنذاك ، وانتظمت هذه الـــدروس اثنين وعشرين عاماً ، وكان يحضرها أهل العلم والفضل والدعوة والتعليـــم ، وواظـــب عليها طلبة العلم ، وكانوا يتراصون بين يدي الشيخ حلقاً يصل عددهـــم إلى الألـــف ، وكان فيها من النشاط في الطلب ما لم ير مثله"[٢] .

وأما التنظيم العام لهذه الدروس فقد كان على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : خاص بطلبة العلم وغيرهم ، وهو يتكون من دروس صباحيـــة : في فجر يوم الأحد والاثنين والأربعاء والخميس ، والدروس المسائية : مغرب يوم الأحـــد .

---

(١) البرَّاك ، مرجع سابق ، ص٣٢ ــ ص٣٦ .

(٢) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٦٢ ــ ص٦٣ .

وقد استمرت على هذا النظام من عام ١٤٠٩هـ حتى ١٤١٦هـ ، فأُضيف إليها يوم الأربعاء . وتُقرأ في هذا القسم عدة كتب ، بعضها لم يكملها الشيخ لوفاته ، من هذه الكتب :

كتاب "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر .

كتاب "صحيح مسلم بشرح النووي" للنووي .

كتاب "سنن ابن ماجه" .

كتاب "سنن أبي داود" .

كتاب "سنن الترمذي" .

كتاب "سنن النسائي" (المجتبى) .

كتاب "الموطأ" للإمام مالك .

كتاب "مسند الإمام أحمد بن حنبل" ، تحقيق : أحمد شاكر .

كتاب "الفتح الرباني" .

كتاب "سنن الدرامي" .

كتاب "صحيح ابن حبان" .

كتاب "شرح السنة" للبغوي .

كتاب "المنتقى من أخبار المصطفى" لأبي البركات عبد السلام ابن تيميه .

كتاب "أصول الأحكام" لابن قاسم .

كتاب "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" لابن حجر .

كتاب "التوحيد" لمحمد بن عبد الوهاب ؛ يُقرأ على الشيخ متنه حتى يختم الباب ، ثم يبدأ الشيخ بالشرح .

كتاب "فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد" لـ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

كتاب "الأصول الثلاثة" لمحمد بن عبد الوهاب .

كتاب "قرة عيون الموحدين" لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

كتاب "كشف الشبهات" لمحمد بن عبد الوهاب .

كتاب "العقيدة الواسطية" لابن تيميه .

كتاب "الفتاوى" لابن تيميه ، الجزء ٥ ، ٢١ .

كتاب "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" الجزء ١ ، ٢ .

كتاب "التوحيد" لابن خزيمة .

كتاب "منار السبيل في شرح الدليل" لإبراهيم الضويان .

كتاب "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل" للألباني .

كتاب "متن الرحبية" .

كتاب "الفوائد الجلية في المباحث الفرضية" لابن باز .

كتاب "الروض المربع" للبهوتي .

كتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم .

كتاب "الاستقامة" لابن تيميه .

كتاب "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم .

كتاب "مفتاح دار السعادة" لابن القيم .

كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير .

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لابن تيميه (١).

النوع الثاني : بعد صلاة الجمعة في منزل سماحته – رحمه الله – يُقرأ عليه فيه تفسير البغوي – وهذا الدرس لعامة الناس يأتون للسلام على الشيخ .

النوع الثالث : وهي الدروس التي في المسجد الذي بجوار بيته "مسجد اليحيي" ، وهي درسان : درس بعد صلاة العصر من كل يوم ، ودرس بين الآذان والإقامة من صلاة العشاء ، وهي لجماعة المسجد ولكن يحضرها طلبة العلم . ويُقرأ فيها كتاب واحد من الكتب الآتية :

"رياض الصالحين" للإمام النووي .

"التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب .

"العقيدة الواسطية" لابن تيميه .

"الجواب الكافي" لابن القيم .

"كشف الشبهات" لابن عبد الوهاب .

"بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر .

"الأصول الثلاثة" لابن عبد الوهاب .

"القواعد الأربع" لابن عبد الوهاب .

"شروط الصلاة" لابن عبد الوهاب .

"الوابل الصيّب ورافع الكلم الطيّب" لابن القيم .

"الكبائر" للذهبي .

"وظائف رمضان" لابن رجب . ويُقرأ هذا الأخير قبل رمضان وفي أيامه .

---

(١) الحيَّان ، خالد بن علي . الإلمام بطريقة دروس سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار القاسم للنشر ، (١٤٢٠هـ) ، ص٢٨ ـ ص٤٦ .

وقد تميزت دروس هذا القسم بأمور :

١- أنها مستمرة طوال العام .

٢- الكتب الماضي ذكرها لا تتغير ولو ختمت .

٣- القارئ على الشيخ في هذه الدروس هو إمام المسجد ، وهو من بلاد الهند .

٤- قد يُغير الكتاب المقروء إلى آخر فترة معينة ثم يعاد إلى ما كان من قبل ومثله كذلك أن القراءة في كتاب "بلوغ المرام" تكون مبدوءً بها من أول الكتاب فإذا جاء شهر رمضان تُنقل القراءة إلى كتاب الصيام حتى يختم ثم تعود القراءة حيث وقفت[1] .

واستمرت هذه الدروس بدون انقطاع إلى ما قبل وفاة الشيخ بشهر تقريباً . وإن حدث أن توقفت قبل ذلك ؛ فلأسباب قوية قد تكون لانشغال الشيخ بحضور المجتمعات ، أو لعمله في الصيف بمكة ، أو لحلول شهر رمضان ، أو لاستعداده للحج .

ثانياً ـ آثاره

إن الناظر إلى آثار الشيخ ابن باز يجدها تنقسم إلى قسمين :

١ - مقروءة . ٢ - مسموعة .

وفيما يلي بياناً بأسماء بعضها :

١ - المقروءة

إن آثار ابن باز المقروءة والمطبوعة لتذخر بها المكتبة الإسلامية ، بل هي في اعتبار المصادر والمراجع التي يستفيد منها العلماء والباحثون وطلاب العلم . وهي على قلة بالنسبة لمكانته العلمية ، ولكنه - يرحمه الله - لم يمتهن التأليف ، و لم يتفرغ له ؛ وذلك لانشغاله بأمر الإفتاء والدعوة إلى الله ، والتدريس وتربية طلاب العلم الذين تخرجوا على يديه وأصبحوا بمثابة المراجع العلمية ، وغير ذلك من النشاطات والمسئوليات التي استغرقت الكثير من وقته . وما كان يلجأ إلى التأليف إلاّ إذا طرأت الحاجة ، ومع هذا

---

(١) الحيَّان ، مرجع سابق ، ص٤٦ـ ص٤٨ .

فله العديد من البحوث العلمية والردود الفقهية والاجتماعية والفتاوى المختلفة المنشـــورة عبر الصحف والمجلات ووسائل الإعلام المختلفة .

وقد قام الشتوي بحصر مؤلفات ابن باز في ثمانية أنواع :

١- التأليفات والمصنفات .

٢- التقديمات والمراجعات .

٣- التعليقات والحواشي .

٤- التعميمات والتكليفات .

٥- التوجيهات والمقالات .

٦- الفتاوى والسؤالات .

٧- اللقاءات والمقابلات .

٨- الردود والتعقيبات[1] .

وفيما يلي عرضاً لأسماء بعض المؤلفات عامـــة مرتبة على اعتبار أماكن وجودها :

١. متن الرحبية والفوائد الجلية في المباحث الفرضية .

٢. التحذير من البدع .. ويشتمل على أربع مقالات هي : حكم الاحتفـــال بالمولد النبوي ، ليلة الإسراء والمعراج ، ليلة النصف من شعبان ، تكذيب الروايـــة المزعومة من خادم الحجرة النبوية المدعو الشيخ أحمد .

٣. رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام .

٤. وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها .

٥. وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه .

٦. حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار .

٧. نقد القومية العربية .

٨. الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته .

٩. ثلاث رسائل في الصلاة : كيفية الصلاة على النـــبي ﷺ ، وجـــوب أداء

---

(١) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٦٦ .

الصلاة في جماعة ، وأين يضع المصلي يديه حتى الرفع من الركوع .

١٠. حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله ﷺ .

١١. حاشية على فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المجلدات ١، ٢، ٣ .

١٢. رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس ، وسكون الأرض ، وإمكان

١٣. الصعود إلى الكواكب .

١٤. إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله ، أو صدق الكهنة والعرّافين .

١٥. الجهاد في سبيل الله [١] .

١٦. حاشية على متن العقيدة الطحاوية [٢].

١٧. نقد الاشتراكية (١٣٨١هـ–١٩٦١م) .

١٨. موقف اليهود من الإسلام وفضل الجهاد في سبيل الله (١٤٠٣هـ–١٩٨٣م) .

١٩. الرسائل والفتاوى النسائية .

٢٠. تبصرة وذكرى ، رسائل في الطهارة والصلاة والجنائز . يشترك فيها الشيخ ابن باز مع كلٍ من الشيخ ابن عثيمين والشيخ ابن جبرين[٣] .

٢١. الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب [٤] .

٢٢. مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة . وشاركه التأليف : صالح بن فوزان الفوزان ، وصالح بن غانم السدلان ، وعبد الله بن محمد الرفاعي .

٢٣. علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين . وشاركه التأليف :

---

(١) البكران وآخرون ، مرجع سابق ، ص٢٩ _ ص٣٠ .

(٢) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٦٦_ ص٦٧ .

(٣) مجلة الأربعاء ، ٤/صفر/١٤٢٠هـ، قراءة في بعض مؤلفات سماحة الشيخ بن باز ، ص٢٠ _ ص٢١ .

(٤) المجذوب ، مرجع سابق ، ص١٠٠ .

رضا بن نعسان معطي .

٢٤. مجموعة رسائل في العقيدة . جمعها نايف بن ممدوح بن عبد العزيز آل سعود .

٢٥. حكم الترتيب بين أعمال الحج يوم النحر .

٢٦. إيضاح ما توهمه صاحب اليسر من تجويزه ذبح الهدي قبل وقت نحره/بقلم عبد الله بن حميد . وشاركه في التأليف عبد الله بن سليمان بن منيع .

٢٧. مجموعة رسائل في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم . وشاركه في التأليف : محمد بن صالح العثيمين ، وعبد الرحمن بن محمد بن القاسم[1] .

٢٨. مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز . (١٤١٦هـ) ويقع في سبعة أجزاء ، إعداد عبد الله الطيار وأحمد ابن باز . ـ وهذه المجموعة تضم أكثر مؤلفات ابن باز وفتاواه .

٢٩. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . (١٤٢٠هـ) ، ويقع في ثلاثة عشر جزءً ، جمع محمد الشويعر . ـ وكذلك هذه المجموعة تحتوي على مؤلفات الشيخ ورسائله السابقة في العرض واللاحقة أيضاً .

٣٠. القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها . (١٤١٩هـ) ، إعداد خالد الشايع .

٣١. بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً وبعث به خاتمهم محمداً ﷺ . (١٤١٧هـ) .

٣٢. تحفة الأخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام . أشرف على جمعه محمد الشايع (١٤٢١هـ) .

٣٣. التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة في ضوء الكتاب والسنة .

٣٤. الدروس المهمة لعامة الأمة .

---

(١) ابن باز ، موقع سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله . Www. binbaz. Org. SA.

٣٥. فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة .

٣٦. وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة .

٣٧. الجواب المفيد في حكم التصوير .

٣٨. العقيدة الصحيحة وما يضادها .

٣٩. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة .

إن مؤلفات الشيخ – رحمه الله – في الغالب رسائل علمية متخصصة في بعض الموضوعات الطارئة والهامة لعامة المسلمين وخاصتهم ، فمضمونها عظيم النفع ، جم الفائدة . لم يبتغ – رحمه الله – من ورائها حظاً من حظوظ الدنيا – رغم كثرتها في الأسواق .

وأما تعليقاته على بعض الكتب فكثيرة ، منها :

– تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من الأدعية والأذكار .

– التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة .

– تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان .

إلى غير ذلك . ومنها ما لم يطُبع : كتعليقه على كتاب بلوغ المرام ، وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر[1] .

وأما تقديمه لبعض الكتب ، فمنها :

– عقيدة أهل السنة والجماعة . تأليف محمد صالح العثيمين .

–الحداثة في ميزان الإسلام . تأليف عوض بن محمد القرني .

– المنهاج للمعتمر والحاج . تأليف سعود الشريم .

– علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين . تأليف رضا بن نعسان معطي .

– قواعد في التعامل مع العلماء . تأليف عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق .

---

(١) الفريح ، أحمد بن عبد الله . الشيخ ابن باز ومواقفه الثابتة . ط١ ، الكويت : مكتبة الرشد ، (١٤٢٠هـ) ، ص١٤ .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ، موقع ابن باز على الإنترنت (١٤٢١هـ) وهو من أضخم وأكبر المواقع الإسلامية حيث يحتوي على أكثر من (١٠،٠٠٠) صفحة من الكتب والرسائل والفتاوى ، وحوالي (٣٠٠٠) ساعة صوتية لفتاوى الشيخ ومحاضراته الإذاعية . والمشرف العام عليه ابنه أحمد بن باز [1] .

٢ – المسموعة

أما آثار الشيخ ابن باز المسموعة -الأشرطة- فهي كثيرة جداً تفوق الحصر والعدّ ، وتفوق أضعاف ما أُثر عنه من مؤلفات . وذلك لأن الشيخ -رحمه الله- كان همّه الكبير وشغله الشاغل في حياته : توجيه الناس وإرشادهم ، فكان دائم اللقاء بهم ، لا ينقطع عن الحديث معهم والاستماع لهم ؛ يحضر الاجتماعات والدعوات ، ولا يرد دعوة من دعاه إلى إلقاء كلمة أو التعليق على محاضرة ، أو حضور وليمة وإلقاء كلمة فيها أو الإفتاء في أمر ما .

وكان رغم كثرة مشاغله يسجل بعض البرامج الدينية والدعَوية المهمة في الإذاعة ، منها برنامج "نور على الدرب"، وهو برنامج ثابت منذ قرن من الزمان ، وله كذلك برنامج نافع ومفيد ؛ وهو"شرح كتاب المنتقى من أخبار المصطفى" لمجدالدين أبي البركات عبد السلام ابن تيميه [2] .

وعن برنامج نور على الدرب تعقب إحداهن بقولها : وكما تشرق أشعة الشمس فتضيء بنورها الأماكن المعتمة والزوايا المظلمة أشرق علم الشيخ -رحمه الله- فأخذ يبدد ظلم الجهل شيئاً فشيئاً ، ومن خلال إذاعة القرآن الكريم وبرنامج نور على الدرب تعلمت النسوة أشياء مهمة وكثيرة ، وتعلقت به قلوب الكثيرات منهن ، فهذه جدة لا تألو جهداً في متابعة البرنامج ، وكلما دعاها أولادها للعشاء ، قالت : بعد نور على الدرب . حتى أصبح معروف عنها ذلك ، فلا تجيب ولا تتحدث مع أحد وتستشهد دائماً بفتاوى الشيخ . وأخرى تفرض حظر التجول في المترل إذا حان وقت البرنامج ؛

---

(١) المؤسسة العربية للأبحاث والعلاقات العامة . الملف الإعلامي . المملكة العربية السعودية . ص٤٩ .

(٢) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٩٤ .

حتى لا يزعجها أحد . وما تعلقت به النسوة وغيرهن إلاّ لما لمسن الفائدة وذقن حـــلاوة العلم الرباني الذي يجعل المسلمة تعبد الله على بصيرة [١] .

ثالثاً : العلم عند ابن باز

سوف تتعرض الدراسة في هذا المحور لأربع قضايا هي كالتالـــي :

١ – أســاس العلــم .

العلم مفتاح كل خير – هذه الجملة صدَّر بها ابن باز محاضرة ألقاها عن العلـــم[٢] . وكثيراً ما كان يحاضر عن فضل العلم وبيان شرف أهله ، قال تعالى :{ قُلْ هَلْ يَسْـتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ }[٣]، وقال تعالى : { وَتِلْــكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُــهَا لِلنَّــاسِ وَمَــا يَعْقِلُــهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ }[٤] .

وقد جمع سماحته – يرحمه الله – جانباً من العلوم قل أن يجده الناس في عالم ، وجمع جملة من الأخلاق الفاضلة ، والآداب المستحبة ، وكان لا يعظ غيره إلاّ ويكون هو المثال الحيّ لما يعظ به ، فلا يكاد يراه المترقب إلاّ مؤولاً للقرآن ، ومتبعاً للسنة قولاً وعمـــلاً . يذكره الشيخ عبد الله المنيع بقوله : لا شك أن شيخنا ووالدنا الشيخ عبد العزيز ، إمـــام ومجدد في عصرنا الحاضر ، فهو إمام في علم الحديث ، وفي رجاله بلا نزاع ، وهو إمام في الفقه ودقة النظر ، وإمام في الدعوة إلى الله بلسانه وقلمه ونفسه وماله ، وهو إمام في كرم النفس وكرم اليد ، وإمام في النصح والعمل والمثابرة عليه ، وإمام في السماحة والتواضع

---

(١) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٣ ، ابن باز وهموم المرأة ، ص٤٥ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٥٩ .

(٣) سورة الزمر ، آية (٩) .

(٤) سورة العنكبوت ، آية (٤٣) .

والقناعة والتقوى والصلاح [١] .

وقد قام طلبة العلم على نهجه ، يعلّمون الناس ويدعون إلى الله . وفي هذا يذكره السديري بقوله : إن لمدرسة الشيخ أثر كبير في نشر السنة والاهتمام بحديث رسول الله ﷺ ، ولقد تأثر طلبة العلم المعاصرون ، والجامعات الإسلامية بنهج الشيخ ومدرسته في الاهتمام بتحقيق الآراء والفتاوى ، واعتماده على السنة الصحيحة المأثورة عن رسول الله ﷺ [٢] . يذكره الشيخ صالح اللحيدان بقوله : كان سماحته – يرحمه الله – مثالاً لعلماء السلف في زهده وورعه ونصحه ، كان مثالاً لمن أراد أن يقتدي بعالم يجعله قدوة له في نصحه ووعظه وتعليمه وتحمُّله . . ثم قال : هو من نوادر علماء هذا الزمان . . وإذا قال قائل لا أعلم في هذا الزمن الحاضر عالماً يساويه في مجموع علومه مع النصح والتقى والورع ، لم يكن مجازفاً في ذلك ، بل إن الرجل كأنما نذر نفسه لدين الله جل وعلا ولكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ [٣] .

يعتبر ابن باز العلم الشرعي هو أساس مختلف العلوم « فهذا العلم هو العلم الحقيقي الذي أثنى الله على حملته ورفع قدرهم وجعلهم من الشهداء على وحدانيته »[٤] . ولقد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على فضل العلم والتفقه في الدين ، وما يترتب على ذلك من الخير العظيم والأجر الجزيل ، والذكر الجميل ، والعاقبة الحميدة لمن أصلح الله نيته ، ومنَّ عليه بالتوفيق[٥] . قال تعالى :{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ }[٦] .

يربط ابن باز بين العلم والدين والعمل ، ثلاثة عناصر مرتبطة ببعض ، وكأنها دائرة مغلقة ، إذا انفك أحدها انفرط الآخر « وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجب الله وترك ما حرم

---

(١) الرحمة ، مرجع سابق ، ص٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص٧٥ .

(٣) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص١٨ .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٦/ص٢٤٥ .

(٥) المرجع السابق ، ج٧/ص٢٠٠ .

(٦) سورة المجادلة ، آية (١١) .

الله ، فإن العمل نتيجة العلم لمن وفقه الله ، وهو مما يؤكد العزم على كل خير ، فلا إيمان ولا عمل ولا كفاح ولا جهاد إلاّ بالعلم ، فالأقوال والأعمال التي بغير علم : لا قيمة لها ، ولا نفع فيها ، بل تكون لها عواقب وخيمة ، وقد تجر إلى فساد كبير »[1] .

« ولكي ندرك أهمية الفقه في دين الله وأنه نور لحامله والعامل به في الدنيا والآخرة ، ولكي ندرك أهميته وجدواه نجد النبي ﷺ يقول : (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)[2] .

« فالواجب على المسلمين التفقه في دينهم . .فإن بعض الناس هداهم الله ووفقهم ، قد يحيط بعلوم كثيرة من علوم الحياة ويبرز فيها ، ولكنه لا يعلم شيئاً من أحكام دينه ، وأسرار شريعته ولا يهتم بذلك . وهذا هو الجهل الفاضح والمصيبة العظمى ، فإن العلم بأحكام الله يجب أن يكون مقدماً على المعارف الأخرى ، ولا مانع من التزود بالعلوم والمعارف الأخرى ولكن لا بد من تقديم الأصل الأصيل »[3] .

وهنا يقرر ابن باز مبدأ هاماً وضرورياً في حياة كل مسلم وهو : ضرورة تعلم العلم الشرعي بالقدر الذي يستطيع به المسلم أن يؤدى العبادة على الوجه الصحيح والأكمل .

ويعتبر ابن باز العلماء الذين وفقهم الله لحمل هذا العلم طبقتين : « إحداهما حصّلت العلم ووفقت للعمل به ، والتفقه فيه ، واستنبطت منه الأحكام ، فصاروا حفاظاً وفقهاء نقلوا العلم وعلموه الناس وفقهوهم فيه وبصروهم ونفعوهم ، فهم ما بين معلم ومقرئ وما بين داعٍ إلى الله ﷻ ، ومدرس للعلم .

أما الطبقة الثانية فهم الذين حفظوه ونقلوه لمن فجّر ينابيعه ، واستنبط منه الأحكام فصار للطائفتين الأجر العظيم ، والثواب الجزيل والنفع العميم للأمة .

وأما أكثر الخلق فهم كالقيعان التي لا تمسك ماءً ، ولا تنبت كلأً لإعراضهم وغفلتهم وعدم عنايتهم بالعلم »[4] . وهذا ما ورد في تمثيل الرسول صلى عليه وسلم

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٥٩ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٠٣٧) ، ص٤٣٧ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج٧/ص٢٠٢ ـ ص٢٠٣ .

حيث قال : (إن مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة ، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه بما بعثني الله به ، فعلم وعلّم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به)[1] .

ويمكن إجمال أسباب جعل العلم الشرعي دون غيره ضرورة فيما يلي :

١ - أنه السبيل الوحيد من دون العلوم لبث النور والمعرفة في حياة الإنسان لكي يعرف ربه ونفسه والكون حوله ، ولكي يعرف كيف يعبد الرب ﷻ « ولا يمكن للإنسان أن يفهم دينه ويعمل به ، إلا إذا عرف أحكامه ، وأولاها اهتمامه وعنايته ، وبذل جهده وطاقته للإلمام بها ، لتكون عبادته لربه بُنيت على أساس صحيح ومتين »[2] .

٢ - ولكونه دون غيره يرفع الجهل والضلال ، الذي أصاب أكثر المسلمين ، وكان سبباً في ضعفهم وتأخرهم عن ركب الحضارات « وترجع أسباب الضعف والتأخر وتسليط الأعداء إلى سبب نشأت عنه أسباب كثيرة وعامل واحد نشأت عنه عوامل كثيرة وهذا السبب الواحد والعامل الواحد هو : الجهل ؛ الجهل بالله وبدينه وبالعواقب التي استولت على الأكثرية ، فصار العلم قليلاً والجهل غالباً »[3] .

ولا يخفى على كل ذي لب ما نشأ عن الجهل في الأمة الإسلامية من أسباب وعوامل أخرى منها « حب الدنيا وكراهية الموت ، ومنها إضاعة الصلوات واتباع الشهوات ، ومنها عدم الإعداد للعدو والرضى بأخذ حاجاتهم من عدوهم ، وعدم الهمة العالية في إنتاج حاجاتهم من بلادهم وثرواتهم ، ونشأ عن ذلك أيضاً التفرق والاختلاف وعدم جمع الكلمة وعدم الاتحاد وعدم التعاون »[4] .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٢٨٢) ، ص١٠٠١_ص١٠٠٢ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٩٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج٥/ص١٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢/ص١٠٢_ص١٠٣ .

لهذا كله كان لابد من العلم الشرعي : العلم الذي يرتفع به الجهل والبلاء ، وينتشر به الخير والهدى والصلاح بين الناس ، ويستطيعون به دفع الباطل وكل فساد فهم في أشد الحاجة له « وكلما انتشر العلم الشرعي بين الناس في أي مكان ، أو في أي قرية ارتحل عنها الجهل والبلاء ، وارتحل عنها من يدعو إلى الاعتقادات الفاسدة والظنون الباطلة ، والأعمال الشركية »[١] من البدع والانحرافات الدينية وغيرها من المعاصي المنتشرة .

٣ - ولاعتباره المنهج الصالح لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية ، فكيف للإنسان أن يعرف كيف يتعامل مع البشر ، وآن له بعلم يُمنّهج له كل صغيرة وكبيرة في حياته وحياة الآخرين : الحياة الزوجية ، الأسرة ، الجيران ، الأقارب ، البيوع ، السياسة ، الاجتماع ، وكل مجالات الحياة الآخرة « هو العلم الشرعي الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق أحد أن يعبد سواه ، وأنه الرب الخالق الرازق والمتصرف بهذا الكون والمنعم على جميع العالمين ، والموصل أيضاً إلى معرفة رسول الله محمد ﷺ ، وأنه الرسول الخاتم المبلغ عن الله شرعه ووحيه ، والموصل إلى معرفة هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ عن الله وبلّغنا به في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما يشمل جميع نواحي حياتنا في الاعتقاد والسياسة والاجتماع وفي القضاء والتشريع والاقتصاد وجميع ما يحتاجه المسلمون في أمور حياتهم ومعادهم »[٢] .

٤ـ وبالعلم تُفتتح مجالات العمل ويتسع النشاط البشري أكثر « كما أن التفقه في الدين يعطي الشعب والوالي النشاط الكامل في كل ما يحبه الله ويرضاه .. فإن العلم النافع يدعو إلى العمل والتكاتف والتناصح والتعاون على الخير »[٣].

٥ـ « لكون الله عز وجل قد ذم من غفل عنه كلية وانصرف إلى غيره من علوم الدنيا وتعلق بها ، يقول الله تعالى : { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ }[٤] ، أي : أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا ومكاسبها وشؤونها وما فيها ،

(١) المرجع السابق ، ج٨/ص١٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ج٦/ص٢٤٥

(٣) المرجع السابق ، ج٥/ص١٠٢ .

(٤) سورة الروم ، آية (٧) .

فهم حذّاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها ، وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة ، كأن أحدهم مغّفل لا ذهن له ولا فكرة » .

٦_ لكونه حجة بالغة لرد الباطل بأنواعه « فجميع ما يقدّمه أهل الباطل وما يُلبّسون به في دعواتهم المضللة وفي توجيهاتهم لغيرهم بأنواع الباطل وفي تشكيكهم غيرهم فيما جاء عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كله يندحض ويُكشف بما جاء عن الله ورسوله بعبارة أوضح ، وبيان أكمل ، وبحجة قيّمة تملأ القلوب وتؤيد الحق ، وما ذاك إلاّ لأن العلم المأخوذ من الكتاب العزيز والسنة المطهّرة : علم صدر عن حكيم عليم ، يعلم أحوال العباد ويعلم مشكلاتهم ويعلم ما في نفوسهم من أفكار خبيثة أو سليمة »[1] .

« فإذا تقدم دعاة الشيوعية والاشتراكية المنكرون لوجود الله والقائلون : (لا إله والحياة مادة) المكذبون بالحق والمنكرون لكتاب الله وما ورد فيه من الأدلة النقلية والعقلية على وجود الباري وقدرته العظيمة وعلمه الشامل ؛ فارجعوا إلى كتاب الله واقرؤوا من آياته ما يرشد إلى دلائل وجوده سبحانه .. يقول تعالى : { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } ، ثم يقول سبحانه بعدها : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }[2] .

٧_ ولكونه أيضاً « يعطي المعلومات الكافية عن الآخرة وعن الجنة ونعيمها وقصورها وما فيها من العذاب فيكسب القلوب نشاطاً في طلب الآخرة وزهداً في الدنيا »[3] .

إن جميع العلوم والمعارف هي مكمِّلة للعلوم الشرعية ومؤدِّية إليها . كيف لا وقد

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٦٠ .

(٢) سورة البقرة ، آية (١٦٣) ، آية (١٦٤) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص١٠٥ .

جاء ذكر بعضها في القرآن الكريم ،كما في الآية :{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}(١) إشارة إلى علم الأحياء . والآية :{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ}(٢) إشارة إلى علم الفلك . والآية في قوله ﷻ :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ}(٣) ففيها إشارة إلى أكثر من علم : علم الأرض والجيولوجيا ، وعلم الأحياء ، وكثيراً غيرها .

ومما يجدر ذكره هنا بعد هذه الإشارات القرآنية إلى وحدة المعارف والعلوم : أن القرآن الكريم ليس كتاباً في أي علم منها ولا يجدر بالعالم أن ينظر إلى التعمق في هذه الآيات لاستخراج نظريات علمية تجريبية تخضع للخطأ والصواب (٤) .

فمبدأ ابن باز في طلب العلوم : تقديم العلم الشرعي ، لضرورته ثم تعلُّم غيره من العلوم النافعة مما يحتاجه المسلمين مهنة ووظيفة « أن يوجد في بلاد المسلمين من الصناعة والإعداد والقوة ما يستطيع كل فرد بكل وسيلة ، حتى لا تكون حاجاته عند عدوه ، وحتى يعلم عدوه ما لديه من الإعداد والاستعداد فيرهبه وينصفه ويعطيه حقوقه » (٥) . وهذه هي القوة التي أمر الله ﷻ أن تُعد لمجاهة العدو ،كما قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ}(٦) فهذه العلوم لا غنى

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات (١٢ــ١٤) .

(٢) سورة فاطر ، الآيتان : (٢٧ــ٢٨) .

(٣) سورة التوبة ، آية (١٢٢) .

(٤) فرحان ، إسحاق أحمد . التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة . ط١ ، الأردن / عمّان : دار الفرقان ، (١٤٠٢هـ) ، ص٤٥ .

(٥) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص١٠٥ .

(٦) سورة الأنفال ، آية (٦٠) .

لأي مجتمع عنها ، وبقدر وجود التخصصات العلمية وتقدم التكنولوجية في الأمة تقـــدر قوتها وحضارتها ، وبقدرها تستقل وتستطيع الاستغناء عن الغير ، وتصبـــح حاجتـــها في يديها . ثم إن تعلُّم هذه العلوم يتطلب المشاهدة والتجربة وهذا لون من ألـــوان التـــأمُّل والتفكُّر في خلق السموات والأرض الذي بدوره يعمق الإيمان في القلوب .

وابن باز –يرحمه الله– يعتبر اختيار العلوم الأخرى من حرية الفرد العلمية ، وقـــد ترك هذه الحرية لأبنائه وبناته بعد أن كان يوصيهم بتعلُّم العلم الشرعي ، ومن ثَم يـــترك لهم حرية الاختيار

إن هذا المنهج في تقسيم العلوم يساعد على تأصيل العلـــوم ويحقـــق الشـــمول في التكوين العلمي، الذي اتصف به الفكر الإسلامي عموماً ، واتصف به في حدود معينـــة الكثير من أعلام الفكر الإسلامي الذين كانوا موسوعات علمية جامعـــة ، تفـــاعلت في أذهانهم العلوم عقليها ونقليها مما يخدم الحقيقة الدينية الإسلامية التي ظلت الغاية الدائمـــة لمنشأ العلوم وتطورها [١] .

غير أنه لتظهر أهمية العلوم الإسلامية وضرورتها يجب دراستها وتعليمها على نهـــج يختلف عن أساليب الدراسات التقليدية التي تركز بصفة عامة على بيان الأحكام ووجهـــة نظر المذاهب أو العلماء المختلفين في العصور المختلفة . فهذه الدراسة تميت العاطفة الدينية لدى المتعلمين من حيث لا يشعرون .

ولكن يا أيها المتعلم إذا أردت أن تفهم الإسلام على حقيقته وتفهم قيمه ومبادئـــه ومدى أهمية تلك القيم والمبادئ وضرورته للحياة الإنسانية ، عليك بإتبـــاع الخطـــوات التاليـــة [٢]:

١ – حاول أن تكشف النظريات الإسلامية في الميادين المختلفة ، تلك النظريـــات التي تضم تحت لوائها مجموعة الأحكام المتعلقة في ميدان معين مثل النظريـــة الأخلاقيـــة

---

(١) النجَّار ، عبد المجيـــد . مبـــاحث في منهجيـــة الفكـــر الإســـلامي. لبنـــان / بـــيروت : دار العـــرب ، (١٩٩٢م) الإسلامي . ص٧٤ .

(٢) ياجن ، مقداد . توجيه المتعلم إلى منهاج التعلّم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي . ط٣ ، المملكة العربيـــة السعودية / الرياض : دار عالم الكتب ، (١٤١٩هـ) ، ص١١٣ _ ص١١٦ .

والاقتصادية . .

٢- لا تتعلم حكماً من الأحكام أو مبدأ من المبادئ إلا وتتعلم معه حكمته التشريعية وقيمته الاجتماعية . .

٣- حاول أن تقارن تلك المبادئ والقيم بغيرها ؛ لأن قيمة الشيء تبرز عند قيامه بغيره .

٤ – حاول أن تدرس العلوم في ضوء العلوم والمكتشفات العلمية الحديثة .

٢ – علوم محرمة

لقد فتح الإسلام بعالميته مجال العلم بكل جوانبه المختلفة ، ولكنه اشترط في ذلك أن تكون هذه الجوانب العلمية نافعة للبشرية غير ضارة ولا محرمة . وهو يريد من المسلم في ذلك أن يكون مؤمناً مصدقاً بكل ما صح فهمه من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأن يكون عالماً عالمياً لا يقف عند حد في طلبه للعلوم . وأن يكون عقلانياً واقعياً لا يصدق الخرافات ، والمغيبات الباطلة التي لم يتعرض لها الإسلام ، بل منع من طلبها وتعلمها لعلة فيها وبما تسببه من الأضرار العظيمة وما تلحقه بالأفراد والمجتمعات من الأمراض النفسية والمشكلات الاجتماعية المختلفة .

من هذه العلوم المحرمة :

١ـ علم النجوم والأبراج

إن التعلق بالنجوم والأبراج علم يطلبه الكثيرون ويعتقدون فيه ما ليس فيه ، وهو على أشدّه في هذا العصر « إن ما يسمى بعلم النجوم والحظ والطالع من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها وبيان أنها شرك ؛ لما فيها من التعلق بغير الله تعالى ، واعتقاد الضر والنفع في غيره ، وتصديق العرافين والكهنة الذين يدعون علم الغيب زوراً وبهتاناً ويعبثون بعقول السذج والأغرار من الناس ، ليبتزوا أموالهم ويغيروا عقائدهم »[1] .

---

(١) ابن باز ، فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ج٢/ص٥٠٠ .

قال ﷺ : (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) [١] .

إن التصديق للخرافات والأوهام يوقع الإنسان في القلق والأمراض النفسية ؛ لأنها تقعده عن الأخذ بأسباب الحياة وتشل حركته ، وتجعل منه إنساناً ضعيفاً لا يقوى على تحمل المصائب ، وما قد يعتريه من مكدرات الحياة . وهذا بخلاف المسلم العقلاني الذي يعيش حياته بالإيمان ويشتغل بالنافع المهم من الأعمال ، فإذا أصيب بأمر قد أراده الله له ؛ رضي به وشكر الله جل وعلا ، وتابع حياته كما بدأ مؤمناً مطمئناً بقدر الله .

ثم إن الاشتغال بطلب مثل هذه العلوم يشغل الإنسان عن طلب العلوم المفيدة والنافعة ، وتجعله يسير في دائرة الخرافة والأباطيل ، فلا ينفع نفسه ولا يفيد غيره ممن حوله من المخلوقات .

٣ – منهج العلم

يراعي ابن باز في اختيار المنهج المناسب لدراسة العلوم على مبدأين :

١– مبدأ البدء بالأصل ثم الفرع ، ولهذا المبدأ يرغّب كل طالب بقراءة كتاب الله عز وجل ، فهو أعظم الكتب النافعة وأهمها « فيه الهدى والنور ، وفيه الدعوة إلى كل خير وبيان مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال »[٢] .

٢– مبدأ التدرج في التعلم ، ويقسّم الطلاب مراعاة لهذا المبدأ إلى قسمين :

القسم الأول : المبتدئين ، وهم الطلبة الذين لم يتمكنوا من العلم ، فهؤلاء ينصحهم « بحفظ المؤلفات المختصرة في العقيدة والحديث الشريف ؛ مثل : كتاب التوحيد . . آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– ، ومطالعة الكتب الآتية : فتح المجيد ورياض الصالحين والوابل الصيب وزاد المعاد وجامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب .. وأشباهها من الكتب المفيدة المختصرة » [٣] .

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي ، حديث رقم (٣٧٢٦) ، ج٢/ص٢٢٨ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص٤٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ج٥/ص٤٠٤ ــ ص٤٠٥ .

القسم الثاني : المتمكنين ، وهم الذين قد اطلعوا على بعض الكتب العلمية وتقدموا في الطلب ودرسوا المختصرات من الكتب ؛ فلديهم علما وفقها . فـــهؤلاء ينصحـــهم بالمطولات من كتب العلم ، وهي الأصول المرجعية « ثم كتـــب الســـنة الصحيحـــة ، كالبخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة المعروفة ، كأبي داود والـــترمذي والنســـائي وابن ماجه وسنن الدرامي ومسند أحمد بن حنبل وموطأ مـــالك - رحمـــة الله علـــى الجميـــع »[1] .

٤ - مصادر العلم

من أهم مصادر العلم التي يوصي بها ابن باز كل طالب علم وكل مســـلم عامـــة لإيجاد معرفة عامة وشاملة لدينه الحنيف وتأسيس ثقافته الدينية على دعائم ثابتة وأصيلة .

أ - كتاب الله

يعتبر ابن باز القرآن الكريم من أهم مصادر العلوم « فالقرآن رأس كل علم ، وهـــو الأساس العظيم ، وهو حبل الله المتين ، وهو أعظم كتاب وأشرف كتـــاب ، وأعظـــم قائـــد إلى الخير ، وأعظم ناهياً عن الشر »[2] .

ويعلل كونه رأس العلوم « إنه مع كونه تبياناً لكل شيء فيه هدى ورحمة وبشرى ؛ فهو بيان للحق وإيضاح لسبله ومناهجه ودعوة إليه بأوضح عبارة وأبين إشارة ، ومـــع ذلك فهو هدى للعالمين في كل ما يحتاجون إليه في ذكر رهم والتوجه إلى ما يرضيـــه ، والبعد عن مساخطه ، ويبين لهم طريق النجاح وسبيل السعادة مع كونه رحمة في بيانـــه وإرشاده ، وهدىً وإحساناً وبشرى ، وتطميناً للقلوب بما يوضح من الحقائق ويرشد إليـــه من البصائر التي تخضع لها القلوب وتطمئن إليها النفوس ، وتنشـــرح لهـــا الصـــدور ، بوضوحها وظهورها ، يقول سبحانه :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّـــن رَّبِّكُـــمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}[3] .

---

(١) المرجع السابق ، ج٥/ص٤٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج٥/ص٦٩ .

(٣) سورة يونس ، آية (٥٧) .

وقال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}[1]، ولولا أن كتابه الله ﷻ ، وسنة نبيه ﷺ فيهما الهداية والكفاية لما رد الناس إليهما ، ولكان رده إليهما غير مفيد ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وإنما رد الناس إليهما عند التنازع والخلاف لما فيهما من الهداية ، والبيان الواضح ، وحل المشكلات والقضاء على الباطل ، ثم ذكر أن هذا شرط للإيمان فقال سبحانه :{إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ}، ثم ذكر أنه خير للعباد في العاجل والآجل وأحسن عاقبة ، يعني أن ردهم ما يتنازعون فيه إلى الله والرسول خير لهم في الدنيا والآخرة وأحسن لهم في العاقبة »[2] .

ب – كتب السنة

« وهكذا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي الوحي الثاني ، وهي الأصل الثاني ، وهي المفسرة لكتاب الله ، والدَّالة عليه »[3] .

وللسنة النبوية كتب كثيرة ، يوصي ابن باز كل مسلم ومسلمة بحفظ بعض منها ويعد ذلك من نعم الله العظيمة : « الأربعين النووية ، وتكملتها لابن رجب خمسين حديثاً ، وهي من أجمع الأحاديث وأنفعها . ومثل ذلك عمدة الحديث لـ الحافظ عبد الغني المقدسي ، كتاب عظيم جمع أربعمائة حديث وزيادة يسيرة من أصح الأحاديث في أبواب العلم . . فإذا تيسر حفظها فذلك من نعم الله العظيمة .

وهكذا بلوغ المرام لـلحافظ ابن حجر ، كتاب عظيم مختصر ، ومفيد محرر ، فإذا تيسر لطالب العلم حفظه فذلك خير عظيم .

ج – كتب العقيدة

كتابان جليلان للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هما : كتاب التوحيد ، وكتاب كشف الشبهات ، كتاب العقيدة الواسطية لـ شيخ الإسلام ابن تيميه ، فهو

---

(١) سورة النساء ، آية (٥٩) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٦٠ ــ ص٦١ .

(٣) المرجع السابق ، ج٥/ص٦٩ .

كتاب جليل مختصر عظيم الفائدة في مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة ، وكتاب الإيمان لـ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كتاب عظيم ، جمع فيه جملة من الأحاديث المتعلقة بالإيمان »[١].

« والقاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة ، والعقيدة الواسطية ، والتدمرية ، والحموية ، وهذه الخمسة لـ شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله » [٢].

وكتب ابن القيم « زاد المعاد في هدي خير العباد ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمُعطّلة ، واجتماع الجيوش الإسلامية ، والقصيدة النونية ، وإغاثة اللهفان من مكائد الشيطان .

ومن ذلك : شرح الطحاوية لابن أبي العز ، ومنهاج السنة لـ شيخ الإسلام ابن تيميه ، واقتضاء الصراط المستقيم له أيضاً ، وكتاب التوحيد لـ ابن خزيمة ، وكتاب السنة لـ عبد الله بن الإمام أحمد ، والاعتصام لـ لشاطبي ، ومن أجمع ذلك فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ، والدرر السنية في الفتاوى النجدية ، جمع العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله »[٣] .

رابعاً : آداب العالم

لقد شرف الله العلم وأهله فقال سبحانه :{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ}[٤] . « فلا يستوي هؤلاء وهؤلاء ، لا يستوي من يعلم أن ما أنزل الله هو الحق . . مع الذين قد عموا عن هذا الطريق . . فرق عظيم . . وقد بين الله سبحانه أنه يرفع درجات أهل العلم ، وما ذلك إلا لعظيم آثارهم في الناس ،

---

(١) المرجع السابق ، ج٥/ص٦٩ ــ ص٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج٧/ص٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج٧/ص٧٣ .

(٤) سورة الزمر ، آية (٩) .

ونفعهم لهم»[١] .

ولابن باز مطالب تربوية يوصي بها العالم المربي ، وهو يركز على الجانب التربوي ؛ لأنه يرى مهنة التعليم هي بالدرجة الأولى تربية وتوجيه .

ومن أهم الآداب التربوية التي يركز عليها ابن باز ويدعو إليها المعلم المسلم ما يلي :

١- خشية الله ﷻ

لقد مدح الله تعالى العلماء في كتابه الكريم بأعظم صفة فقال سبحانه :{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[٢]، هذه الآية : آية عظيمة وهي تدل على أن العلماء بالله وبدينه وبكتابه العظيم وسنة رسوله الكريم ، هم أشد الناس خشية لله وأكملهم خوفاً منه سبحانه « معلوم أن كل مسلم يخشى الله وكل مؤمن يخشى الله ، لكن الخشية الكاملة إنما هي لأهل العلم ، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام فهم أكمل الناس خشية ، ثم خلفاؤهم العلماء بالله وبدينه ، وهم على مراتب في ذلك متفاوتة ، وكلما قل العلم وقلت البصيرة ؛ قل الخوف من الله وقلت الخشية منه سبحانه ، فالناس متفاوتون في هذا الباب ، ولهذا يقول تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }[٣] .

٢- الإخلاص لله ﷻ

الإخلاص أمر مطلوب شرعاً من المسلم في كل شأن من شؤون حياته ، والعبادة شرطاها الإخلاص والمتابعة ، والعلم من أجلّ العبادات ، قال تعالى :{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}[٤] . والإخلاص مطلوب فيه على وجه الخصوص ؛

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، جج٢/ص٣٠٤ .

(٢) سورة فاطر ، آية (٢٨) .

(٣) سورة البينة ، الآيتان (٧ ، ٨) .

(٤) سورة البينة ، آية (٥) .

وذلك لأمرين :

الأول : أنه سبب لدخول الجنة والنار« والحذر من طلبه لغرض آخر كالرياء أو نحوه من أغراض الدنيا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار)[١]، فالتباهي والكبر والرياء والمماراة من أخلاق المنافقين « فذلك شأن المنافقين وأشباههم من أهل الدنيا»[٢].

الثاني : أنه السبب الأول لتحقيق الأهداف المنشودة من العلّم والتعلّم « ومن أهم الأسباب لإدراك المطلوب والفوز بالمرغوب فيه من العلم الشرعي : الإخلاص لله في ذلك ، والحذر من طلبه لغرض آخر كالرياء أو نحوه من أغراض الدنيا ، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ، يعني ريحها »[٣] . وينص على أن يكون هدف طالب العلم رضا الله تعالى ونفع الناس«ولكن هدفه أن ينفع عباد الله ، وأن يرضي ربه قبل ذلك »[٤] .

« والواجب على المعلم أن يعنى بهذا الأمر ، وأن يبدأ بنفسه فيكون مخلصاً لله في كل أعماله ، حسن السيرة والسلوك ؛ لأن الطالب يتأسى بأستاذه في الخير والشر» .

وكما يلزم ابن باز المعلم بالإخلاص في نفسه ، كذلك يلزمه « أن يوجه طلبته إلى ما ينفعهم ويعينهم على تحصيل العلم مذكّراً لهم بحسن العاقبة للمخلصين وسوئها لغيرهم »[٥] .

وبوجه عام فإخلاص العلم لله ﷻ أمر تنطوي تحته أهداف تربوية ، منها :

- أنه يزكي أهل العلم من كل ما قد يعلق في نفوسهم من الأغراض الدنيئة التي قد

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي ، حديث رقم (٢٦٥٤) ، ج٥/ص٣٢ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٣٤٩ .

(٣) أخرجه الأمام أبو داود

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٧/ص٢١٥ .

(٥) المرجع السابق ، ج١/ص٣٥٠ .

تحط من مكانتهم العلمية والاجتماعية ، من الأخلاق الذميمة كالحسد والتفاخر والرياء وغيرها ، فيجعلها نفوس خيّرة ، تحب الخير وتنشره بين الناس .

– أنه يؤدي إلى نفع البشرية ، وتسخير كل ما توصل إليه من نظريات وقوانين إلى مخترعات في النفع العام ، فيعّمر الأرض ولا يضر أحداً من الناس ؛ لأن الإخلاص قد خلّصه من أهداف الإفساد والإضرار بالناس .

– أنه يؤدي إلى إصلاح الأعمال وإتقانها ؛ لأنه لو كان لغير الله ، لما سعى فيه طالبه إلى درجة الإتقان والكمال ، ولكفاه ما يرضي الناس ، أو ما يؤدي غرضه الذي أراده من دون الله ﷻ .

أنه يقوم بخدمة الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء ؛ لأنه يؤدي إلى تقدمها علمياً ، وتوفير سبل الرقي والترفيه والتنمية الحضارية .

٣- التضلع في العلم

فقد كان الشيخ – يرحمه الله – غزير العلم وقوي المعرفة ، وكان لذلك يثير إعجاب الطلاب ، من دقة حفظه وتنوع علومه ومفاهيمه للمسائل المعروضة في دروسه . فعند عرض مسألة معينة للمناقشة من أحد طلابه ،كان الشيخ يذكر الأدلة من الكتاب والسنة ، ثم ما قاله الأئمة وأهل التحقيق ، كل ذلك بدون تحضير أو إعداد مسبق من قبل سماحته [١] .

٤ – الرفق بالمتعلمين

لا يكون الرفق في شيء إلا زاده حسناً هذا مبدأ من مبادئ الإسلام العامة ، وهو في حق المعلم له خصوصية شديدة وملحة ؛ لأنه يتعامل بالعلم وهو شرف عظيم ، ثم هو يتعامل مع طلبة العلم ، ولا يستطيع التأثير عليهم إلا بهذه الخصلة « فعلى الداعي إلى الله والمعلم والمرشد أن يتحرى الأساليب النافعة والرفق في كلمته ؛ حتى تقبل كلمته ، وحتى لا تتباعد القلوب عنه ، كما قال الله عز وجل لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: {فَبِمَا

---

(١) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢ ، ٥/صفر/١٤٢٠هـ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٢٣ .

رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}[(١)]، وأن يحذر الشدة والعنف ؛ لأن ذلك قد يفضي إلى رد الحق وإلى شدة الخلاف والفرقة »[(٢)] .

٥ ـ النصح والتوجيه

الدين النصيحة والتربية نصح وإرشاد والمربي تدفعه محبته وخوفه على أبنائه إلى نصحهم وإرشادهم إلى كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم . ومن النصح لطالب العلم تشجيعه على مداومة الطلب والإقبال عليه ، ومعرفة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة « إن من أهم الأمور في حق المعلم أن يوجه الطالب إلى الإقبال على طلب العلم حتى يعلم من أمور دينه ما لا يسعه جهله كمعرفة العقيدة الصحيحة وأحكام الصلاة والزكاة والصيام وأحكام الحج وأحكام المعاملات إذا كان ممن يتعاطى البيع والشراء ونحوهم »[(٣)] .

ثم النصح في التربية على الأخلاق والتمسك بها « ونوصي الأساتذة بالجد في توجيه الطلبة إلى الخير »[(٤)]، وهي مسئولية عظيمة في حق كل طالب علم « ولا شك أن الواجب على المدرسين والمدرسات أكثر من الواجب على غيرهم بالنسبة إلى الطلبة والطالبات ، فعلى المدرسين أن يعنوا بالطلبة ويوجهوهم إلى الأخلاق الفاضلة ، والصفات الحميدة ، والعمل بما علموا من العلم ، وعلى المدرسات أن يتقين الله في البنات ، وأن يعلمنهن الأخلاق الدينية الفاضلة والعقيدة الصالحة في الدراسة ، وفي المذاكرة والوعظ ، حتى يوجد جيل صالح من الطلبة والطالبات ، والمعلمين والمعلمات في المستقبل »[(٥)] .

وقد مدح الله عز وجل العلماء بفضل توجيههم الناس وارشادهم قال تعالى :{يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [(٦)] . « فآتلوهم

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٥٩) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٣٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج١/ص٣٤٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج٥/ص٢٤٣ .

(٥) المرجع السابق ، ج٥/ص٢٢١ .

(٦) سورة المجادلة ، آية (١١) .

بتوجيه الناس إلى الخير ، وإرشادهم إلى الحق ، وتوصيلهم للهدى ، وهي آثار عظيمة ، شكرها الله لهم ، وشكرها المؤمنون ، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام »[١] .

٦ ـ أداء واجبات التعليم

وينص ابن باز على أهمها : « الحرص على تحضير الدروس والعناية بها وتفهيم الطلبة لها ، وأن يكون الأستاذ قدوة صالحة لتلاميذه في كل خير »[٢] .

وقد كان –رحمه الله– لا يجلس لدروسه إذا فاته الاستعداد والتحضير لها ، والمراجعة في كتب العلماء واستخلاص الفوائد العلمية منها ، ثم شرحها وتبسيطها للطلاب .

٧ ـ تقبُّل النصيحة

الحق يُعلا على كل رأي ، ومن مبادئ التربية الإسلامية سماع النصيحة واتباع الحق ، والمعلم قدوة الطالب في سلوكه وأقواله فإن دعا إلى التناصح ورغَّب في قبول النصيحة ، ثم خالف سلوكه قوله ؛ فإنه سيهدم كل ما بناه ورباه في نفس الطالب من مبادئ وأخلاق ، ولخطوة هذا الأمر فقد حذَّر منه ابن باز : « فلا يرد الحق من التلميذ إذا صار التلميذ قد وفق لأمر خفي على الشيخ فإن الإنصاف يقتضي قبوله وهذه هي التقوى وهذا من التفقه في الدين لأن الدين يأمر بقبول الحق ممن جاء به »[٣] .

٨ ـ الثقة بالله عز وجل

لقد وعد الله ﷻ صاحب الحق بالنصر والتأييد ، والمعلم بيده رسالة التربية والتعليم ، وهي أمانة في عنقه عليه أدائه على أكمل وجه ، وتبليغ الحق بكل السبل ، وأن يصدع بها ولا يخاف في ذلك لومة لائم « وألا يبالي بما يرجف به المرجفون ضد الحق وأهله ثقة بالله ، وتصديقاً لما وعد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكافة الرسل ، كما في قوله جل وعلا :{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج٥/ص٢٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ج٧/ص١١٠ .

مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ}[١]»[٢] .

فطالب العلم والموجه ، والقائد البصير لا يبالي بإرجاف عباد القبور ، ولا بإرجاف الخرافيين ، ولا بإرجاف من يعادي الإسلام من أي صنف ، بل يصمد في الميدان ، ويصبر ويعلق قلبه بالله ، ويخافه سبحانه وتعالى ، وقد وعد أن ينصر من ينصره فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[٣] .

٩ ـ النظر والتثبت

هذه الصفة من أهم صفات المعلم الرباني ؛ فالعلم رسالة تبلغ عن رب العالمين لابد من أخذها من مظانها والتثبت فيها ، وقد ركّز ابن باز عليها « أوصي المدرسين أن يعتنوا بتوجيه الطلبة ، وأن يحثوهم على التثبت في الأمور ، وعدم العجلة في الفتوى والجزم في المسائل إلا على بصيرة ، وأن يكونوا قدوة لهم في ذلك بالتوقف عما يشكل والوعد بالنظر فيه بعد يوم أو يومين ، أو في الدرس الآتي ،حتى يتعود الطالب ذلك من الأستاذ بعدم العجلة في الفتوى والحكم ، إلا بعد التثبت والوقوف على الدليل »[٤] .

وقد كان يرحمه كما هو معروف عنه بهدوئه وأناته التي وهبه الله إياها ، متثبتاً في العلم والفتوى لا يستعجل فيهما . سُئل مرة عن رجل يعالج بالرقى في دولة مجاورة فلم يعرفه الشيخ ، وقال للسائل – لما استلحظ عليه أشياء غريبة : أكتب لنا عنه ، ونحن إن شاء الله نسأل عنه ونتثبت من ذلك [٥] .

١٠ ـ التأديب

يرى ابن باز أن من حق المعلم تأديب طلابه بالضرب الخفيف ، اتباعاً لسنة المربي

---

(١) سورة إبراهيم ، آية (١٣ ، ١٤) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٧/ص١١٠ .

(٣) سورة محمد ، آية (٧) .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٧/ص٢٤١ ـص٢٤٢ .

(٥) مجلة اليمامة العدد ١٥٥٦ ، السبت٧ صفر ١٤٢٠هـ ، لفتات ومواقف بازية ، ص٣١ .

الأول صلى الله عليه وسلم « أن يؤدب من يستحق التأديب إذا قصر في واجبه حتى يعتاد الأخلاق الفاضلة وحتى يستقيم على ما ينبغي من العمل الصالح ، ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع »[١] . فالذكر يضرب والأنثى كذلك إذا بلغ كل منهم العشر وقصر في الصلاة ويؤدب حتى يستقيم على الصلاة ، وهكذا الواجبات على أولياء الصغار من الذكور والإناث أن يعتنوا بتربيتهم وتأديبهم ، لكن يكون الضرب خفيفا لا خطر فيه ولكن يحصل به المقصود »[٢] .

ولكنه بالرغم من ذلك لم يرو عنه أنه سلك هذا الأسلوب في تأديبه الطلاب أو غيرهم مع ما كان يجده من بعضهم .

١١ـ التواضع

لا شك أن من صفات المعلم الملازمة له صفة التواضع ، قال تعالى :{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين}[٣]، والتواضع ضروري من المعلم ليجدي نصحه ويستفيد منه طلابه . لذلك كان لابد للمعلم أن يكون قدوة في تواضعه الذاتي وفي تواضعه للعلم وخفض الجناح لطلبة العلم وعامة الناس أيضا .

وقد كان ابن باز مثالا رائعا في تواضعه العلمي والذاتي . يقول أحد طلابه : إني لا أحصي كثرة ما يقول عند الاستفتاء"الله أعلم"ولربما كررها ثلاثا أو خمسا لإفهام السائل[٤]

وفي هذا الصدد ينبه ابن باز على وقفة بسيطة الفعل ولكنها عميقة المعنى وهي القيام للمعلم[٥]« ولا ينبغي للأستاذ أن يرضى من الطلبة بذلك ، لحديث معاوية رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :(من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده في

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص٤٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ج٦/ص٤٠٣ .

(٣) سورة الشعراء ، آية (٢١٥) .

(٤) مجلة اليمامة ، العدد ١٥٥٦، السبت ٧ صفر١٤٢٠هـ ، لفتات ومواقف بازية ، ص٣١ .

(٥) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٩١_ص٩٣ .

النار)[1] .

« وأحق الناس بامتثال السنة والتأدب بآدابها هم العلماء والمعلمون وطلاب العلم . . لأن الناس يقتدون بهم . . »· فكان « صلى الله عليه وسلم وهو خير الناس وأفضلهم وسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وكان لا يرضى أن يقام له بل كره ذلك ونهى الصحابة عنه خوفاً عليهم من الغلو ومشابهة الأعاجم في القيام لرؤسائهم وعظمائهم » .

وفي واقع الأمر إن عادة القيام للمعلم لا تدل بالضرورة على حب الطلاب واحترامهم وتقديرهم لمعلمهم ، بل قد يقوم بها الطلاب وهم مكرهين . وقد أحب الصحابة -رضوان الله عليهم- معلمهم ﷺ ، ولم يكن أحد أحب إليهم منه ﷺ ورغم ذلك كانوا لا يقومون إذا رأوه لما يعلمون من كراهيته لذلك .

وحقيقة يستطيع المعلم المربي أن يربي طلابه على احترمه وتقديره دون أن يتمثلون له بالقيام ؛ وذلك بتواضعه لهم ، وبما يشعرهم به من حب وود ، وبما يعطيهم من حنان وعلم ونصح ودلالة على سبل الخير ، وكلما كان المعلم عالماً بدقائق العلوم متمكناً منها ، وعالماً بأساليب كسب القلوب وعاملاً بها- ولا يكون كذلك إلاّ إذا كان متواضعاً- كلما كان أقدر على تحقيق أهدافه التربوية وأجدر على تقدير طلابه له . وعندما يشعر الطلاب بقوة العلاقة والصلة بينهم وبين معلمهم سوف يقدمون له كل أساليب الاحترام والتقدير . . نعم بهذا التواضع يجدي نصح المعلم ويحقق احترام الطلاب له وتقديرهم لعلمه ومكانته .

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود ، سنن أبي داود . لبنان / بيروت : دار الكتب العلمية ، (د.ت) ، حديث رقم (٥٢٢٩) ، ج١٤/ص٩٥ .

خامساً : مسئوليات طالب العلم

لا شك أن طلب العلم عبادة وهو فضيلة يتحلى بها كل طالب علم . والجدير بذكره هنا التنويه على أنه ليس المقصود من طلب العلم : البحث عنه في مظانه فقط ، وحفظ متونه ونتائجه وما إلى ذلك فقط ، بل هو أيضاً من الناحية التربوية : عقل مفكر ، وأفق واسع ، وخلق فاضل ، ثم هو سلوك صحيح واع . وإلاّ فالكثير من المنتسبين للعلم يقرؤون ويحفظون وينالون أعلى الشهادات ، ثم لا يجد الرائي في سلوكهم الخاطئ تغيير أو تعديل ، بل ولا يلحقهم أي تطور في حياقم وكأنهم تعلموا فقط ليحفظوا ، أو لينالوا !! وهذه حال الكثيرين في العالم الإسلامي -ولا حولة ولا قوة إلاّ بالله .

لذلك فقد اهتم ابن باز بهذا الأمر وحمّل طالب العلم مسئولية عظيمة ، وقسّمها إلى مسئوليتين :

المسئولية الأولى : مسئولية طالب العلم تجاه نفسه

« فهناك مسئولية من جهة نفسه ؛ من جهة إعداد هذه النفس للتعليم والدعوة ، وأداء الواجب »·

وقد ركّز -ابن باز رحمه الله- في هذه المسئولية على عدة أمور مطلوبة من طالب العلم وفيما يلي ذكرها :

أولاً – التقوى

« ومن أهم الوسائل في تحصيل العلم : تقوى الله وخشيته في جميع الأحوال كما قال الله : {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً}[1] .

ويشير هنا الشيخ إلى أمر هام « ومعلوم أن حصول العلم من أفضل الأرزاق ، وهو

(١) سورة الطلاق ، آية (٢) .

خروج من ضيق الجهل وظلمته إلى سعة العلم ونوره . وقال تعالى :{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}(١) . وحصول العلم النافع من أعظم التيسير والتسهيل ؛ لأن طالب العلم الشرعي يدرك بعلمه من وجوه الخير وأسباب النجاة ما لا يتيسر للجاهل ، وقال سبحانه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(٢)، وأحسن ما فسر به الفرقان أنه العلم النافع الذي يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد . وعلى حسب ما يحصل للعبد من العلم تكون خشيته وتعظيمه لحرماته ، ويكون فرقاناً بين الحق والباطل»(٣) .

ثانياً – الاستقامة على الطاعة

« ومن أعظم الأسباب أيضاً في بقاء العلم وزيادته والانتفاع به : الاستقامة على الطاعة والحذر من المعاصي ، وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :(إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)(٤)، وأبلغ من ذلك قوله سبحانه :{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}(٥) . ولا شك أن نقص العلم أو نسيانه من أعظم المصائب .

ذلك أن تعلُّم العلوم يتطلب روحاً شفافة ، وقلباً نظيفاً صافياً ، ووجداناً بريئاً من كل إثم ، وعقلاً هادئاً ، وهذا لا يتحقق إلا بعد تجنب المعاصي والآثام والجرائم ظاهراً وباطناً لأنه لا يكفي ترك ذلك ظاهراً ، وإنما يجب إبعادها عن النفس وإخراجها من التفكير أيضاً ، لأن ارتكاب الشرور والرذائل يضعف العقل وينهك قواه (٦) .

ثالثاً – التمسك بالأخلاق الحسنة

« ومن أهم المهمات في حق طالب العلم أن يكون حسن الأخلاق طيب السيرة

---

(١) سورة الطلاق ، آية (٣) .

(٢) سورة الأنفال ، آية (٢٩) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٣٥٠ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ، حديث رقم (٢٢٥٠١) ، ج٥/ص٣٣٥ .

(٥) سورة الشورى ، آية (٣٠) .

(٦) يالجن ، توجيه المتعلم إلى منهاج التعلّم ، مرجع سابق ، ص٥٣_ص٥٤ .

مهتماً بدينه حريصاً على المحافظة على الصلوات في الجماعة ، يحفظ لسانه وجوارحه عن كل ما يخالف شرع الله سبحانه ، ويحرص على بذل المعروف والخير والكف عن الشر والأذى ، ويتباعد عن الأخلاق الذميمة والسيرة السيئة أينما كان في البيت وفي الطريق ومع زملائه وفي كل حال »[١] .

رابعاً – الحذر من الأعداء

إن من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف أن يتفقه المسلم في دينه وواقعه ، فيكون على علم ودراية بما ينفعه وما يضره ، ويتنبه لخطر عدوه من حوله ، ولا سيما طالب العلم ؛ لأنه مسؤول عن نفسه وغيره . وكثيراً ما كان ابن باز – يرحمه الله – ما يحذّر من الأعداء ويكشف أساليبهم في الغواية والغزو الفكري « أوصي طلبة العلم بالحذر الشديد من كيد الأعداء وشبهاتهم وافتراءاتهم ، وقد أرشدنا كتاب الله عز وجل إلى الحذر من افتراءاتهم وتآمرهم بقوله جل وعلا :﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٢]، وبقوله سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[٣]، وكتاب الله تعالى يبين لنا أن العدو الكاشح يحزن إذا رآنا في نعمة وخير ودين ويفرح إذا أصابتنا مصيبة ، فأوصي إخواني العلماء وطلبة العلم وسائر المؤمنين بأن يتذكروا هذا الكيد وأن يعملوا بموجب هذه الذكرى حتى يسدوا الذرائع التي يتذرع بها العدو لأجل الكيد لنا وتمزيق شملنا »[٤] .

خامساً – حفظ الوقت

إن الوقت من أغلى الأثمان لدى لكل مسلم فكيف بطالب العلم ! فلا بد من استغلاله فيما يعود عليه وعلى المسلمين بالنفع « حفظ الوقت والعناية به ، حتى

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ج٥/ص٢٤٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٨٦) .

(٣) سورة النساء ، آية (٧١) .

(٤) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٢٥١ .

لا يُصرف إلا فيما ينفع ويفيد »[١] .

ويمكن استغلاله بالتنظيم ؛ بأن يجعل للتحصيل وقت وللراحة وقت محدد فلا يفوط في هذه على حساب الأخرى « ويحفظ وقته ويجعله أجزاء : جزء من يومه وليلته لتلاوة القرآن الكريم وتدبره ، وجزء لطلب العلم والتفقه في الدين وحفظ المتون ومراجعة ما أشكل عليه ، وجزء لحاجته مع أهله وجزء لصلاته وعبادته ، وأنواع الذكر والدعاء »[٢] .

سادساً – اختيار المعلم

« وينبغي لطالب العلم الاتصال بالعلماء المعروفين بحسن العقيدة والسيرة ، يسألهم عما أشكل عليه ؛ لأنه إذا كان لا يسأل أهل العلم قد يغلط كثيراً وتلتبس عليه الأمور»[٣].

المسئولية الثانية : مسئولية طالب العلم تجاه العلم

أولاً – الإيجابية في التعلم

يرى ابن باز أن طالب العلم عليه مسئولية كبيرة تجاه ما يتلقاه من العلوم ؛ لذا عليه أن يعتني بما يطلبه ويجتهد في طلبه بالقراءة وكثرة الاطلاع في المراجع العلمية المعنية ، ولا يقف طلبه عند حفظ رصيد عظيم من الأدلة الشرعية ، ، بل يوصي طالب العلم بالاجتهاد والتمييز بين صحيح العلم من عدمه والمعرفة بكلام أهل العلم وخلافهم « فطالب العلم عليه مسئولية كبيرة ومفترضة ، وهي أن يعنى بالدليل ، من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ومن القواعد المعتبرة . . وأن يكون على بينة كبيرة ، وعلى صلة وثيقة بكلام العلماء ، فإن معرفته بكلام أهل العلم تعينه على فهم الأدلة ، وتعينه على استخراج الأحكام ، وتعينه على التمييز : الراجح والمرجوح »[٤] .

---

(١) المرجع السابق ، ج٥/ص١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ج٥/ص٧٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج٦/ص٣٣٩

(٤) المرجع السابق ، ج٧/ص٢١٥ .

«.. بدون تقليد لزيد وعمرو فالتقليد كل يستطيعه ، وليس من العلم في شيء »[1] .

وهنا يطالب ابن باز طالب العلم بالفاعلية والتجديد ، ولا يوافقه على التزام السلبية بالتلقين ثم التقليد والثبات عليه ، دون الاجتهاد والمبادرة والنقد والتمحيص في المسائل ومراجعة الأدلة ، فالأدلة في القرآن والسنة ، وموجودة له كما وجدت لغيره . وكذلك أقوال العلماء ونظرياتهم ومناهجهم ، وكل ما توصلوا إليه . . فكيف بطالب العلوم الأخرى التي تحتاج إلى الفهم والإدراك ، والتجربة والتطبيق ، والنقد البناء ، بهدف التطوير ومحاولة الاختراع . وذلك لأن مجرد تلقي العلوم والتسليم لها ؛ هو في حقيقته قتل لها وتجميد لتنميتها . فالعلم سلسلة تجارب وأبحاث ثم نظريات وقوانين ، فمخترعات وتنمية وحضارات .

وعليه فلا يتناقض منهج الاتباع الصحيح للكتاب والسنة وأقوال العلماء الصحيحة وما توصلوا إليه من علوم مع منهج ابن باز في التجديد ومواصلة البحث فيما يستجد للأمة الإسلامية من أمور عدم التقليد والجمود والوقوف بالمعرفة على ما توصل إليه العلماء من قبل حقا لقد قتل التقليد والتبعية التجديد والفاعلية ، وأصبح المسلم المقلد لا يخرج عن طور من قلده حتى وإن كان يعيش في غير عصره .

ثانيا – التمسك بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ

« فجدير بأهل العلم . . أن يعضوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالنواجذ ، وأن يتفقهوا فيهما وأن يهتدوا بهما إلى صراط الله المستقيم الموصل إليه ، وإلى دار كرامته وجنته ، وأن يسيروا على ذلك في المدارس والجامعات وفي الحلقات العلمية وغير ذلك من مجالس العلم . . وأن يعتنوا بالكتب التي يوكل إليهم حفظها ودراستها ، مع عرضها على الكتاب والسنة حتى يكونوا في ذلك على بينة وبصيرة مما يدل عليه كتاب ربهم وسنة

(١) المرجع السابق ، ج٧/ص ٢١٤ .

نبيهم عليه الصلاة والسلام ومما يوضح لهم أهل العلم »[١] .

ثالثاً – الاجتهاد في الطلب

هذه الصفة ضرورية في طالب العلم ولا تنفك عنه وهي طريقه بعد توفيق الله ﷻ إلى النجاح « وكلما اجتهد الطالب في التعلم وبذل وسعه فيه كان في ذلك أقرب إلى نجاحه وإدراكه المطلوب بتوفيق الله سبحانه »[٢] .

ولابن باز هنا وقفة تربوية جميلة تدل على عمق فهمه ، وكثرة علمه . فطالب العلم في نظره هو ذو البصيرة كما في قول تعالى :{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ}[٣]، فيؤكد على أن "البصيرة" هي العلم ، ويقارن –رحمه الله– بين من يعلّم الناس على بصيرة ، وبين من ليس له بصيرة ، فيقول « أما من ليس له بصيرة ، فلا يعد من أهل العلم ، ولا ينفع الناس ، لا في دعوة ولا في غيرها من جهة أمور الدين ، أعني النفع الحقيقي المثمر ، وإن كان ينفع بعض الناس بنصيحة يعرفها ، أو مسألة يحفظها ، أو مساعدة مادّية يقدمها . ولكن النفع الحقيقي من طالب العلم ، يترتب على صدقه وإخلاصه ، وعلى كثرة علمه ، وتمكن فقهه ، وعلى صبره ومصابرته »[٤] .

ومن الممكن تكوين هذه البصيرة والقدرة على التركيز العلمي بالوسائل التالية :

١ – تهيئة الوسط للمذاكرة ، حيث لا يرى أحداً ولا يسمع همساً ، ولا يكون في الغرفة المتواجد فيها ما يشغل ذهنه . فعندئذ يضطر إلى أن يتسلى بالعلم وألا يكون عنده الكتب والمجلات الرخيصة والصور المثيرة .

٢ – العزم الصارم والنية الصادقة في التعلم ؛ لتحقيق الغاية .

٣ – تكوين قوة الإرادة ، وهذه أهم وسيلة للتركيز الجيد ، وبها يمكن التغلُّب على كثير من معوقات المذاكرة حتى أنها تجعل الإنسان يهيأ لنفسه وسطاً هادئاً بالرغم مما فيه

---

(١) المرجع السابق ، ج٥/ص١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ج١/ص٣٤٩ .

(٣) سورة يوسف ، آية (١٠٨) .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٧/ص٢١٦ .

من المعوقات والضوضاء . وبالمران والممارسة المستمرة تقوى الإرادة [١] .

ويلحق بذلك كما يرى ابن باز :

٤ – العناية بالدروس والإقبال عليها وسؤال الأساتذة عما يشكل فيها .

٥ – والمذاكرة مع الزملاء في ذلك حتى يكون الطالب قد حفظ وقته واستعد لما يقوله الأستاذ ويشرح له ، ولا يجوز له أن يتكبر عن المذاكرة مع زميله والسؤال لأستاذه .

٦ – كمالا ينبغي أن يستحي في طلب العلم والسؤال عن المشكلات ، قال الله تعالى :{وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ }[٢] »[٣].

رابعاً – الحرص على العلم والعمل

العلم هدى ونور ، لكن لا ينفع إلاّ بالعمل بمقتضاه ، وإلاّ أصبح مجرد كلمات على سطور « ومن الواجب على الشباب وغيرهم العمل بالعلم ، وذلك بأداء الواجبات والحذر من المحرمات ؛ لأن هذا هو المقصود من العلم ، ومن أسباب رسوخه وثباته في القلوب ، ومن أسباب رضا الله عن العبد وتوفيقه له ».

وقد جمع الله تعالى بين الإيمان والعمل في كثير من آيات القرآن الكريم ، ومدح الملتزمين به ، ورتَّب على هذا الجمع حصول الثواب والأجر منه سبحانه ، من هذه الآيات ، قوله تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}[٤] . وكذلك رتّب الله عز وجل على تركه إنزال العقوبة ، وإحلال غضبه « ومن المصائب العظيمة أن بعض الناس يتعلّم ولكنه لا يعمل ،

---

(١) يالجن ، توجيه المتعلّم إلى منهاج التعلم ، مرجع سابق ، ص٤٧–ص٤٨ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٥٣) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص١٢٥ .

(٤) سورة البينة ، آية (٧ ، ٨) .

ولا شك أن ذلك مصيبة كبيرة وتشبه بأعداء الله اليهود وأمثالهم من علماء السوء الذين غضب الله عليهم بسبب عدم عملهم بعلمهم . قال تعالى : {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[1]، وقوله تعالى : {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى}[2]، فمن اهتدى زاده الله هدى وزاده علماً وتوفيقاً »[3] .

ثم إن من أسباب رسوخ العلم وسبل الانتفاع به : العمل بمقتضاه ، وذلك لأن التطبيق للمعلومات العلمية يُوجب التكرار والممارسة ، وهذا يؤدي بدوره إلى الرسوخ والتثبيت لهذه المعلومات « وتعلم العلم يكون بمعرفته والعمل به لله ، لأن الله أمر بذلك وجعله وسيلة لمعرفة الحق . . وعليك بالجد والنشاط في سلوك طرق العلم والصبر عليها ، ثم العمل بمقتضى العلم ، فإن المقصود هو العمل ، وليس المقصود هو أن تكون عالماً ، أو تُعطى شهادة راقية »[4] .

وأخيراً فإن العمل وسيلة للتقدم العلمي ؛ لأنه يكشف عن الحقائق ويؤدي إلى خبرات باعتباره اختباراً وتجربة للمعرفة والعلوم ، وبخاصة العلوم العلمية ؛ لأنها تتقدم بالتجربة ، ثم إن العمل بالعلم وسيلة لترقية الحياة الإنسانية المادية منها والمعنوية .

خامساً – التبليغ والتعليم

من المعلوم أن زكاة العلم تبليغه وتعليمه للناس ، وهي تقوم بتزكية العلم : فتنميه وتقوية ، كما تقوم الزكوات والصدقات بتنمية المال . والشيخ ابن باز هنا يؤكد على ضرورة نشر العلم وتبليغه حسب طاقة الإنسان ، وفي كل أحواله « ثم طالب العلم بعد ذلك حريص جداً أن لا يكتم شيئاً مما علم ، حريص على بيان الحق والرد على الخصوم لدين الإسلام ، لا يتساهل ولا يتروي ، فهو بارز في الميدان دائماً حسب طاقته ، فإن ظهر خصوم للإسلام يشبِّهون ويطعنون برز للرد عليهم كتابة ومشافهة ، ويتكلم ويرد

---

(١) سورة محمد ، آية (١٧) .

(٢) سورة مريم ، آية (٧٦) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص١٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢/ص٣٠٧ .

على أهل البدع ، وعلى غيرهم من خصوم الإسلام بما أعطاه الله من قوة ، حسب علمه وما يَسَّر الله له من أنواع الاستطاعة . . قال تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ . إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[1] .

إذن فطالب العلم هو الذي ينبري للمناظرات والمناقشات العلمية ، والرد على خصوم الإسلام ، وكلمات ابن باز هذه في التشجيع لكل طالب علم أن يتزود بالعلم الكثير النافع ويتسلح للدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف ، وهو واجب عليه قبل غيره من المسلمين ، كما أن الجندي عليه واجب الدفاع عن الدين بالنفس . وهو أيضاً يعلّق أمل الأمة وصلاحها عليهم « فواجبهم عظيم ، والخطر عليهم عظيم ، والأمة في ذمتهم ؛ لأنها بأشد الحاجة إلى البلاغ والبيان بالطرق الممكنة » .

طرق التبليغ :

لا يختص التعليم وبيانه بالمؤسسات التعليمية المنتظمة . فالشيخ ابن باز يجعله واجباً بكل وسيلة مستطاعة ، كما كان -رحمه الله- يبلغه بكل الطرق المستطاعة : عبر المؤسسة التعليمية ، وعبر حلقات المساجد ، وفي البيوت ، وعبر وسائل الإعلام . وهو يرشد طالب العلم إلى هذه الطرق فيعممها بقوله : « والطرق اليوم كثيرة : منها وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .. فلها آثارها العظيمة في إضلال الناس وفي هدايتهم .. وهكذا الخطب في الجمع والأعياد والمناسبات والندوات ، والاحتفالات لأي سبب ، لها أثرها أيضاً . والنشرات المستقلة والمؤلفات والرسائل لها أثرها العظيم » .

لا بد لطالب العلم وغيره اليوم من مجابهة الأعداء في أساليبهم الإغوائية ، ولا ينبغي التقولب داخل إطار مغلق عن العالم الخارجي ، بحجة المحافظة على أمور لم يأمر بها الدين . وإن لم يستغل ما لديه من إمكانات للإصلاح ، فإن غيره بلا شك سيستغلها للإفساد « وكل ذي بصيرة يعلم ما ينشر في هذا العصر من الشرور العظيمة ، في الإذاعات والصحافة ، والتلفاز وفي النشرات الأخرى ، وفي النشرات الداعية إلى النار . .

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٥٩) .

هذا الجيش المتنوع الذي يدعو إلى طرق النار ، يحتاج إلى جيش مثله ، وقوة مثله . بـــل وأكثر منه . . فلا يليق بطالب العلم أن يتروي ويقول : حسبي نفسي ، لا ، فإن عليـــه واجبات ، فربنا يقول سبحانه :{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـــةِ وَالْمَوْعِظَـــةِ الْحَسَـــنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[1]، فالله سبحانه يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة ، وأمره له أمر لنا جميعـــاً ، ليس المقصود له وحده بل هو له ولنا ولأهل العلم جميعـــاً إلا ما خصه الدليـــل بـــه »[2] .

* * * *

---

(١) سورة النحل ، آية (١٢٥) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٧/ص٢١٧_ص٢٢٣ .

المبحث الثاني : الجهود العملية

تمهيد

تؤكد التربية الإسلامية على التطبيق العملي والعودة بالفائدة على الفرد والمجتمع في واقع الحياة وهذه هي وظيفة التربية كعملية تأخذ بيد الفرد والمجتمع نحو النماء والتقدم فلا يكفي الإيمان والمعرفة للنجاة من الخسران بل لا بد من العمل الصالح الإيجابي المثمر للفوز في الدارين[1] .

نعم لا ينفع الإنسان ومن حوله قولاً دون عمل ، أو نظرية دون تطبيق ، بل إن مما يزيد القول بياناً والنظرية صحة ؛ أن تُطبقا على واقع الحياة ، وإلاَّ فمواعظ الخطباء ونظريات العلماء لتعلو صفحات الكتب والموسوعات . والأمة الإسلامية بحاجة أكثر من غيرها إلى تطبيق هذا المبدأ في كل الأبواب وبالأخص في باب القدوة العملية في التربية . لأنها خير الأمم . والشيخ ابن باز –رحمه الله– كان مثالاً رائعاً في العمل والتطبيق .

ولأن الجوانب التربوية في حياة الشيخ ابن باز كثيرة ومتنوعة ، وبعضها أبلغ من بعض ؛ جاء هذا المبحث ليتناول الجوانب التربوية العملية في حياة الشيخ اليومية ، وهي بمعنى آخر الجوانب التطبيقية التربوية لفكر الشيخ وما يدين به . فكيف كان الشيخ يحيا ؟ وكيف كان يمضي يومه ؟ وما هو النشاط اليومي التربوي الذي كان يمارسه ويحافظ عليه طيلة حياته ، وكان فيما بعد سبباً لتقديمه –رحمه الله– مثالاً رائعا ، وقدوة صالحة ، يُقبل عليه الناس ويحبونه ويقتدون به .

أولاً : المحافظة على السنة النبوية

لقد تمسك ابن باز كثيراً بالسنة النبوية ، فلا تكاد تُعرف منها سنة إلا وتُرى في صورة مجسدة عملية تطبيقية في حياة الشيخ ، وهذه بعض الأمثلة : المداومة على

---

(١) فرحان ، إسحاق أحمد . التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة . ط١ ، عمان : دار الفرقان ، (١٤٠٢هـ) ، ص٤٥ .

الصلوات ، يقول الله تعالى في صفات المؤمنين :{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}(١)، ويقول سبحانه :{الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ }(٢)، قيل : معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها ، أو هم الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه (٣) .
يقول مدير مكتبه : أذكر وصيته لي ذات يوم ، وقد جئت أقرأ عليه ورقة فور انتهاء المؤذن من الأذان ؛ فسأل : لم أسمع الآذان ، هل أذن ؟ فقلت : نعم الآن أذن . فقال : أتعمل وقد أذن !! الصلاة الصلاة (٤) .

وكذلك من الصور المشرقة التي تُظهر محافظته للسنة :

١. أنه يحب السفر يوم الخميس اقتداء بالسنة .
٢. إذا قدم من السفر بدأ بالمسجد فيصلي ركعتين فيه .
٣. حبه للوتر في سائر أموره اتباعاً للسنة .
٤. التبكير للمسجد والمحافظة على الصف الأول .
٥. حبه للطيب والتمر .
٦. تعظيمه للسنة وعدم معارضتها بآراء الرجال وأقوال الفقهاء وغيرهم .
٧. كثرة الذكر على لسانه دوماً وأبداً .
٨. حرصه على أداء الرواتب والنوافل في بيته(٥) .
٩. حبه التيامن من كل شيء حتى عند ركوب السيارة .

ثانياً : المداومة على إلقاء الدروس العلمية

إن إصلاح المجتمعات وتربية الأجيال ؛ أمر يحتاج إلى تكثيف الجهود ومداومة

---

(١) سورة المؤمنون ، آية (٩) .

(٢) سورة المعارج ، آية (٢٣) .

(٣) ابن كثير ، إسماعيل القرشي . تفسير القرآن العظيم . ط١ جديدة مصححة ، لبنان / بيروت : دار الخير ، (١٤١٠هـ) ، ج٤/ص٤٤٥ .

(٤) مجلة مساء ، العدد ٧ /ربيع الثاني /١٤٢٠هـ ، رحلة ماتعة ، ص٤٦ .

(٥) الرحمة ، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ، ص٣٥١ .

الأعمال ، ولا يقف عند مرحلة ولا يعتمد على هيئة معينة أو مؤسسة تعليمية بعينها . بل هو أمر مطلوب من الجميع وبتعاون الجميع . وكذلك كان يفعل المربي الأول ﷺ ، لقد بدأ مع أول شريحة في المجتمع الإسلامي : أصحاب الدعوة السرية في بيت الأرقم ابن الأرقم ، استمر معهم عشر سنين ، في كل يوم يجتمع معهم يدارسهم القرآن وما أُوحي إليه من الفرائض . فكانوا أنصار الدعوة ، وحماة الإسلام . ولم تقف تربيته ﷺ لهم عند هذه المرحلة ، بل استمر اجتماعه بهم ومدارسته لهم في كل مناسبة ؛ يقرأ عليهم القرآن ويعلمهم أمور دينهم ، ويرقق قلوبهم ، ويخلِّصُها مما علق بها ، ويغرس فيهم الصلاح ، ويكسبهم مكارم الأخلاق .

وكذلك كان الشيخ ابن باز ، لقد عاش حياته وهو يدعو الناس ويحاول الإصلاح فيهم ما استطاع ، وحتى في أيامه الأخيرة -ومع شعوره بالمرض- كان ملازماً للدروس العلمية يلقيها على الناس وطلبة العلم ، ولم يصب بفترات -رحمه الله- ولم تكن في حياته إجازات ؛ وقف نفسه ووقته وجهده للدعوة في سبيل الله وإصلاح الناس وتربية الأجيال . وانقسمت دروسه إلى خمسة أقسام : دروسه في المساجد ، في صروح العلم ، في الاجتماعات والمجمعات ، في بيته ، وعبر الهاتف .

وصبر الشيخ على إلقاء الدروس عجيب ، فمواظبته على الدروس وعدم تخلفه عنها مع كثرة الأشغال لديه ؛ يدل على جلد عظيم ومحبة للعلم . . لم يتخلف إلا مرة واحدة أيام إصابته في رجله اليمنى . . وكان أول من يحضر وآخر من يغادر مكان الدرس ! وذلك رغم كثرة دروسه . . ثم هو لا يتململ في أثناء الدرس مع ظهور التعب والملل على عدد غير قليل من الحاضرين[1] .

وقد حدث أن آلمته ركبته ؛ فلم يستطع حضور درسه في المسجد لمدة أسبوعين تقريباً ، ولكنه -رحمه الله- كان يلقيه في بيته ، ثم عاد إلى المسجد فكان يحضره بمشقة ولم يتوقف الدرس بعدها حتى أن الشيخ كان يحضره بالكرسي المتحرك[2] .

---

(١) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢، ٥ صفر ١٤٢٠هـ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٢٢ .

(٢) الحيَّان ، مرجع سابق ، ص٥٦ .

- دروسه في المساجد

المساجد بيوت الله عز وجل ، كرَّمها وفضَّلها على غيرها ونسبها إليه فقال سبحانه في ذلك :{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً}[١] . وبفضلِها يُفضَّلُ أهلها ، فأهل المساجد هم المؤمنون وقد وصفهم الله بالمهتدين ، لأنهم أحيَوها وعمَّروها ، قال تعالى : {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}[٢] .

وقد كانت المساجد نقطة انطلاقة التربية الإسلامية ، منذ ظهور الإسلام في أول أمره ، فمنها بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي أمته ويعدها لحمل الرسالة الخالدة . ولذلك كان أول عمله بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة : هو بناء المسجد ، الذي أصبح فيما بعد مكاناً للعبادة ومركزاً لتجهيز الجيوش ومجمعاً للتعليم والتوجيه وملتقى يجمع المسلمين في أي وقت على اختلاف طبقاتهم .

وما عرف المسلمون في العصور الأولى مقراً للعلم غير المسجد ، كان جامعة كبرى للتَّعلم والتَّعْليم ، تخرَّج منه الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعون ، ومن بعدهم وما من خليفة ولا قاضي ولا أمير وُلّي أمر المسلمين في العصور الإسلامية الزاهرة إلا كان من خريجي المساجد[٣] .

وكانت هذه حال المساجد إلى أن ظهرت المدارس والمؤسسات التربوية الأخرى وانتشرت بمراحلها المختلفة وبمرافقها الكثيرة ؛ فحازت على اهتمام الناس وانشغل فيها العلماء وطلبة العلم ، إلا القليل منهم ، وضعُف لذلك دور المساجد وأصبح عند كثير من الناس يقتصر على العبادة وقراءة القرآن الكريم وتعليمه للصغار .

وبذلك خسرت الأمة الإسلامية هذا الدور التربوي الكبير والفعّال الذي كان يؤديه المسجد . وإن كانت المؤسسات التربوية الأخرى تقوم بدورها في التربية والتعليم ، إلا أن

---

(١) سورة الجن ، آية (١٨) .

(٢) سورة التوبة ، آية (١٨) .

(٣) قادري ، عبد الله بن أحمد . دور المسجد في التربية . المملكة العربية السعودية / جدة : دار المجتمع ، (١٤٠٧هـ) ، ص٧٦ .

نتائجها لا تتساوى مع ما أخرجه المسجد من أساطين العلم الأفاضل الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، العالم منهم أُمّة ؛ يضم العلوم ويجمع بينها ، ولا يكتفي بعلم واحد ، فإذا تكلم في علم قيل لا يُفهم في هذا العلم سواه . ومازالت مؤلفاتهم تُدْرَس ، بل وتعد من الأصول المرجعية لتشهد لهم بغزير العلم وصحة الفهم .

والمتأمل المنصف يرجع الفرق في هذه النتائج إلى الفرق في التعليم نفسه ، فتعليم المساجد يختلف عن تعليم المدارس وذلك لأكثر من سبب ، أهمها ما يلي :

١ – أن التعليم في المسجد يكتنفه جو عبادي يشعر المعلم فيه والمتعلم والسامع أنهم في بيت من بيوت الله فيكونون أقرب إلى الإخلاص والتجرد والنية الحسنة ، أهدافهم : التفقه في الدين ، وأداء العمل على وجهه الصحيح والدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله . لذلك تجد غزارة العلم وحفظه وإتقانه عند كثير من علماء المسجد في أوقات قصيرة ، بخلاف طلاب المدارس ، فإنهم – في الغالب – لا يصلون إلى مرتبة علماء المساجد في ذلك .

٢– أن التعليم في المساجد أشمل حيث يدخل المسجد من شاء من العلماء المؤهلين ومن شاء من المتعلمين ، فيستفيد في المسجد جمع غفير : العالم والمتعلم والمستمعين ، على حسب ما عنده من الاستعداد والوقت ، بخلاف المدارس ، فلا يدخلها إلا عدد محدود من المعلمين والمتعلمين .

٣– أن علماء المساجد وطلابها أقرب إلى عامة الشعوب من طلاب المدارس والجامعات ، حيث تجد عامة الناس يقبلون إلى عالم المسجد وطلابه ، ويستفيدون منهم[١] .

كذلك للشيخ ابن باز رأيه في ضرورة التعليم في المساجد وحاجة الناس له ويعلل لذلك ؛ « لأنه ليس كل أحد يجد مدرسة تعلّمه دين الله وشرعه المطهَّر ، وتعلّمه القرآن الكريم كما أُنزل ، والسنة المطهَّرة كما جاءت عن رسول الله ﷺ »[٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٧٧ ــ ص٨٧ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص٨٤ .

لقد أدرك الشيخ ابن باز – يرحمه الله – أهمية المساجد وتميزها بين المؤسسات التربوية ، ولامس الدور الكبير الذي تؤديه فاتخذها مقراً للتربية والتعليم ومنطلقاً للإرشاد والتوجيه ، فكان ينظم فيها الدروس ، ويحدد أوقاتها ، ويحافظ على استمرارها ، وينقلها حيث سافر ، فكانت لا تنقطع إلاّ إذا انشغل الشيخ بأمر من أمور الدعوة إلى الله . وقد كان الطلاب من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها –من الأقطار المجاورة– يداومون على حضور هذه الدروس ويحجزون المقاعد فيها قبل وقتها .

لم يتعلم طلاب الشيخ ابن باز منه العلم فقط ، بل لقد تلقوا منه وتشربوا الآداب الإسلامية الحميدة و الأخلاق الكريمة .

دروسه في صروح العلم الأخرى :

لا شك أن الجامعات والمعاهد والكليات من صروح العلم الشامخة لنشر العلم والمعرفة ، وقد بدأ فيها ابن باز دروسه . أولاً في المعهد بالرياض ، ثم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عندما عين في رئاستها . ولكنه رغم انشغاله بعد ذلك بالأعمال الدينية والوظيفية لم ينقطع عن إلقاء الدروس فيها وفي غيرها من الجامعات ، فكان يحضرها كلما دُعي إلى ذلك فيحاضر طلبتها وأساتذتها ، ويناقش ما يعقد فيها من الندوات ، والمؤتمرات العلمية .

ثالثاً : الطلب الدائم للعلم

مبدأ طلب العلم النافع ؛ دائم لا يقف عند درجة معينة ، فلا يزال الإنسان في الطلب ما دامت الحياة . والاستزادة من العلم مطلوبة دينياً ، قال تعالى :{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}[1] .

وكذلك كان ابن باز ، لم يكتف بما توصل إليه من العلم الواسع ، فقد كان بحراً من بحور العلم . ولم تشغله الوظيفة الحكومية عن طلب العلم . بل كان يحب القراءة في كل وقت ، شغوفاً بها . ولقد اهتم بمكتبته ، وكان دائم البحث والطلب فيها . والشاهد

---

(١) سورة طه ، آية (١١٤) .

من أمين مكتبته ، يقول : كان دائماً يخصص للمكتبة بعد صلاة العشاء ؛ للمطالعة والبحث وكان يقضي فيها جلّ وقته ، وكنا نجلس أحياناً إلى ساعة متأخرة من الليل لبحث بعض المسائل الفقهية والحديثية ، وأحياناً يشترك معنا في البحث بعض الأخوة من طلاب سماحته [١] .

وقد كان يُرى عليه الفرح ظاهراً ، والشغف العلمي جلياً عند استخراج الفوائد العلمية : من تخريج حديث أو نقل فتوى للصحابة أو التابعين أو كلام لأحد العلماء المحققين في الموضوع[٢] .

وأما عن مادة البحث ، فقد كان يحرص على اقتناء كتب المتقدمين أمثال كتب شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم الجوذية والحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر والذهبي وكتب الأئمة الأربعة وأصحاب السنن والمسانيد وغيرهم من أئمة السلف ، وكذلك كان يقتني بعض كتب المتأخرين[٣] .

حفظه المتون والأسانيد ودقته في ذلك ، فيذكر أحدهم أنه في أحد دروسه قبيل وفاته -رحمه الله- قرأ عليه أحد تلامذته تحقيق مسألة من ورق مصور من سنن الدرامي وسنن الدار قطني وقال القارئ هذا من سنن الدار قطني - خطأ منه - فرد الشيخ وقال هؤلاء ليسوا رجال الدار قطني . فتأكد القارئ وإذا به يقرأ من أوراق السنن الدارمي سهواً منه [٤] .

رابعاً : فقه ابن باز بالواقع

إن البحث عن الدليل الشرعي ، الثابت والراجح ، مع دراسة واقع المسلمين ، ودراسة حاجات الناس المعاشية ، هو أمر أساسي للسير على المنهج الصحيح واستمراره [٥].

---

(١) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢، ٥/صفر/١٤٢٠هـ ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٢٠ .

(٢) مجلة اليمامة ، العدد ١٥٥٦، السبت ٧ صفر ١٤٢٠هـ، لفتات ومواقف بازية ، ص٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ص٣١ .

(٤) الحازمي ، مرجع سابق ، ج٢/ص٧٤٤ .

(٥) مجلة اليمامة ١٥٥٦/ السبت /٧/صفر/١٤٢٠هـ، الشيخ أحمد كفتارو ، ص٢٢ .

لا يمكن للمسلمين اليوم أن يعيشوا بعيدا عن واقعهم ، دون علم أو دراية بما يجري في العالم حولهم من أحداث . . وكذلك كان ابن باز ، لقد عاش معاناة عصره وذلك بالرغم من كثرة الأعمال الموكلة إليه والتي كان يقوم بها نفعا للمسلمين ، ولكنه بالرغم من كل ذلك كان أقرب ما يكون من واقع المسلمين اليوم ، لقد تعايش مع الواقع وتابع مجريات أحداثه ، وكان دائما يسأل عن أخبار العالم الإسلامي ويهتم بحل مشكلاته ، حتى أنه كان يتلقى تقريرا يوميا من وكالة الأنباء السعودية - يحتوي على أهم الأحداث إجمالا وتفصيلا ، وكان يتألم كثيرا ويبكي عندما يعلم معاناتهم وما يقاسونه من ويلات الحروب والفتن .

لا يمكن أن ينسى الشعب العربي والجماهير الإسلامية الشيخ بن باز الذي كان يعيش معهم في حياتهم وفي عبادتهم وفي معاملاتهم ، كان الرجل واسع الأفق عميق الفكر ، كثير الاطلاع له رؤية موسوعية للأصول والجذور مع قدرة كبيرة على التعامل مع المستجدات العصرية التي تفرض نفسها كل يوم على الساحة الإسلامية ، ولم يعرف عنه أن خدع بسلطان السياسة أو تسلط صناع القرار ، ولكنه كان صاحب رأي حر مستقل ، وكان إسهامه كبير في القضاء على البدع والخرافات التي حاول البعض أن يقحمها في الحياة الإسلامية [1].

ولا أدل على واقعيته وشمول نظرته من تفاعله مع قضايا أمته العربية والإسلامية ، وفتاواه لكل ما يطرأ في هذا العصر من مستجدات وما يعج به من مشكلات ، فما تحل نكبة أو أزمة إلا ويصدر عنه فتوى أو رسالة تبصر الناس وتبين لهم وجه الحق ، وتحثهم على الخير ، حتى غدت فتواه مرجعا مقبولا عند الناس .

وكذلك فقد انبرى الشيخ للتيارات الفكرية والمذاهب الهدامة يكشف باطلها وينبه عن خطرها على الإسلام والمسلمين . ومن ذلك موقفه من الحداثة في شعر وثقافة هذا العصر ، هذا المذهب الفكري الجديد الذي يسعى لهدم التراث الإسلامي بكل ما يحتويه من قيم ومبادئ ، فيقول ابن باز « شهد عصرنا هذا محاولات أكثر تغييرا باسم التطوير

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص١٣ .

والتحديث والتجديد ، فظهر ما يسمى بالشعر الحر المنفلت من القافية ، ثم بالغ القوم في التغيير فانفلتوا من الوزن والقافية في إطار ما يسمى بقصيدة النثر التي عرف أصحابها بأهل الحداثة »[١] .

ويحذر ابن باز من هذا المذهب الفكري ويعري أهدافه فيقول « تأكد أن استهداف الغموض من كثير من هؤلاء الشعراء في هذه القوالب الفكرية المسماة شعراً وليس فيها من الشعر شيء ؛ إنما هو أمر مقصود ليحققوا به أهدافاً ثلاثة :

الأول : التنصل من مسئولية الكلمة وتبعتها ، حينما تُلف بهذا الغموض الذي قد لا يُدرك معناه بسهولة .

الثاني : إماتة الشعر وسلب روحه وتأثيره وحرمان المسلمين من سلاح ماضٍ من أفتك أسلحتهم ضد أعدائهم .

الثالث : وهو أخطرها ، نبذ الشريعة والقيم والمعتقدات والقضاء على الأخلاق والسلوك باسم التجديد ، وتجاوز جميع ما هو قديم ، وقطع صلتها به »[٢] .

لقد تميز –رحمه الله– بنظرته الواقعية للأمور ، وسداد بصيرته في الحكم عليها . فهو يرى ضرورة الاستفادة من كل جديد ونافع ، لأن الحكمة ضالة المؤمن .

ولا أدل على واقعيته من موقفه الثابت من وسائل الإعلام ، فهو يعتبرها من أهم الوسائل للإصلاح في هذا العصر « ولاشك أن ظهور أهل الحق في التلفاز من أعظم الأسباب في نشر دين الله والرد على أهل الباطل ؛ لأنه يشاهده غالب الناس من الرجال والنساء ، والمسلمين والكفار ، ويطمئن أهل الخير إذا رأوا صورة من يعرفونه بالحق وينتفعون بما يصدر منه ، وفي ذلك أيضاً محاربة لأهل الباطل وتضييق المجال عليهم »[٣] .

إذن لم يرفض ابن باز الإعلام بكليته إيجاباً وسلباً ، فهو يدرك فاعليته في التوجيه والتأثير ويدرك خطورته على كافة فئات المجتمع ، ولكنه كان دائماً ينصح بوجوب

---

(١) القرني ، عوض بن محمد . الحداثة في ميزان الإسلام . تقريظ عبد العزيز بن باز ، المملكة العربية السعودية / جدة : دار الأندلس الخضراء ، (١٤٢٣هـ) ، ص٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٦_ص٧ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص٢٩٤

توجيهه الوجهة الصحيحة وتوظيف دوره بين وسائل الإصلاح «كما أن على علمائنا أن لا يمتنعوا من إيضاح الحقائق بالوسائل الإعلامية ، وألا يدعوا هذه الوسائل للجهلة . . بل يتولاها أهل الصلاح والإيمان والبصيرة ، وأن يوجهوها على الطريقة الإسلامية حتى لا يكون فيها ما يضر المسلمين »[1] .

لذلك كان -رحمه الله- يشجع العلماء والدعاة لاستغلال دور الإعلام في نشر الحق والخير وعدم تركها للجهلة يستغلونها في الشر والفساد «وهكذا وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ، يأخذ ما فيها من الخير ويدع ما فيها من الشر ، وأهل العلم مع ولاة الأمور لا يزالون بحمد الله على النصيحة والتوجيه ، نسأل الله أن ينفع بالأسباب»[2] .

فلم يكتف ابن باز بتبيين وجهي الإعلام السلبي والإيجابي ، بل خطا خطوة أخرى إلى الأمام بدعوته إلى حسن استثمار الوجه الإيجابي للإعلام ، فضلاً عن تنبيهه الحازم على ضرورة تخليص الإعلام من الانحرافات وسوء استخدامها لإضلال الناس والإضرار بهم . . وهذا موقف متميز يدل على عمق التفكير وبعد النظر وسداد البصيرة [3] .

وكذلك كان موقفه من الإنترنت فقد أدرك -رحمه الله- أهمية الشبكة في نشر العلم الشرعي في مختلف أنحاء العالم خاصة في ظل الحاجة المتزايدة لمختلف المجتمعات الإسلامية للتعرف على الفتاوى الشرعية السليمة والإلمام بالفقه الصحيح والتعرف على منهج الوسطية والاعتدال خاصة في ظل انتشار العديد من التيارات المتطرفة والمفرطة ، إضافة إلى أهمية المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت في ربط المسلمين بدينهم وعقيدتهم الاستفادة مما فيه من خير والحذر مما فيه من شر ، لذلك فقد وافق قبل وفاته على أن يكون له منبر علم عبر شبكة الإنترنت تنشر فيه دروسه ومحاضراته ، ويصبح موقعاً خاصاً على الشبكة يمكن المسلمين في مختلف أنحاء المعمورة من الاستفادة من هذا الرصيد العلمي والفقهي .

---

(١) المرجع السابق ، ج٥/ص٢٧١

(٢) المرجع السابق ، ج٥/ص٧٧

(٣) آل خرصان ، مانع بن خرصان بن ناصر . ابن باز في قلوب محبيه . لبنان / بيروت : مؤسسة عبد الحفيظ البساط ، (١٤٢٠هـ) ، ص٧٠ .

رحم الله ابن باز فقد كان عالماً معلماً داعية إلى الله ﷻ لم تحصره الحدود و لم تقيده العادات ولا التقاليد ، بل كان واسع الأفق عالمياً وواقعياً في تصوراته وأقواله وجهوده .

خامساً : العلاقات الاجتماعية في حياة ابن باز

تكثر العلاقات التي تربط كيان المجتمع المسلم من الداخل والخارج . فن الداخل ، هناك العلاقات الإسلامية وهي وشائج متينة قد حث عليها الإسلام . ومن الخارج ، هناك العلاقات الإنسانية التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان في كل مكان على الأرض .. هذا في حياة الناس عامة . وهي في حياة العلماء والربانيين أكثر . والعلاقات الاجتماعية في حياة الشيخ ابن باز متعددة الاتجاهات ؛ وذلك لتعدد المهام التي كان يشغلها . فقد كان طالب علم ، وعالم رباني ، ومفتي عام ، وداعية إلى الله.

وكان – رحمه الله – يسعى دائماً لنشر معالم الدين الإسلامي الحنيف ، وغرس المفاهيم الصحيحة في نفوس المسلمين من خلال فتاواه ودروسه ، وما يلقيه على الناس من كلمات أو تعليقات عبر وسائل الإعلام ، وما يؤلفه من كتب ورسائل . وبفضل هذا وما تمتع به الشيخ –رحمه الله– من الخصال الراقية : غزارة العلم وسعة الصدر وسماحة النفس ، والملكات الفطرية ، والاستعدادات العلمية والمؤهلات العلمية ، وقبل هذا وذاك ، من خلال لقاءاته مع رجالات العلم والفقه والدعوة من جميع البلدان الإسلامية ومن أوساط الأقليات الإسلامية في العالم كله [1]؛ بفضل هذا كله تأثر به المسلمون قاطبة ، وامتد تأثيره إلى حيث وصلت آثاره . وبفضل هذا وغيره فقد وضع الله عز وجل له القبول في الأرض .

هذا بالإضافة إلى اطمئنان الناس له وشدة اعتبارهم له ، فقد كان لفتاواه –رحمه الله– قبول كبير عند الناس وإجماع عليها ، وهذا ما ميَّزها عن غيرها ؛ القبول الذي قل أن يجده العالم أو الفقيه ، وذلك لتميّز أسلوبه –رحمه الله– في إفتاء الناس ، فهو بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من الصدق مع الله والإخلاص له والزهد فيما عند الناس ، كان

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص٧٤ .

يتحرى أن يسمع السؤال من صاحبه مباشرة حتى يفهم وضعه ، ثم يفتيه بما يناسبه ويناسب الشرع الحنيف ، أسوة بالفقيه الأول ﷺ . . فرحمه الله كان : يجيب كل سائل ، جواب بلا إطالة ، ويحل معضلات المسائل ، مقنع لا يدفع ، قد أحاط بالأدلة ، وجمع الأقوال ، فلا تردد بعد قوله ، ولا جهل بعد فتواه ، علم واسع ، ورأي سديد ، وعقل راجح ، وفراسة صادقة ، إن علم أجاب ، وإن أشكل عليه الأمر لجأ إلى الله داعيا ذاكرا مسبحا مستغفرا متضرعا أن يلهمه الصواب [1] .

وكان – رحمه الله – يخاطب الكبير والصغير ، والخاصة والعامة ، وكان زوجا وأبا مربيا ، ولقد أحبه الناس فكانت له مكانة عظيمة في قلوب مريديه ، ممن رآه ، أو سمع عنه وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ عندما قال : (إن الله ، إذا أحب عبدا ، دعا جبريل فقال : إني أحب فلانا فأحبه . قال : فيحبه جبريل . ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه . فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض) [2]؛ لذلك فقد اتجهت علاقاته إلى خمس اتجاهات :

١ - العلاقة مع ولي الأمر .

لقد اتسمت علاقة الشيخ ابن باز بولاة الأمر بالمحبة والتقدير والاحترام المتبادل بينه وبينهم ، ولا أدل على ذلك من كثرة دعائه لهم على الدوام ، ومن تقديم النصيحة لهم والمشورة . والسمع والطاعة لهم وحث الناس على لزوم ذلك في غير معصية الله ، بل والتأكيد على ذلك لأنه من الأمور المطلوبة شرعا وأولا ، ثم هو ضرورة ملحة جمعا للكلمة واتحاد للصف الإسلامي .

وكان –رحمه الله– يحظى بتقدير كبير وتكريم خاص من ولاة الأمر على مستوى المملكة العربية السعودية والدول الأخرى . ولا أدل على ذلك من قبولهم لنصائحه وتوجيهاته ، وطلب المشورة منه ، وقبولهم طلبات الشفاعة التي يقدمها عندهم ؛ لمساعدة الناس وإعانتهم .

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع السابق ، ص٩٦ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٣٧) ، ص١١١٨ .

ولا أدل على مكانته العظيمة من رثاء الناس له بعد وفاته وقد نعاه الديوان الملكي ، وصلّت عليه جموع المسلمين صلاة الغائب في أكثر بقاع الأرض .

وفيما يلي بعضاً من هذه النماذج الودية :

- أحمد بن عبد العزيز آل سعود : علاقتي بسماحة الشيخ بدأت منذ أن كنت طالباً في المدرسة حيث أكثر من زياراتي له حباً في لقائه واستماعاً إلى نصائحه حتى قبل أيام قليلة من وفاته [١] .

عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز : لقد ملأ قلبي حب واحترام وتقدير سماحة الشيخ -رحمه الله- لكثرة ما يتحدث والدي مولاي خادم الحرمين الشريفين عن مكانة العلماء عامة ، وهذا الإمام وما له في نفسه من مكانة خاصة ؛ فأورثني ذلك رغبة في القرب من سماحته والأنس بحضوره وزيارة مجلسه بين الحين والآخر ، فعلمت عن سماحته بعد اللقاء به فوق ما سمعت من حديث الناس عنه [٢] .

محمد بن سعد بن عبد العزيز آل سعود : عرفنا الشيخ ابن باز بسيطاً في ملبسه ومأكله .. ولا ينظر للدنيا إلا بصفتها زاد المسافر فيأخذ منها ما يسد حاجته ويعف عن الباقي ، تقلد العديد من المناصب ، ليس حباً في المنصب ذاته بقدر ما هو اعتقاد منه بأنه يستطيع من هذا المكان أن يقدم شيئاً مفيداً للأمة [٣] .

- إن مما يميز الشيخ ابن باز أن منهجه في التعامل مع ولاة الأمر قائم على الاتباع للسلف الصالح -رحمهم الله- وهذه المسائل ؛ مسائل السمع والطاعة تعتبر من مهمات العصر ، وضرورات النظر . ويمكن حصر منهجه في التعامل مع ولاة الأمور في عدة أمور :

- الطاعة لولاة الأمر في المعروف لا في المعاصي ، لقوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ}[٤]، وقد جاءت السنة الصحيحة عن

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص٢١ .

(٢) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص٦٢ .

(٣) آل خرصان ، مرجع سابق ، ص٣٣ _ ص٣٤.

(٤) سورة النساء ، آية (٥٩) .

رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة ، وهي فريضة في المعروف . . لا في المعـاصي ، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية ، لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها لقـول النبي ﷺ :(عليك السمع والطاعـة . في عسرك ويسرك)[١] .

لقد أوجب الإسلام الطاعة لولاة الأمر ، وإن إعلان هذا المبدأ بين العامة من النـاس والخاصة منهم ، وحثهم على امتثاله في كل أحوالهم : في الحب والكره ؛ يجعل الجميـع يسير في نظام وانضباط ، تحت القيادة العليا ، دون تشتت أو تحزّب ؛ وفي هـذا جمع للكلمة ، ووحدة في الصف الإسلامي .

ثم إن التزام المسلم تحت قيادته وتقديم الولاء والطاعة الدائمة في غير معصية الله جل وعلا فيه تربية على سلوك الفضائل من الأخلاق ، والتَّعود على الاحـترام ، والأدب ، وحب النظام ، والصبر والمجاهدة ، وما إلى ذلك .

- أن الصبر على جور الأئمة وظلمهم أصل من الأصول المهمة التي جـاءت بهـا الشريعة ، ثم أن ضياع هذا الأصل هو سبب الفتن والمحن . لقول النبي ﷺ : (من كره من أميره شيئاً يكرهـه ، فليصبر . فإنه من فارق الجماعة شبراً ، فمات ، فميتة جاهلية)[٢] .

- النصح لولاة الأمر سراً فيما صدر منهم من منكرات ، والأخذ بأيديهم إلى الحق وتبصيرهم به ، مع التحذير العام للمنكر دون تخصيص أو تشهير بالأسماء لأن في ذلـك تأليباً للعامة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من أراد أن ينصح السلطان بـأمرٍ ، فلا يبذله علانية ، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به ، فإن قُبل منه فذاك ، وإلا كان قـد أدَّى الذي عليه)[٣].

وفي النصح لولاة الأمر عند ابن باز وقفات تربويـة :

أولها - السرية والمباشرة ، فتُسرُ النصيحة للحاكم وتوجه إليه مباشر ة ، وكلاهمـا من المبادئ التربوية والضرورية في توجيه الغير وتقديم النصيحة لهم ، فمسارتها واجبـة ؛

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٨٣٦) ، ص٨٢٩ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٨٤٩) ، ص٨٣٥ .

(٣) أخرجه الإمام ابن حنبل ، أحمد . مسند الإمام أحمد . تعليق عبد الله محمد الدرويش وأبو الفداء النـاقد : دار الفكر للطباعة والنشر ، (١٤١١هـ) ، رقم ٣٣٣ ، ج٥/ص٢٣١ .

لأن في إعلانها مفسدة « يفضي إلي الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف ، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع »[١] .

وإن كان الأصل في النصيحة الجهر بها ؛ حتى يعم النفع بها جميع أفراد المجتمع « فالتعاون والإرشاد نصيحة جهرية للمجتمع هذا هو الأصل ، إلاّ إذا اقتضت المصلحة الشرعية عدم الجهر خوفاً من الشر من بعض الناس ؛ لأنه لو نصح أو وجه جهراً قد لا يقبل وقد يتكبر ، فالنصيحة سراً مطلوبة حينئذ »[٢] .

ويشير -رحمه الله- إلى الطريقة الصحيحة في تقديمها « النصيحة فيما بينهم وبين السلطان ، والكتابة إليه ، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجَّه إلى الخير»[٣].

الثاني – الإعلان بغير مباشرة للفاعل ، يندد على الخطأ ولا يجْرح أحد « فينكر الزنا ، وينكر الخمر ، وينكر الربا من دون ذكر من فعله ، فذلك واجب ؛ لعموم الأدلة »[٤] .

الثالث – الدعاء لولاة الأمر بالتوفيق والتسديد ، فإن« من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر ، ومن النصح : الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة » مستند إلى قول النبي ﷺ : (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم . ويُصَلّون عليكم وتُصلُّون عليهم)[٥] .

ويؤكد الشيخ -رحمه الله- في كلماته ومحاضراته كثيراً على الدعاء للسلطان بل ويفعله كثيراً هو بنفسه ؛ ويعلل ذلك بقوله « أن الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ، ومن أفضل الطاعات . . ولأن صلاحه صلاح للأمة ، فالدعاء له من أهم الدعاء »[٦] .

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٨/ص٢١٠ .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز ، مرجع سابق ، ج٣/ص١٠٩٢ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٨/ص٢١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج٨/ص٢١٠ .

(٥) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٨٥٥) ، ص٨٣٧ .

(٦) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٨/ص٢١٠ .

النصيحة أمر من الله ورسوله ﷺ ، وقد جعلها الرسول ﷺ الدين كله : (الدين النصيحة)[1] . وهو للجميع : بين أفراد المجتمع وبينهم وبين ولاة أمرهم من القادة المسلمين . فكل فرد له حق الإدلاء بالنقد البناء ، والمشاركة بالرأي السديد ؛ تناصحاً لدرئي الفساد ونشر الخير . وبهذا تقوى العلاقات ، وتكبر الثقة ، وتتأصل المحبة ؛ بين أفراد الرعية وقائدهم ، وبينهم البعض . وبالنصيحة تجتمع الأمة وتتماسك بعيداً عن الخلل والانحراف الذي يهدد كيانها .

وعندما يتعود المسلم على أداء النصيحة بين أفراد مجتمعه ويمارس آدابها الإسلامية كما كان الناصح الأول صلى الله عليه وسلم يؤديها فإنه بلا شك سيكتسب ملكة النقد الذاتي البناء . وهذا الذي يفتقده الكثيرون .

٢ ـ العلاقة مع العلماء

في رحاب العلم والمعرفة يجتمع العلماء وطلبة العلم ، وتحت ظله يتبادلون الود والمحبة ، ويستزيدون في سبيل طلبه علماً ، ويكتسبون خلقاً وعملاً . والشيخ ابن باز – يرحمه الله– أحب العلم وأهله ، وكان يحترم العلماء والدعاة منهم ويقدر مكانتهم العلمية والاجتماعية وكان يحبهم حباً جماً ، ويحب أن يستفيد من علمهم . ويقدم بعضهم ممن يأنس فيهم القدرة على الإيضاح والبيان في ما طُرح من أسئلة واستفسارات ؛ وذلك بالرغم من غزارة علمه .

وكان يرحمه الله يستعين بهم ؛ وذلك لكثرة مهامه ؛ فيُحيل إليهم بعض البحوث والقضايا العلمية لدراستها ، أو مراجعتها ، أو تكليفهم بالرد على الأخطاء ، ورفع المنكرات المقولة في مظانها ، أو الواقعة في أي مكان .

ومن منهجه أيضاً في التعامل مع العلماء : أن ينصت باهتمام لما يقال من آراء ، وما يطرح من قضايا ومسائل فيما يحضره من ندوات ، ومحاضرات ، وجلسات علمية في رابطة العالم الإسلامي أو مجمع الفقه ، أو هيئة كبار العلماء وغير ذلك من الجهات المعنية

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٥٥) ، ص٨٤ .

بالعلم ، وغالباً ما تبدر له بعض الملحوظات حول ما يقال ، فيبدي ما يراه بأدب جمّ دون تبرّم أو استعلاء ، أو تطاول ، معتمداً في ذلك على هدي الكتاب والسنة [١] .

وكان لا يستكبر عن مشاورتهم في كل ما يستجد من قضايا هذا العصر ، بحثاً عن الحق . فكان لشدة حرصه لا يفتي إلا بعد التثبت منهم في الأمر الراهن .

وكان من منهج الشيخ في التعامل معهم إعانتهم ، وتأييدهم ، والإشادة بأعمالهم ؛ تشجيعاً لهم واعترافاً بفضلهم ، وكان دائم التوجيه لهم يدعوهم إلى الاستزادة من العلم ، والتمسك بالأدلة من الكتاب والسنة ، واتباع منهج السلف الصالح في الترجيح بين الأدلة ، والاجتهاد فيما يستجد من أمور . وكذلك بذل النصيحة لهم وتوجيههم بضرورة تصحيح المسار أو المنهج إن لزم الأمر ، وكذلك ردهم عن الخطأ بتوضيحه لهم ، فمنهجه المتبع : الفصل والإنصاف «وهكذا يجب على أهل الحق إذا ردوا على أهل الباطل أن يفصلوا ، وأن ينصفوا ، فيقولون لهم : قلتم كذا وقلتم كذا ، فنحن معكم في هذا ، ولسنا معكم في هذا »[٢] . هذا كله بأسلوب الأدب واللطف ، دون التوبيخ أو التجريح لأحد منهم .

ومن نماذج علاقته الودية بالعلماء

- يوسف القرضاوي : وكان في المجمع الفقهي يستمع وينصت إلى الآراء كلها ، ما يوافقه منها وما يخالفه ، ويتلقاها جميعاً باهتمام ، ويعلق عليها بأدب جم ، ويعارض ما يعارض منها برفق وسماحة ، دون استعلاء ولا تطاول على أحد ، شادياً في العلم أو متناهياً ، متأدباً بأدب النبوة ، متخلقاً بأخلاق القرآن [٣] .

مع الشيخ الندوي : فلما جاءه الشيخ أبو الحسن الندوي وسلم عليه قام للترحيب به وأجلسه بجنبه وفرح كثيراً بمجيئه ، فلما استأذن للخروج قام ومشى معه إلى باب المجلس وودعه بحفاوة وتكريم لا مثيل لهما [٤] .

---

(١) الحازمي ، مرجع سابق ، ج٢/ص٧٦٧ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٣٧ .

(٣) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص٥٥ .

(٤) مجلة الأسرة ، العدد ٧٢ ، ربيع أول /١٤٢٠هـ ، قالوا عن ابن باز ، ص٢١ .

٣ ـ العلاقة مع طلبة العلم

كان مرجعا علميا ودينيا للأمة و طلاب العلم بالأخص . فقد كانوا يلجئون إليه في كل المعضلات ، ويستنيرون برأيه في المدلهمات ، ويفزعون إليه في كل ما يرون مما يعكر على الناس صفوهم ، أو يقسد عليهم سلوكهم وخلقهم ، أو يلبس عليهم أمور دينهم ، فيجدون في الشيخ الدلالة بعد الحيرة ، والبيان بعد الغموض ، والعزيمة الصادقة ، والنصح الصائب ، والتوجيه والإرشاد ، والقوة في الحق ، والمسارعة إلى العمل .[١]

وكان يحب طلاب العلم كثيرا ويسمع لهم ، ويجيب عن أسئلتهم برفق وإخلاص ، وإذا أشكل عليهم شيء يعلمهم ويفهمهم بأسلوب جيد . يقول أحد طلابه : ما رأيت طوال صحبتي معه أنه غضب على أحد أو عنفه على رداءة سؤاله وقسوة السائلين[٢] .

ومن تقديره لطلابه أنه -يرحمه الله- كان يستوضح منهم في بعض ما يلبغه عنهم ، فإذا وجد لديهم من العلم ما يساند الدليل من الكتاب والسنة قبل ما لديهم ودعا لهم بالتوفيق ، ولم يكن ممن يتعصب لرأيه ؛ بل إنه كان يأخذ بما يستبين له فيه وجه الحق والصواب[٣] .

كان لا يسخر ولا يستهزأ ولا يضحك ساخرا من سائله ، وإن كان السؤال مضحكا منبئا عن جهل عظيم وربما دل السؤال على بلادة في الفكر والعقل . وحين يسأل عن شيء واضح يقول " سبحان الله[٤] .

وكانت له عناية بالطلاب من بناء بيت خاص للوافدين منهم ، وترتيب الرواتب لهم ، وممارسة أنواع المناشط المحببة إلى الشباب من الرياضة والمسابقة والرماية[٥] .

---

(١) الزهراني ، مرجع سابق ، ص٤٠٤ .

(٢) مجلة الأسرة ، العدد ٧٢ ، ربيع أول /١٤٢٠هـ ، قالوا عن ابن باز ، ص٢١ .

(٣) الحازمي ، مرجع سابق ، ج٢/ص٧٦٥ .

(٤) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢ ، ٥/صفر١٤٢٠هـ ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٢٠ .

(٥) البراك ، مرجع سابق ، ص٥٠ .

٤ ـ العلاقة مع الناس

إن مما يميز الشيخ بن باز عن غيره من العلماء علاقته مع الناس وانفتاحه عليهم فقد عاش -رحمه الله- معهم ولهم ، ولم يحجبه عنهم مشاغله ونشاطاته بل كان بيته مأوى للضيوف والمحتاجين واستقبالهم في كل وقت . ولقد انطلقت علاقة الشيخ بالناس من منطلق السماحة والتسامح وحسن الظن ، وكان يتعامل معهم على أساس احترام المشاعر والنظر في حاجاتهم ثقة منه دون أن يتحامل على أحد . وكان يطلب الدليل ويمحّص الأمور قدر استطاعته حتى يستبين له الحق ولم يكن يسمح أن يُغتاب أحد في مجلسه أو أن يتكلم أحدهم بفضول القول .

ولأنه يعرف أنساب الجزيرة العربية وقبائلها ، تعامل مع الجميع بحب واحترام حاضرة وبادية بدون تفرقة مع اختلاف أعمارهم وثقافتهم ومناطقهم ، واستطاع أن يكسب قلوبهم بفضل الله ثم بعلمه ومكارم خلقه ، وبما هيأه الله له من إمكانات شخصية ورسمية . ولم يقتصر ذلك على داخل المملكة بل امتد ذلك إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي ، فالجميع لديه أحباب في الله .

ومنذ توليه القضاء عام ١٢٥٧هـ بالدلم بالخرج وحتى مساء الليلة التي توفي فيها بأنه لم يحتجب عن الناس ولم يقعده المرض عن ذلك بل سعى إلى مصالح الناس إجابة وإفتاء ومساعدة وتشفعاً ، كما قد عرف بذلك الخلق لم يتزحزح عنه ولم يتبدل ساعة من نهار : مواعيد جلوسه ثابتة ومجلسه مفتوح في المكتب والمترل ، ومائدته محدودة وهواتفه لا تسكت ليلاً ونهاراً بالإجابات والتفاعل مع الناس في قضاياهم ، وتبسيط الأمور أمامهم [1] . لأنه يطبق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا)[2].

لم يقصده أحد من الناس في مساعدة أو شفاعة وأحاله الشيخ إلى غيره ، بل كان

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص١٧ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٧٣٢) ، ص٧٧٩ .

يتولى شؤون الناس بنفسه . أما تفريج الكربات وإغاثة اللهفان وعتق الرقاب فقد حاز قصب السبق في ذلك ، فكم من متورط بدين أقال عثرته وكم سائل نال مسألته ، بل وصل الأمر إلى ما هو أعظم فوصل شيخنا -رحمه الله- إلى إحياء أنفس كانت ستزهق وهو ما حصل لمجموعة من العلماء وطلاب العلم كانوا سيعدمون في الصومال ، فشفع لهم وتم إطلاق سراحهم وإحضارهم لسماحته تكريماً له في منزله العامر [١] .

جاءه ذات مرَّة أعرابي يسأله في طلاق امرأته ، فأفتاه الشيخ ببينونتها منه وأنها لا تحل له بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، فمازال الأعرابي يراجعه والشيخ يعيد عليه حتى قال له الأعرابي بلهجته العامية "تكفى يا شيخ علشاني"، فما زاد الشيخ عندها إلا أن قال لمن حوله : أعطوني العصا . . هي لعبة ! ولم يكن الشيخ غاضباً وإنما أراد إفهام الأعرابي أن هذا الأمر لا تهاون فيه [٢] . ولسماحته -رحمه الله- إسهامات كبيرة مع الناس في أمورهم العامة ، فعندما داهمت السيول الدِّلم ، خرج الشيخ وأخذ يشجع الأهالي على القيام بوضع السدود والحواجز الترابية حول الدِّلم ، وقد أخرج من بيته التمر وأدوات القهوة عند المواقع التي يعمل بها الناس تشجيعاً لهم ، وحتى يأكل ويشرب من يعمل في إقامة السدود بدون انقطاع ، وكذلك عندما هاجمت أسراب الجراد المزارع في الدِّلم ، خرج الشيخ مع الناس لقتلها بالجريد ، وذلك لشد أزرهم وتشجيعهم . وكان حريصاً على نفع المسلمين ودوائهم بالغيث .. وقد استسقى بحمد الله في إحدى السنوات ؛ وهطلت الأمطار ونزل الغيث [٣] .

٥ ـ العلاقة مع الأهل

لم ينس ابن باز العالم الرباني أهل بيته من علمه وتربيته ، فقد حرص أشد الحرص على اللقاء بهم في مجالس أسرية تجمعه بهم فيشاركهم أحوالهم ويحل مشكلاتهم ويجيب

---

(١) مجلة الأسرة ، العدد ٧٢ ، ربيع أول / ١٤٢٠هـ ، قالوا عن ابن باز ، ص٢١ .

(٢) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢ ، ٥/ صفر ١٤٢٠هـ ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٢٠ .

(٣) البراك ، مرجع سابق ، ص٩١ .

عما أُشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم .

وقد كان مبدأه العدل في كل جانب من حياته ، ومع خضم الأعمال الـتي كـان يشغلها إلا أنه كانه يحب الجلوس مع أهله والحديث معـهم والسـؤال عـن أحوالهـم وحاجتهم ، وكان يعدل بين بيتيه في الحديث والنوم والسفر [١].

وقد كان اهتمامه بالأسرة وأفرادها اهتماماً كبيراً ؛ لذلك فقد رتب لهـم بعـض الاجتماعات من كل أسبوع يلتقي بهم ويتحدث معهم في مشكلاتهم فينصحهم ويشـير عليهم بما ينفعهم . وكان يخص الأبناء والأحفاد في مجلس وموعـد محـدد ، والبنـات والحفيدات في مجلس أخر وموعد ثان .وقد كانت جلسته تبدأ بقراءة القرآن من أبنائـه أو أحفاده ثم يعقب ذلك شرح لهم في النص القرآني ثم نصائح عامة ويتحـدث معـهم في أحاديث عامة أو مشاكل خاصة عائلية .

وكانت علاقتـه بابنائه وبناته علاقة تسودها المشورة وحـرية الرأي ، ولم يكـن ـيرحمه الله_ متسلطاً أو معتزاً برأيه في شؤون أبنائه وبناته الخاصة رغم شدة تأثرهم بـه وطاعتهم له . وقد كان يشير عليهم وينصحهم ثم يترك لهم حرية الاختيار ، وهذا ما يدل عليه قوله عندما سئل عن دراسة أبنائه واختلاف مجالاتها « نشير عليهم بكلية الشـريعة دائما وبعضهم قد يختار كلية أخرى» [٢].

وأما صلته للرحم فقد كان يزور أخاه الأكبر ، و يتصل به ، رغم مشاغله -رحمـه الله- وكان بينهما الكثير من المحبة والتقدير [٣] .

* * * *

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص٥٠ .

الفصل الرابع
الفكر التربوي البازي

تمهيد

المبحث الأول : أهداف التربية عند ابن باز

الهدف الأول : تحقيق الصحة العامة

الهدف الثاني : : تنمية الاقتصاد الإسلامي

الهدف الثالث : التربية للوقاية

المبحث الثاني : مجالات التربية عند ابن باز

أولاً : التربية العقدية

ثانياً : التربية الجسدية

ثالثاً : التربية الخلقية

رابعاً : التربية الاجتماعية

خامساً : تربية المرأة عند ابن باز

المبحث الثالث : أساليب التربية والتعليم عند ابن باز

أولاً ـــ في التربية :

أ . القدوة الحسنة

ب . النصح والإرشاد بالحسنى .

ج . تأليف النفوس

د . رد المخطئ

هـــ . تأليف الكتـــب

ثانياً – في التعليـــم :

طريقة الإلقاء

الفكر التربوي في فتاوى ورسائل ابن باز

تمهيد

هذا الفصل يستنبط ويحلل الفكر التربوي البازي ، ويعرض الأفكار والأقوال ، ويؤكد على بعض الجوانب الفكرية التربوية دون غيرها ، وهي ليست حصراً وعداً ، ولكنها شيء مما يفيد الباحث والعالم والمتعلم ومن ثَمّ كل مسلم . وإلاّ فإن أفكار الشيخ التربوية كثيرة متعددة ، تُذكر الباحث فيها بمبادئ التربية الإسلامية ؛ فقد تميز – رحمه الله بالفكر العميق ، والأفق الواسع ، والقدرة الموفقة في التعامل مع مستجدات العصر . ثم هي تذكر الباحث فيها بأمر آخر وهو الأهم : أنها تتميز بالأصالة الإسلامية –فأصلها الكتاب والسنة النبوية . لكنها تجمع بين الأصالة والتجديد ، وهذا ما يحتاجه علماء هذا العصر ؛ الفكر الثابت والمتجدد .

* * * *

وفيما يلي عرضٌ لأهم الأفكار التربوية لابن باز كما جاءت في فتاواه ورسائله :

المبحث الأول : أهداف التربية عند ابن باز

لقد تعددت أهداف التربية الإسلامية وغاياتها ، ولكن هذه الدراسة ستركز على أهمها عند ابن باز :

الهدف الأول : تحقيق الصحة النفسية

النفس أداة التكيف للبيئة . وبمعنى آخر هي أداة تقييم الواقع وتكييف السلوك . ولقد ورد ذكرها في القرآن الكريم كثيراً . ولكنها وردت بثلاثة معاني : النفس المطمئنة ، قال تعالى :{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}(١)، والنفس اللّوامة ، قال تعالى :{وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}(٢)، النفس الأمّارة بالسوء ، قال تعالى :{إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي}(٣) .

لذلك فقد اهتم الإسلام بتربية النفس البشرية أكبر اهتمام ، فهي محور اهتمامه ومصب توجيهاته « وما ذلك إلا لأن صلاح الباطن واستقامة القلوب وطهارتها هو الأصل الأصيل والركيزة العظيمة لإصلاح العبد من جميع الوجوه ، وتأهيله لتحمّله الشريعة وأداء الأمانة وإنصافه من نفسه ، ولأدائه الحق الذي عليه لإخوانه »(٤) .

ولهذا قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)(٥) ، فأخبر عليه الصلاة والسلام أن صلاح العبد بصلاح قلبه ، فمتى صلح قلبه واستقام العبد مع الله ﷻ ومع العباد ، ومتى خبث القلب وفسد خبث العبد وفسدت حاله .. وقال عليه

---

(١) سورة الفجر ، آية (٢٧) .

(٢) سورة القيامة ، آية (٢) .

(٣) سورة يوسف ، آية (٥٣) .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ح٢/ص٢٣٥

(٥) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٥٩٩) ، ص٧٠٦ .

الصلاة والسلام : (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأموالكم ، ولكـــن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[١]، « فبين عليه الصلاة والسلام أن موضع النظر من ربنـــا ﷻ: القلب والعمل ، أما مالك وبدنك فلا قيمة لهما وليسا محل النظر إلا إذا استعملت مالك وبدنك في طاعة ربك »[٢] .

القلق النفسي من وجهة نظر ابن باز

لا يستقيم الباطن والظاهر إلا بالإيمان بالله فهو مصدر الراحة النفسية ومفجِّرهـــا . ولقد كان الشيخ المربي يرشد إلى هذه الحقيقة ، فكان ينصح كل من سأله بـــالرجوع إلى الأصل القويم الذي يمنح الإنسان الراحة النفسية ، ويوفر له السعادة . فـــهذا أحدهـم يسأل : أجد قسوة رهيبة في قلبي وحجاباً . فدعا له ابن باز ثم قال : قد وقـــع لبعـض الصحابة مثل ما وقع لك من الشك ، في بعض ما يتعلق بالله سبحانه ، فأوصاهم النبي ﷺ أن يقول من أحس بشيء من ذلك :(آمنت بالله)[٣]، وأن يستعيذ بالله وينتـــهي ، وزاده « وأوصيك بالثبات على ذلك وتكراره عند كل خاطر سيئ ، كما أوصيك بعدم اليـأس من رحمة الله وعدم القنوط . . »[٤] .

لقد عرف ابن باز حقيقة مرضه ، فدلَّه على الإيمان بالله ، قال تعالى :{مَا أَصَـابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيـــمٌ}[٥]، وعـــلاج الإيمان للنفس البشرية له شأنه عظيم ، فهو يحقق لها الأمن والسكينة . ويدعوها للتحلـي بأجمل الصفات ، ويبث فيها الشعور بالراحة والاطمئنان ، وهذا ما تطلبه كـــل نفـس وتحتاجه للحياة ، وذلك « لأن النفوس عندما تشعر بالأزمات تنتابها ، وبالمشكلات تحـل قريباً منها ، تجد في دين الإسلام وتشريعاته الراحة والمخرج . وكلما بعدت عـــن ديـن

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٥٦٤) ، ص١٠٩٧ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٣٥ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٣٤) ، ص١٠٨ .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٦/ص٣١٦ .

(٥) سورة التغابن ، آية (١١) .

الإسلام وضعف وازع الإيمان فيها كثرت الهموم في النفوس وتعددت المشكلات في المجتمع . وهذا ما يسمونه في العصر الحاضر : القلق النفسي . ولا شيء يطمئن القلوب ، ويريح النفوس إلاّ الرجوع إلى الله وامتثال شرعه والتحلي بالصفات التي دعا إليها دين الإسلام»[١] .

« فالكمال الذي منَّ الله به في الشريعة الإسلامية التي بعث الله بها محمداً ﷺ موجود في أوامرها ونواهيها وسائر أحكامها ، من تحقيق لكل ما تحتاجه النفوس وتتطلبه المجتمعات مهما جدَّ في حياتها من مؤثرات أو ظهر من اختراعات »[٢] .

الفكر المعاصر والقلق النفسي

« إن بعض ديانات الأرض اليوم المخالفة للإسلام لا يجد المتمعن في معتقداتها ما يتلاءم فكراً وعملاً مع متطلبات ومظاهر حياة هذا العصر ، ولا ما يريح النفوس من المؤثرات المحيطة ، فنشأ لديهم رغبة بفصل الدين عن الدولة »[٣] . فهذه محاولة ولها سابقات ، وستتلوها أيضاً محاولات ؛ لأنه و « مع تداخل الشعوب ، واحتكاك الأمم ، وكثرة المؤثرات والمخترعات وتباين الثقافات واختلاطها بتطور وسائل الإعلام ، وسرعة توصيلها للمعلومات من مكان لآخر ، وتقارب البلاد من أطراف الأرض بعضها من بعض ، بحيث أصبحت هموم بعضهم تؤرق البعض الآخر ، نراهم يجرِّبون حلولاً مختلفة من شعارات ومبادئ لتريح نفوسهم ، وتخفف من آلامهم وتحل بعضاً من مشكلاتهم . لكنها لم تجد شيئاً ولم تخفف عما داخل نفوسهم ، وخلخل مجتمعاتهم ؛ لأنها لم تكن من عند الله الحليم العليم .. فتهاووا في طرق متشعبة ، وظلوا في حيرتهم يعمهون ، وارتدت دراساتهم وحلولهم عليهم خاوية الوفاض ، مزجاة البضاعة . ووجدوا أن الصامدين براحة نفس ، وهدوء بال أمام هذه العواصف هم المسلمون الملتزمون بدينهم ، المحافظون على

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٦/ص٣٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٦٠

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٣٦٢_ص٣٦٣ .

شعائر ربهم »(١).

ولعلم النفس تفسير لطيف لحالة الصراع النفسي التي يعيشها الإنسان بين الأنفس الثلاث : فأما الصراع الأول فيحدث بين النفس اللّوامة "الضمير أو الرقيب الداخلي" والنفس الأمَّارة بالسوء "الرغبات والأهواء والمحرمات". فإذا لاحظت النفس اللّوامة شذوذاً في تصرف الإنسان ، وأنه قد أتى بما ينافي الأخلاق والآداب ، فإنها تنزل به العقاب ، وتصب عليه التقريع واللّوم ، وكثيراً ما توقفه عند حده قبل أن يرتكب هفوته ؛ فتحول بينه وبينها . ويحدث الصراع أيضاً بين النفس الأمَّارة والنفس المطمئنة "العاقلة وهي صورة للواقع الذي تقره البيئة"، فكثيراً ما تتعرض النفس المطمئنة إلى هزات من النفس الأمَّارة بالسوء ، إلاّ أنه في الكثير من الأحيان تعمل هذه النفس على كبح جماح النفس الأمَّارة أو تعديلها بما يتوافق مع العالم الخارجي . ولكن لا تستطيع النفس المطمئنة أن تقوم بهذا الدور ، إلاّ إذا كانت لديها القوة الكافية للتحكم في رغبات النفس الأمَّارة بالسوء ، هذه القوة التي تستمدها من الإيمان وإيثار النفس والتضحية والعمل(٢) .

إن تربية الوازع الإيماني في النفوس كفيل بأن يحقق لها الراحة والسعادة ، وحبذا لو كانت هذه التربية مبكرة لتقي الإنسان الأمراض والمشكلات النفسية ؛ وذلك لأن التربية الدينية توفر لصاحبها نظاماً منسقاً من القيم والمعايير الأخلاقية ؛ التي تمكنه وتساعده على التكييف النفسي والعيش بسعادة واطمئنان .

ولإيجاد هذا الوازع وتربيته في النفس يحتاج إلى عوامل مقويَّة ، وعوامل حماية .

عوامل تقوية النفس :

العامل الأول : تقوى الله

ورد ذكر التقوى في القرآن الكريم أكثر من ٢٥٠ مرة بتصاريفها المختلفة ، وكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبدأ بها خطبه ووعظه . وكذلك هي كثيرة في

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص٣٦٢_ص٣٦٣ .

(٢) فهمي ، مصطفى . الصحة النفسية . مصر / القاهرة : مكتبة الخانجى ، (د . ت) ، ص٣٣٩_ص٣٤٠ .

كتب الشيخ ابن باز ورسائله ، كان يحضُّ عليها ويرغِّب فيها ، بدءً بنفسه .

التقوى هي : « دين الإسلام ، وهي : الإيمان والعمل الصالح »(١) . « وهي كلمة جامعة ، تجمع الخير كله ، وحقيقتها أداء ما أوجب الله ، واجتناب ما حرَّمه الله على وجه الإخلاص له والمحبة والرغبة في ثوابه ، والحذر من عقابه »(٢) . و« المتقي لله هو العابد لله سبحانه ، المستقيم على أمره ، المطبق لشريعة ربه في نفسه وفي غيره حسب طاقته ، بفعل الأوامر ، وترك النواهي »(٣) .

إن في التقوى تربية روحية للنفس البشرية تسمو بها إلى تحصيل الكمال الإنساني ، وتذكّيها من كل ما يدنسها ، فهي كصمام الأمان ؛ تقي المسلم الوقوع في الأخطاء ، وترفع من قدره إلى أعلى الدرجات . لذلك فقد أمر الله عباده بالتقوى ووعدهم عليها بتيسير الأمور ، وتفريج الكروب ، وتسهيل الرزق ، وغفران السيئات والفوز بالجنات ، قال تعالى :{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}(٤) .

والتقوى حصانة منيعة ضد كل الأسباب والمسببات التي تعترض أمن النفس الإنسانية وطمأنينتها وصحتها ، ومن هنا فإن التقوى مفتاح معالجة المشكلات النفسية كلها . ذلك أن المعالجات الحسية قد لا تجدي نفعاً للمشكلات النفسية ما دامت النفس بعيدة عن التقوى(٥) .

« فالإنسان قد تضيق أمامه الدروب وتُسد في وجهه الأبواب في بعض حاجاته ، فالتقوى هي المفتاح لهذه المضائق وهي سبب التيسير لها ، كما قال الله تعالى :{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً}(٦)، وقد جرب سلفنا الصالح وهم الصحابة ﷺ وأتباعهم

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص١٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٦٢ .

(٤) سورة الطلاق ، الآيتان (٢_٣) .

(٥) الخطيب ، محمد شحات وآخرون . أصول التربية الإسلامية . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الخريجي ، (١٤١٥هـ) ، ص٣٤١ .

(٦) سورة الطلاق ، آية (٤) .

بإحسان ، كما جرب قبلهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين بعثهم الله لهداية البشر ، وحصلوا بالتقوى على كل خير ، وفتحوا بها باب السعادة وانتصروا بها على الأعداء ، وفتحوا بها القلوب ، وهدوا بها البشرية إلى الصراط المستقيم »[١] .

التقوى منجاة في الدنيا والآخرة « والإنسان في أشد الحاجة ، بل في أشد الضرورة إلى الأسباب التي تخلّصه من المضائق في الدنيا والآخرة ، ولكنه في الآخرة أشد حاجة وأعظم ضرورة ، وأعظم الكروبات وأعظم المضائق كربات يوم القيامة ، وشدائدها ، فمن اتقى الله في هذه الدار فرَّج الله عنه كربات يوم القيامة ، وفاز بالسعادة والنجاة في ذلك اليوم العظيم العصيب .. فالتقوى باب لتفريج كربة العسر وكربة الفقر وكربة الظلم وكربة الجهل وكربة السيئات والمعاصي وكربة الشرك والكفر إلى غير ذلك »[٢] .

التقوى مدرار للرزق . فإن الله صلى الله عليه وسلم وعد بها حصول الرزق في الدنيا والآخرة ، بغير حساب « والإنسان محتاج أيضاً إلى الرزق الحلال الطيب في هذه الدار ، وإلى النعيم المقيم في الآخرة ، وهو أحسن نعيم وأعظم النعيم ولا نعيم فوقه ، ولا طريق إلى ذلك ولا سبيل إلا بالتقوى »[٣] .

وبركات التقوى واقعية في الأشياء والنفوس والمشاعر ، وفي طيبات الأرض تنميها وترفعها في آن واحد . وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال . . وهي مع هذا واقع منظور ، وليست مسألة تعبدية بحتة [٤] .

ثم إن العلم بثمرات التقوى – مما سبق ذكره وغيره – يقوي صلة الإنسان بربه ، ويجعله دائم الالتجاء إليه ، يدعوه ويناجيه أن ييسر له أمره ويخرجه من ضيق الدنيا إلى سعة رحمته سبحانه ﷻ .

التقوى دعوة للعلم ، وقد خصَّها الله من صفات العلماء ، قال تعالى :{إِنَّمَا يَخْشَى

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٨٤ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٨٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢/ص١٢٨ .

اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[١]، وهي من بعد العلماء يحتاجها كل إنسان « والإنسان محتاج إلى العلم ، والبصيرة والهدى ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقوى ، كما قال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ }[٢]، والفرقان كما قال أهل العلم هو : النور الذي يفصل به بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال .. رتب الله على التقوى الفرقان ؛ لأن من شعبها التعلم والتفقه في الدين والتبصر في ما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام »[٣] .

التقوى سبب للارتقاء وعلو الهمة ؛ لأن الارتقاء بالأمة الإسلامية يحتاج إلى تطوير القوى المختلفة ، وبذل الجهود وتسخير الطاقات المتعددة ، وتنمية القدرات . . والتقوى تدفع الإنسان إلى السعي المتواصل وبذل الجهد لإرضاء الله عز وجل والقيام بأمر الخلافة في الأرض على أكمل وجه ، وهذا يتطلب من الإنسان تنمية قدراته ، وتسخير إبداعاته لنفع نفسه والصالح العام ، وأكبر صور الارتقاء وعلو الهمة في الأمة هو النصر على الأعداء ؛ لأنه يحتوي أكبر قوى وطاقات الأمة « وهكذا المسلمون في أشد الحاجة إلى النصر على أعدائهم والسلامة من مكائد الأعداء ولا سبيل إلى هذا إلا بالتقوى ، كما قال الله ﷻ :{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[٤]، فالمسلمون إذا صبروا في طاعة الله وفي جهاد أعدائه واتقوا ربهم في ذلك بإعداد العدة المستطاعة : البدنية والمالية والزراعية والسلاحية وغير ذلك ، نصروا على عدوهم ؛ لأن هذا كله من تقوى الله .. وكل ذلك داخل في قوله سبحانه :{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[٥]، ولا يتم ذلك إلا بالصبر »[٦] .

---

(١) سورة فاطر ، آية (٢٨) .

(٢) سورة الأنفال ، آية (٢٩) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٨٥_ص٢٨٦

(٤) سورة آل عمران ، آية (١٢٠) .

(٥) سورة الأنفال ، آية (٦٠) .

(٦) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٨٧_ص٢٨٨ .

التقوى من أعظم سبل التربية على الفضائل والمحاسن ؛ لأنها في حقيقتها تقي الإنسان من الوقوع في المعاصي ، وتحثه دائماً لفعل الطاعات ، وتجنبه الانحرافات ، وتجعله دائماً متصل بالله ﷻ في السر والعلن « والصبر من أعظم شعب التقوى .. ومع هذا الصبر لا بد من تقوى الله في أداء فرائضه وترك محارمه والوقوف عند حدوده والانكسار بين يديه »(١) .

التقوى خير زاد لتحمُّل المصائب ، ولا يستطيع الصبر عليها إلاّ المتقين ، بل إن الله يبتلي العبد بقدر ما في قلبه من إيماناً وتقوى ، وأشد بلاء هم الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه . « وقد أُبتلي الرُّسل وهم أفضل الخلق وأفضل المتقين ؛ حتى يتبين للناس صبرهم وشكرهم . . فالعاقبة الحميدة لأهل التقوى »(٢) .

« فأنت ياعبدالله في أشد الحاجة إلى تقوى ربك ولزومها والاستقامة عليها ولو جرى ما جرى من الامتحان ، ولو أصابك ما أصابك من الأذى أو الاستهزاء من أعداء الله ، أو من الفسقة والمجرمين ، فلا تبالي ، واذكر الرسل عليهم الصلاة والسلام ، واذكر أتباعهم بإحسان »(٣) .

وتقوى الله يقظة واعية تصون من الاندفاع والتهور والشطط والغرور ، في دفعة الحركة ، ودفعة الحياة .. وتوجه الجهد البشري في حذر وتحرج ، فلا يعتدي ولا يتجاوز حدود النشاط الصالح (٤) .

العامل الثاني : محبة الله

المحبة أمر لابد منه حياة الإنسان ، وهي تتعدد وتختلف درجاتها وشدتها بين محبة وأخرى ، ولكن الضابط لها والذي ينبغي أن يكون على رأسها يقومها هي : محبة الله جل وعلا .

وهذه المحبة في الحقيقة هي التي ملأت قلب ابن باز ، وكانت سبب قوته في الإيمان

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٨٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٨٩_ص٢٩٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٩٠

(٤) مارديني ، صلاح الدين . التقوى . ط١ ، سوريا / دمشق : المكتب الإسلامي ، (١٤٠٠هـ) ، ص١٢٨

ومنبع سعادته التي كان يشعر بها رغم ما كان يؤلمها كثيراً من واقع المسلمين وما يهددهم من أخطار .

وهذا ما كان يقصده ابن باز عندما يوصي بمحبة الله لتحقيق السعادة والراحة النفسية . فعندما يجعل المسلم محبة الله عز وجل على رأس محابه ؛ فإنها وفي تصدرها هذا ستكون بمثابة القائم والضابط لكل ما يحب الإنسان بعد ذلك . وهذا الأمر قد زل فيه الكثير من المسلمين ، فمنهم من فرَّط ومنهم من أفَّرط حتى وصل إلى الشرك ـ والعياذ بالله .

ومن الوسائل التي اتخذها القرآن إلى إيجاد الحب في قلب الإنسان أن يوجه إلى إبداع الله في الكون والحياة . ويوجه قلبه وبصره إلى عناية الله التي يحيط بها خلقه ، ويوجهه إلى التأمل في آثار قدرته وعلمه [١] .

العامل الثالث : التوكل على الله

التوكل في حقيقته عبادة قلبية ، يتحكم في شدتها ومدى قوتها وصمودها القلب ، فبقدر إيمان القلب بالله جل وعلا ، وأنه القادر على كل شئ وبيده سبحانه تقدير الأمور وقضاؤها ، بقدر هذا الإيمان تأتي شدة التوكل بالله عز وجل . فيسلم المؤمن أمره لله عز وجل ، ويخرج من حول نفسه وقدرته وتصرف أي مخلوق سوى الله إلى كنف حول الله وقدرته سبحانه .

« حقيقة التوكل الشرعي : هي الأخذ بالأسباب والعناية بها مع الاعتماد على الله والتوكل عليه . وقد نبه الله سبحانه على هذا المعنى في عدة آيات ؛ منها قوله سبحانه : {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ . وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}[٢] ، أي : كافيه ، فذكر التقوى أولاً وهي أعظم الأسباب ؛ لأن حقيقتها طاعة الله ورسوله في كل شيء ، ومن ذلك الأخذ بالأسباب الحسية والمعنوية والسياسية والعسكرية ، ثم ذكر التوكل ، ويتبين من ذلك أنه لا يجوز للمسلم أن يعرض عن

---

(١) عميرة ، عبد الرحمن . منهج القرآن في تربية الرجال . ط١ ، عكاظ للنشر والتوزيع ، (١٤٠١هـ) ، ص٩٢ـص٩٣ .

(٢) سورة الطلاق ، الآيتان (٢ـ٣) .

الأسباب والعناية بها مع الاعتماد على الله والتوكل عليه »[1] .

بهذه الكلمة الموجزة يؤكد ابن باز على أمر ويبين حقيقته ، التي أخطأ في فهمها كثير من الناس في الماضي والحاضر ، رغم أهميتها في تقوية النفس البشرية .

وهذه الحقيقة هي أنه لابد مع التوكل من الأخذ بالأسباب التي شرعها الله وقدرها للمسلم فالمسلم لا يجلس عن السعي والكسب بحجة أن الأقدار من عند الله بل إن إيمانه بالقدر حقيقة يجعله يتوكل على الله حق التوكل ويسعى ليكسب قوت يومه ويسابق غيره في الخيرات ؛ تنمية لنفسه ونهضة لأمته ، وقد حذر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم من تعطيل الأسباب والقعود عن العمل ، فقال لهم ذات يوم : (ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقال اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة) ثم قرأ النبي ﷺ :{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}[2] [3] .

ويجمع ابن باز شتات هذا الأمر ببيانه الوافي لمعنى التوكل : « التوكل يجمع شيئين :

أحدهما ، الاعتماد على الله والإيمان بأنه مسبب الأسباب ، وأن قدره نافذ ، وأنه قدَّر الأمور وأحصاها وكتبها سبحانه وتعالى .

الثاني ، تعاطي الأسباب فليس من التوكل تعطيل الأسباب بل التوكل يجمع بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله ومن عطَّلها فقد خالف الشرع والعقل ؛ لأن الله ﷻ

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١٧٠

(٢) سورة الليل ، الآيات (٥ – ١٠) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٤٧) ، ص١١٢٣ .

أمر بالأسباب وحث عليها سبحانه ، وأمر رسوله بذلك وفطر العباد على الأخذ بها ، فلا يجوز للمؤمن أن يعطّل الأسباب بل لا يكون متوكلاً حقيقة إلا بتعاطي الأسباب .

ولهذا شرع النكاح للعفة وحصول الولد وأمر بالجماع ، فلو قال أحد من النـــاس : أنا لا أتزوج وانتظر الولد بدون زواج لعد من المجانين ، وليس هذا من أمـــر العقـــلاء ، وكذلك لو جلس في البيت أو في المسجد يتحرى الصدقات لم يكـــن ذلـــك مشـــروعاً ولا توكلاً بل يجب عليه أن يسعى في طلب الرزق ويعمل ويجتهد مع القدرة على ذلك . ومريم -رحمة الله عليها- لم تدع الأسباب . . وقد قال الله لها :{وَهُزِّي إِلَيْـــكِ بِجِـــذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياًّ}(١)، وهذا أمر لها أن تأخذ بالأسباب ، وقد هزت النخلة وتعاطت الأسباب ، حتى وقع الرطب ، فليس في سيرتها ترك الأسباب ، أما وجود الرزق عندها وكون الله أكرمها به وأتاح لها بعض الأرزاق فلا يدل أنها معطلة للأسباب ، بـــل هي تتعبد وتأخذ بالأسباب »(٢) .

التوكل على الله وتفويض الأمر إليه والرضا بمشيئته والإيمان بقضائه وقـــدره ، زاد روحـــي مطمئـــن ومسكن ، يمد الفرد بقوة روحية تخلصه من القلـــق والخـــوف مـــن المستقبل (٣) .

لاشك أنه عند توفر هذه العوامل ؛ فإنها ستكســـب النفـــس البشـــرية الســـكينة والطمأنينة التي تحتاجها ، وتمدها بالقوة والعزة التي تحثها على النشاط والعمل ، وتبـــث فيها الأمل لمستقبل أفضل .

« هذا كله يورث القلوب وازعاً عظيماً من تعظيم شعائر الله ومن تعظيم حرمـــات الله ، حتى يكون عند العبد وازع من قلبه ودافع من خشيته وحافز مـــن إيمانـــه إلى أداء الواجبات وإلى ترك السيئات وإلى الإنصاف من نفسه وإلى أداء الأمانة الحق الذي عليـــه

---

(١) سورة مريم ، آية (٢٥) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٤/ص٤٢٧ ــ ص٤٢٨ .

(٣) زهران ، حامد عبد السلام . التوجيه والإرشاد النفسي . مصر / القـــاهرة : عـــالم الكتـــب ، (١٩٨٢م) ، ص٣٣٤ .

لأخيه »[١] .

قال تعالى :{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٢]، « فأرشد الله سبحانه إلى أن الحياة الطيبة والراحة والطمأنينة والعزة الكاملة إنما تحصل لمن استجاب لله ولرسوله واستقام على ذلك قولاً وعملاً ، وأما من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام واشتغل عنهما بغيرهما فإنه لا يزال في العذاب والشقاء والهموم والغموم والمعيشة الضنك ، وإن ملك الدنيا بأسرها ، ثم ينقل إلى ما هو أشد وأفظع وهو عذاب النار – عياذاً بالله من ذلك »[٣] .

ولكن قد يتعرض هذا الإيمان للشك والقلق ، وكثيراً ما كان يُسأل ابن باز عن هذه الحال . وكان –رحمه الله– يُرجع ذلك لعدة أسباب منها :

١- « وهو أعظمها الجهل بمقتضى الإيمان وأدلته .

٢- عدم العمل بمقتضى العلم ؛ فيضعف الإيمان شيئاً بعد شيء حتى يزول ويحل محله الشك والقلق ، كما يدل عليه الواقع وتقتضيه النصوص .

٣- وجود المؤمن في بيئة غير مؤمنة ؛ فتملي عليه شكوكها وشبهاتها فيتزعزع إيمانه ويضعف أمام المغريات ودواعي الانحراف ، لا سيما إذا كان قليل العلم وفقد المُجالس الصالح الذي يثبته ويعينه .. ويدل على هذا ما جاء في الحديث الصحيح عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال : (بادروا بالأعمال فتنا)[٤] .

وهذا الحديث يرشد إلى أن البدار بالأعمال الصالحات من أسباب ثبات الإيمان وأن عدمها من عوامل الشك والتأثر بالفتن »[٥] .

ويقف ابن باز قليلاً عند هذا السبب لأهميته العظمى « وهذه الفتن يدخل فيها فتن

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٣٠_ص٢٣١ .

(٢) سورة النحل ، آية (٩٧) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١٥٨ .

(٤) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٥١) ، ص١٠٢ .

(٥) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص١٤٧ .

الشهوات وفتن الحروب ، وأعظمها فتن الشهوات إذ هي أكثر إغراء وأقرب إلى النفـوس الضعيفة فينخدع المؤمن أول الأمر ثم يتورط فيها حتى تسوخ قدمه في الباطل ويذهـــب إيمانـــه »[١] .

ويؤكد ابن باز هنا على نقطة مهمة وتعتبر هي الأصل في الموضوع : وهي رســوخ الإيمان حقيقة قوية « ومتى رسخ الإيمان في القلوب وذاقت حلاوته واســتنارت بأدلتــه صعب اقتلاعه منها وندر رجوع صاحبه عنه واستبداله بغيره »[٢] .

والواقع يشهد بهذا ، وكذلك هرقل يشهد بهذا حين سأل أبي سفيان عن مســائل تتعلق بدعوة الرسول ﷺ :« هل يرتد أحد من أصحاب محمد بعد دخوله في دينه ســخطة له ؟ فأجاب أبو سفيان بالسلب ، فقال هرقل : وكذلك الإيمان حين تخـــالط بشاشــته القلوب .. ولهذا لم يرو أن الرسول أنكر عليه هذا الجواب »[٣] .

« أما التجربة العملية لهذا فقد ذكر ابن القيم في قصيدته النونية أنه وقع له شيء مـن الشك والقلق بسبب النظر في كتب أهل الكلام وشبهاتهم حتى أتاح الله له شيخ الإســلام ابن تيميه فأرشده إلى الآيات والأحاديث المعرِّفة بالله ، وكمال عظمته وأسمائه واســتقلاله بتدبير الأمور فاستقام إيمانه وزال عن نفسه ما ساورها من أنواع الشكوك والقلق »[٤] .

عوامل الحماية :

لقد نبه هنا ابن باز على ضرورة اتخاذ العوامل التي من شأنها حماية النفس البشــرية من الأكدار ، وهي عاملان هامان .

الأول : البعد عن المعاصي والذنوب ، والبعد كذلك عـــن أســبابها « وطريــق السلامة والنجاة أن يتباعد المؤمن عن أسباب الفتن وأن يحذرها غاية الحذر »[٥] .

---

(١) المرجع السابق ، ج٣/ص١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ج٣/ص١٤٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج٣/ص١٤٧ـ ص١٤٨ .

(٤) المرجع السابق ، ج٣/ص١٤٨ .

(٥) المرجع السابق ، ج٣/ص١٤٧ . سيأتي بعض البيان عن آثار الذنوب والمعاصي لاحقاً عند التحدث في مســألة "زيادة الإيمان ونقصانه" في مجال التربية العقدية .

الثاني : الإقبال على كتاب الله وتدبر ما فيه من معاني قدرته وبديع صنعه سبحانه ، وذلك بصورة مستمرة « ويُقبل على كتاب الله تالياً ومتدبراً للآيات الدَّالة على الله والإيمان به ، المشتملة على الحجج العقلية والبراهين النظرية المرشدة إلى وجوده سبحانه ووحدانيته واستقلاله بتدبر الأمور كلها ، واستحقاقه أن يعظم ويطاع باتباع شريعته والوقوف عند حدوده »[١] .

إن من متطلبات الإيمان بالله ﷻ قراءة رسائله ، والعمل بما جاء فيها . والقرآن رسائل الله ﷻ لخلقه . ومنه يكوِّن الإنسان أفكاره وتوجهاته عن الله ﷻ ، وعن كل ما يحيط به في : الكون والحياة ، وعن نفسه هو .

ومن أجل ذلك وغيره فقد أوصى ابن باز به « الإقبال على تلاوته والإكثار منها ليلاً ونهاراً مع التدبر والتفكر والتعقل لمعانيه العظيمة المطهِّرة للقلوب ، المحذِّرة من متابعة الهوى والشيطان . فإن الله سبحانه أنزل القرآن هداية وموعظة وبشيراً ونذيراً ومعلماً ومرشداً ورحمة لجميع العباد فمن تمسك به واهتدى بهداه فهو السعيد الناجي ، ومن أعرض عنه فهو الشقي الهالك . قال تعالى :{إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً}[٢]، ولقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم الشأن في نفوس العرب ، فقد غيَّر شخصياتهم تغييراً تاماً ، وأخلاقهم وسلوكهم وأسلوب حياتهم . وكون منهم أفراداً ذوي مبادئ ومثل فاستطاعوا أن يهزموا الروم والفرس ، ويقيموا دعوة الإسلام .. ولا شك أن في القرآن طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان ، فهو يهز وجدانه ، ويرهف أحاسيسه ومشاعره ، ويصقل روحه ، ويوقظ إدراكه وتفكيره ، ويجلي بصيرته ..[٣] .

« والمقصود من التلاوة : هو التدبر والتعقل للمعاني ثم العمل بمقتضى ذلك ، كما

---

(١) المرجع السابق ، ج٣/ص١٤٧ .

(٢) سورة الإسراء ، آية (٩) .

(٣) نجاتي ، محمد عثمان . القرآن وعلم النفس . ط٦ ، مصر / القاهرة : دار الشروق ، (١٤١٧هـ) ، ص٢٦٦ .

قال تعالى :{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[١] .

إن الحكمة من تلاوة القرآن هي : طاعة الله ﷻ ، ومداواة القلوب « وليجعل لتلاوة كتاب الله وسماعه ممن يتلوه وقتاً مخصوصاً يستمع فيه كلام ربه ، ويداوي بذلك أمراض قلبه ويستعين به على طاعة خالقه ومربيه المالك للضر والنفع والعطاء والمنع لا إله غيره ولا رب سواه »[٢] .

وهناك من العلل المنتشرة والتي تعطّل هذا السبب في حصول الراحة النفسية من أهمها : « وحذروا رحمكم الله ما يصدكم عن كتاب الله ويشغلكم عن ذكره من الصحف والمجلات وما أشبهها من الكتب التي ضررها أكثر من نفعها . . وإن كان ولابد وهي من وسائل العصر للعلم والثقافة ، وإذا دعته الحاجة إلى مطالعة شيء من ذلك فليجعل لذلك وقتاً مخصوصاً ، وليقتصر على قدر الحاجة »[٣] .

وكذلك من العلل الشاغلة عن التلاوة « ومما ينبغي الحذر منه حضور مجالس اللهو والغناء وسماع الإذاعات الضارة ، ومجالس القيل والقال ، والخوض في أعراض الناس . وأشد من ذلك وأضر حضور مجالس السينما وأشباهها ، ومشاهدة الأفلام الخليعة الممرضة للقلوب الصادة عن ذكر الله وتلاوة كتابه ، الباعثة على اعتناق الأخلاق الرذيلة وهجر الأخلاق الحميدة »[٤] .

وهذا هو الأسلوب الذي يتبعه أكثر العلماء : وهو ما يُعرف بأسلوب التخلية فالتحلية ، وبذلك تخلو النفس من المضار ، وتهيأ لاستقبال النافع من الأمور .

الأسباب المؤدية لتحقيق الراحة النفسية :

هناك أسباب لا شك أن الأخذ بها والاستمرار عليها يؤدي بل هو الطريق الوحيد لراحة النفس البشرية وتحقيق سعادتها الحقيقية التي ترجوها . وقد عدد ابن باز هذه

---

(١) سورة محمد ، آية (٢٤) .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٢٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج٣/ص٢٥٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج٣/ص٢٥٠ .

الأسباب وحث عليها ، وكان من الدائمين لها والحريصين على التزود بها .

١- ذكر الله ، قال تعالى :{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[١]، وكان -رحمه الله- يلازم الأذكار والأوراد ويقولها في أوقاتها . « لاشك أن الإكثار من ذكر الله .. من أعظم الأسباب في طمأنينة القلوب وراحتها ، وفي السكون إلى الله سبحانه وتعالى والأنس به سبحانه ، وزوال الوحشة والذبذبة والحيرة »[٢] .

ولا شك أن لكل شيء حي غذاء . وغذاء الروح ذكر الله ﷻ ، فهو يلازمها في كل أحوالها وأوقاتها ؛ وبه تأمن كل المخاوف ، وفيه تستأنس بمعية ربها ، وبه تحصل لها الطمأنينة والسكينة ؛ وذلك لأنها تذكر خالقها الذي أوجدها وهو أعلم بها سبحانه ، يعلم ضعفها وقوتها ، فتحمده وتمجّده وتشكره على آلائه ونعمه ، وتناجيه غفران الزّلات ، وتدعوه المنَّ والعطاء .

الذكر جلاء لصدأ القلوب . الذي تكونه الغفلة والذنوب ، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته ؛ كان الصدأ متراكباً على قلبه ، وصدؤه بحسب غفلته ، وإذا صُدأ القلب ؛ لم تنطبع فيه صور المعلومات على هي عليه ، فيرى الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم ، قال تعالى :{وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}[٣] [٤] .

والذكر هنا عام يشمل كل ذكر كان باللسان أو القلب أو بهما ، وكل ما جاء في القرآن الكريم ، أو ورد في السنة النبوية الصحيحة . وأوراد الصباح والمساء ، وكل ذكر له ظرف معين يقال فيه سواء كان في الزمان أو المكان .

الذكر عوناً للإنسان في كل شدة وضيق ، يقول الله ﷻ :{وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا

---

(١) سورة الرعد ، آية (٢٨) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١١/ص٢٠٩ .

(٣) سورة الكهف ، آية (٢٨) .

(٤) ابن قيم الجوزية ، محمد . صحيح الوابل الصيّب من الكلم الطيّب . ط٣ ، تحقيق : سليم بن عيد الهلالي ، المملكة العربية السعودية / الدمام : دار ابن الجوزي ، (١٤١٦هـ) ، ص٨٠ .

نَسِيتَ}[1] . والذكر حرز من الشيطان ، فهو عدو الإنسان يتربص به ، يوحشه ويخوفه ويوسوس له ، وأكبر طارد له ؛ ذكر الله ، قال الله ﷻ :{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ}[2]، وقوله تعالى :{وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ }[3]، وكان النبي صلى ﷺ يتعوذ فيقول :(أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ؛ ونفخه ، ونفثه)[4] .

لا تُحصر فوائد الذكر المعنوية على النفس المؤمنة ، بل إن فوائده لتراها العين المتأملة أمامها مجسدة ، على جسد الذَّاكر ، فهو يكسو الوجه نضرة في الدنيا ، ونوراً في الآخرة . وكذلك هو يمده بالقوة والنشاط ، حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه [5] . وقد علَّم النبي ﷺ ابنته فاطمة -رضي الله عنها- عندما أتته تسأله خادماً . وشكت العمل . فقال ﷺ ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم ؟ تسبحين ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدين ثلاثاً وثلاثين ، وتكبرين أربعاً وثلاثين . حين تأخذين مضجعك)[6] .

ذكر الله يبث الطمأنينة والهدوء والسعادة في الإنسان ، ويبعد الهم والقلق ويبعد الأفكار الوسواسية والسلوك القهري ، ويبعد الشيطان[7] .

وحين يقف المؤمن حائراً متذبذباً ، قد قصُرَ عِلمه ، وضعُفَت قوته الإرادية بالرغم من علمه وحكمته ؛ فلم يعلم ما يفعل في شأنه ، وحين يتردد حائراً بين أمرين لا يعلم أيهما أخيّر له ، هنا يمكنه أن يستخير علاّم الغيوب . فيدعوه التوفيق والسداد .

الاستخارة : رحمة من الله ﷻ شرعها للمؤمنين ؛ فتستهدي بها نفوسهم وتستقر بذكرها أفكارهم ، فتثبت علي الحق وتدرك الخير الذي قُدر لها . يقول جابر رضي الله

---

(١) سورة الكهف ، آية (٢٤) .

(٢) سورة فصلت ، آية (٣٦) .

(٣) سورة المؤمنون ، آية (٩٧) .

(٤) أخرجه الإمام أبو داود ، حديث رقم (٧٧٠) ، ج٢/ص٣٣٨ .

(٥) ابن القيم ، صحيح الوابل ، مرجع سابق ، ص١٤٤_ص١٤٨ .

(٦) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٧٢٨) ، ص١١٥١ .

(٧) زهران ، مرجع سابق ، ص٣٣٤ .

عنه كان رسول ﷺ يعلّمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : (إذا همَّ أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهمَّ إني أستخيركُ بعلمك ، وأستقدركُ بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ؛ فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علم الغيوب ، اللهمَّ إن كنت تعلم أن هذا الأمر - يسمي حاجته - خير لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ؛ فاقدُره لي ، ويسِّره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ؛ فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم أرضني به)[١].

وقد كان ابن باز يكثر منها في أمور الدين والدنيا ، فكان يلجأ إليها إذا احتاج أن يثبت في فتوى أو علم ما ، وكذلك يلجأ إليها في شؤونه الخاصة ، فقد قرر الأطباء أن يجروا له عملية . . ولكنه رفض وقال : « كنت قد استخرت الله سبحانه في الليل فلم يرتح قلبي للعملية وقد كانت نفس حصاة المرارة جاءتني وأنا بالمدينة المنورة وأرسل الملك فيصل -رحمه الله- فريقاً طبياً وفي صباح اليوم الذي قرروا فيه العملية ذهب ما كنت أشكو منه ، وذلك لأنني استخرت الله تعالى في الليل وحصل لي ماحصل هذه المرة . . فأنا متوكل على الله ولا أريد العملية »[٢] وقد شفاه الله .

إن للاستخارة دوراً كبيراً وفاعلاً في هداية المؤمن وتوفيقه ؛ لأنها تجعله يلتجئ إلى الله في وقت شدته ورخائه ؛ فيطلبه لفقره وعجزه ، العون والتوفيق ، ويفوض له الأمر ، ويتوكل عليه ، ثم هو يرضى بقضائه وقدره . وهنا يتجرد صدق الالتجاء إلى الله ﷻ . وقد علَّمها الرسول ﷺ لصحابته الكرام ، ونصح بها ابن باز لكل مؤمن بالله ، كان حائراً في أمره ، أو قد همّ بأمر ما ، من أمور الدنيا . أما أمور الآخرة والواجبات الدينية فإنها تُؤدى كما أمر بها شرعاً . لقد تمسك بها العلماء الإجلاء ؛ لأنهم أدركوا ما فيها ، وعرفوا سرها .

---

(١) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . لبنان / بيروت : دار الفكر ، (١٤١١هـ) ، حديث رقم (٦٣٨٢) ، ج١٢/ص٤٧٦ـص٤٧٧ .

(٢) الحازمي ، إبراهيم بن عبد الله . سيرة وحياة الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ط١، المملكة العربية السعودية : الرياض / دار الشريف ، (١٤٢٢هـ) ، ج٢/ص٩١٢ .

ثم إن الذكر تربية لجوارح المؤمن ؛ لأنه يحفظ اللسان من الخطأ ، أو الوقوع في أعراض الناس بالنميمة والغيبة والظن الخاطئ . ويشغل القلب بالله ﷻ . والعقل بالتأمل والتدبر في ألفاظ الذكر . فهو من أعظم وسائل التربية ؛ في شغل وقت الفراغ ، واستغلاله في العبادة . وهي من أجلّ العبادات والحسنات المكتوبة في السجلات ، يوم القيامة .

ولكن هذه العبادة لا تتأتى إلا بإخلاص النية لله ﷻ وخشوع القلب ، واستحضار عظمة الله ومحبته سبحانه .

٢ – الصلاة وهي من الأمور الجامعة لأكثر الطاعات « وهي عمود الإسلام ، وأول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة من عمله ، فإن صلحت فقد أفلح ونجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، وهي عبادة تؤدى في وقتها المحدد .. وقد توعد الله سبحانه وتعالى من يتهاون بها ويؤخرها عن وقتها »[١] .

ومن عظم شأن الصلاة أن الله أكثر من ذكرها في كتابه الكريم ، قال تعالى : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}[٢] فهذه الآيات يعدد الله ﷻ فيها صفات المؤمنين ، فيبدأها بالصلاة ويختمها أيضاً بالصلاة ، وهذا يدل « على عظم شأن الصلاة وأن أهلها مفلحون سعداء ، إذا دخلوا الصلاة خشعوا فيها واطمأنوا وخضعوا لله وجمعوا قلوبهم على صلاتهم وسكنوا فيها يعظمون الله ويقرءون كتابه ، يسبحونه ويقدسونه ويسألونه من فضله »[٣] .

كيف تكون الصلاة راحة لمؤمن ؟

« وفي الصلاة راحة للمؤمن وقرة عين ، كما قال عليه الصلاة والسلام :(وجعلت قرة عيني في الصلاة)[٤]، وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إليها ، لقوله تعالى :{وَاسْتَعِينُوا

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٠٧ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات (١_٢) .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز ، مرجع سابق ، ج٧/ص٤١ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ، حديث رقم (١٢٢٧٩) ، ج٣/ص١٦١ .

بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ }[١]، وكان يقول لبلال :(يا بلال أرحنا بها)[٢] ؛ لأن المسلم إذا وقف للصلاة إنما يقف أمام خالقه سبحانه وتعالى ، فيستريح قلبه ، وتطمئن نفسه ، وتخشع جوارحه ، وتقر عينه بربه ومولاه ﷻ »[٣] .

الصلاة راحة للمؤمن لأنه يجد نفسه فيها ، فبعد أن ينقطع عن العالم كله يجلس في مصلاه ، فيشعر وكأنه أقرب ما يكون من الله جل وعلا ، بل كأنه يراه ويخاطبه وليس بينه وبين ربه سبحانه حجاب ، فيُقبل عليه ويخشع لذلك ويذكره ويناجيه ، ويشغلُ نفسه به سبحانه ؛ فتقر عينه به ، ثم هو بعد ذلك ، يشعر وكأن همومه قد انصرفت عنه ، وقد كان من السلف من يحزن إذا انتهت صلاته حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، ولا يزال كأنه في سجن ضيق حتى يدخل فيها ، فيستريح بها ، لا منها ؛ لأنها تتسلل إلى روحه فتطهرها وتصفيها من أدرانها ومفاسدها . قال رسول الله ﷺ : (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ، إلاّ كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم يؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله)[٤] .

ولكن لا تكون الصلاة راحة للمسلم إلاّ إذا أتمها ، وعلامة تمامها يوضحها ابن باز « وهذه الصلاة من تمامها وشرط قبولها عند الله سبحانه وتعالى الخشوع والاطمئنان فيها »[٥].

ومن الناحية الأخلاقية فإن الصلاة تربية للنفوس على اكتساب الفضائل ، والبعد بها عن الرذائل ، ولا تتناقض هذه الحقيقة مع من يفعل المنكرات وتظهر عليه الرذائل وهو يصلي؟ والله ﷻ يقول : {إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ}[٦] . فهذا هو حال الغافل عن الصلاة ويريد أن يرتاح منها ، فهو مشغول بالمعاصي والشهوات ، قد ألهته عن

---

(١) سورة البقرة ، آية (٤٥) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، حديث رقم (٢٣٠٨١) ، ج٥/ص٤٥٢ .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٠٨ .

(٤) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٢٨) ، ص١٥١ .

(٥) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٠٨ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية (٤٥) .

لذة الصلاة والذكر والقرآن ، وشغلت فكره عنها ، ولا يزال الشيطان يشغله بالوسلوس والأفكار ، فيقوم فيها بلا قلب ولا خشوع يذكر ، وإذا انتهت صلاته خرج منها مثل ما دخل فيها بهمومه وخطاياه لم يشعر بلذتها ولم يرتح بها ، ولم يكتسب بها فضيلة .

وقد أمر الله بالاستعانة بها عند حصول النكبات ، وسنَّها رسول الله ﷺ ؛ لأنها تعين على مجابهة الصعاب وتحمل المشاق ، وهي تعين على تركيز الذهن ، لأن المصلي يصوف وساوس الشيطان عن نفسه ويطرد هموم الدنيا من قلبه ، ويركز ذهنه على التفكير في معاني الآيات التي يقرؤها أو يسمعها من إمامه ، ويحصر نشاطه العقلي في مناجاة الله والتضرع إليه . وتركيز الذهن وحصر القوى العقلية في موضوع يؤدي إلى وضوحه وفهمه . وبدون ذلك لا يكون هناك إبداع ولا اختراع [1] .

ومن الناحية النفسية فإن الصلاة بما توفره من الهدوء النفسي والاسترخاء التام ، علاج هام في تخفيف حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية ، وفي خفض القلق الذي يشكو منه أكثر الناس ، وذلك بما تحدثه من شعور بالأمن ، والنشاط والحيوية ؛ لأنه تحرر من القلق . فضلاً عن أن الصلاة اتصال روحي يمد بالطاقة الروحية التي تجدد الأمل في الإنسان ، وتطلق في نفسه قدرات هائلة تمكنه من تحمل المشاق [2] .

والصلاة بالإضافة إلى ما سبق نظام تربوي متكامل ، فهي « مظهر من مظاهر المساواة ، والأخوة ، والانتظام ، وتوحيد وجهة المسلمين إلى الكعبة المشرفة قبلتهم »[3] .

الصلاة وسيلة للتعود على النظام والاستعداد والترتيب ، وإتقان الأعمال ، وذلك في مختلف شؤون الحياة . فهي نظام ؛ لأن لها أذان ينبه بدخول وقتها ، وتستوجب الطهارة فهي شرط من شروطها ، وتتطلب العلم بأركانها وواجباتها ، وعدد ركعاتها في كل وقت .. وهي لا تقبل إلاّ بصفة معينة وترتيب منسق لأقوالها وأفعالها ، ومن

---

(١) عميرة ، مرجع سابق ، ص١١٧ .

(٢) نجاتي ، مرجع سابق ، ص٢٨٥ .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٠٨ .

المستحب أن يستعد لها المسلم من حين أن يأذن لها .

ومن الناحية الاجتماعية فإن صلاة الجماعة من أهم الروابط الاجتماعية التي من شانها أن تقلص من مشكلات العصر الحديث .

وقد أدرك ابن باز – يرحمه الله – عمق هذه الراحة النفسية ، فكان يعتني بها أشد العناية ويقوم من الليل قسماً لا يتخلى عنه ولو تغيَّرت عليه ظروف الحياة الصعبة ، لقد كانت قرة عين له ، كما كانت لمن قبله رسول الله ﷺ . الصلاة صلة العبد بربه ، وما يفرق به بين المسلم والكافر ، كذلك هي تربية للمسلم من عدة جهات أولها الطهارة .

فالوضوء نظافة وطهارة « شرع لهم الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر لما في ذلك من استشعار تعظيم الذي شرع هذه العبادة التي بها تطهيرهم من ذنوبهم وتطهيرهم من أحداثهم وتنظيفهم وتنشيطهم »[1] فهو طهارة لكنها ليست الطهارة التي تقف عند إزالة الأوساخ والأتربة الظاهرة .. إنها طهارة تسلح المؤمن بسلاح الوقاية ، وتربطه بالسماء بأسباب غير منظورة ، وتحول بينه وبين همزات الشياطين ؛ لأنه ذكر الله ﷻ عند التسمية .

والصلاة فوق أنها عبادة روحية ، وصلة بين العبد وربه ؛ فهي تدريب لعضلات جسمه بالحركة ، وعامل لإذابة شحمه وورمه بالركوع والسجود والقيام والقعود ، ومصفاة يومية تساعد على تسرب أملاحه وترسباته [٢] .

٣ – **التوبة** ، وقد ذكرها علماء النفس ونص عليها العلماء ومنهم الشيخ ابن باز –رحمه الله « فمن أكثر من ذكر الله وصدق في التوبة حصل له الفلاح والطمأنينة وراحة الضمير ومُحيت عنه سيئاته » [٣] .

والتوبة الصادقة بشروطها أسلوب من أساليب تطهير النفس من الآثام والذنوب وهي تجعل من الإنسان المذنب إنساناً مؤمناً صالحاً مطمئن الضمير ؛ وذلك لأنها تحرره

---

[1] مرجع سابق ، ج٢/ص٢٣١ .

(٢) عميرة ، مرجع سابق ، ص٦٥، ص٧٠ .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص٥٧ .

من الذنب أولاً ، ثم لأنها تشعره بالندم على ما وقع منه ، فيطمئن بعد أن تنصرف المشاعر الثائرة التي أوجدها الذنب ، ثم تجدد عزمه على الاستقامة والصلاح وعدم الوقوع في شراك المعاصي ، ثم هي تجعل منه إنساناً بدون سيئات ؛ لأنها قد محت ذنوبه وأخطاءه وغيرها إلى حسنات من شأنها بعد ذلك أن تربيه وتجعل منه إنساناً خبيراً قد علم وقع السيئة وألمها على النفس المؤمنة « وكل فرد من المؤمنين والمؤمنات ليس معصوماً ما عدى الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فمتى زلت قدم الإنسان فحصل منه هفوة وزلة من المعاصي ، بادر بالتوبة والإصلاح ، بادر بالإنابة إلى الله حتى تزول تلك الهفوة وحتى يزول ذلك الضعف وحتى يعود إلى كمال إيمانه وكمال تقواه لله سبحانه وتعالى »[١] .

ويشارك علماء التربية ابن باز عظم أثر التوبة على الإنسان ، فيقول الكيلاني : التوبة قدرة على التفاعل مع متطلبات المثل الأعلى ومراجعة المنجزات ، وصقل التفكير ، وتنمية القدرات التسخيرية والإرادات العازمة النبيلة المؤهلة للتكامل مع مسيرة التاريخ . وهي حين تتأصل في القيم والعادات يشيع النقد الذاتي ويتعمق مفهومه ، وتنجو الأمة من تراكم الأخطاء وانفجار الفتن [٢] .

والتوبة كما يراها علماء النفس : عملية نفسية تتضمن جوانب كثيرة تساعد على إعادة بناء الشخصية ، من هذه الجوانب ما يلي :

١ - تفتح أمام الإنسان القلق الذي حطمته ذنوبه وآثامه ، وتفتح أمامه الأمل في تطهير النفس وفي تصفية حسابه مع ربه .

إن هذا الأمل يجعله يشعر بالراحة النفسية والنظر إلى الحياة نظرة مختلفة ، يسودها التفاؤل بعد أن كانت نظرته كلها تشاؤم وخوف ومرارة .

٢ - تؤدي التوبة بصاحبها إلى احترام ذاته ، وهذا الاحترام يقوي فيه شعوره بذاته ، وهذا دافع هام في تكوين الشخصية التي تتمتع بقدر كاف من الصحة النفسية .

٣ - تؤدي التوبة إلى أن يتقبل الفرد لذاته بعد أن كان دواماً يعلن الحرب عليها

---

(١) المرجع السابق ، ج٥/ص١١ .

(٢) الكيلاني ، ماجد عرسان . مناهج التربية والمربون العاملون فيها . ط١ ، لبنان / بيروت : عالم الكتب ، (١٤١٦هـ) ، ص٢٤٩ .

ويحتقرها ويحط من شأنها بسبب الآثام والذنوب التي ارتكبها . ويواجه مشكلاته الشخصية بشجاعة وبأسلوب واقعي . وتصبح حافزاً له لأن يعمل ويكد ويضاعف من كفاحه أمام الأزمات .

٤ – تدفع التوبة إلى التحرر من الشعور بالذنب والخوف ، ذلك أن الفرد المذنب يشعر بالتعاسة ويحس بالتوتر الذي يعوق نجاحه في أي مجال من المجالات التي يتحرك فيها .

إن هذه المشاعر من شأنها أن تشكل بعض الأسس التي تكون الإطار الذي يسلك الفرد على أساسه ويتنبأ بنتائج سلوكه ، ويواجه المواقف بإيجابية وتفهُّم واضح [١] .

ثم إن التوبة من الذنوب والمعاصي طاعة لله تعالى وطلب لرضاه سبحانه ، وباب لجلب الخيرات منه سبحانه « فالله جل وعلا يبتلي عباده بأسباب ما يقع منهم من خلل في أوامره ، أو نواهيه ، يبتليهم بأشياء فإن صبروا وبادروا بالتوبة والإصلاح ، وعالجوا الأوضاع بالرجوع إلى أمر الله ، والتوبة مما حصل منهم من تضييع أمر الله ، أو ركوب محارم الله ، أصلح الله حالهم »

وليس معنى هذا أن التوبة لا تكون إلاّ بعد الذنب أو المعصية يرتكبها الإنسان ، بل هي مطلوبة حتى بعد الطاعة والعمل الصالح ، قال تعالى :{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[٢]، وهي كذلك مطلوبة من المسلم زيادة في الرزق ، وسعة في المال وانشراحاً للصدر ، قال تعالى :{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا}[٣] .

٤– الدعاء الدائم ، فالدعاء من أهم أنواع العبادة ، التي من شأنها أن تنمي صلة الإنسان بربه ، وتبعث في نفسه الأمل والطموح في المستقبل . ويوصي ابن باز الداعي

(١) فهمي ، مرجع سابق ، ص٣٧٨ .

(٢) سورة النصر ، آية (١_٣) .

(٣) سورة نوح ، الآيات (١٠_١٢) .

بتحري أسباب الإجابة وهي كثيرة ولكنه هنا ركز على أهمها :

١ـ أن يكون الدعاء عام شامل لما ينفع المسلم في حياته الدينية والدنيوية ، ومن أهمه طلب الهداية والثبات على الطاعة « ويجتهد في سؤال الله الثبات على الإيمان »[١] .

٢ـ الإلحاح في الدعاء ، والتذلل إلى الله عز وجل والخشوع وطلب الإجابة ، بحيث يستشعر الواقف بين يديه وكأنه في مكان الابن الصغير ! كيف يتعلق بأبيه ويبكي عند قدميه « والضراعة إلى الله بصدق .. وأكْثِر من ذلك في السجود ، وفي آخر الليل وبين الأذان والإقامة ، وأحْسِن ظنك بالله فهو القائل سبحانه فيما رواه عنه نبيه محمد ﷺ: (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني)[٢] .

٣ـ تحري أوقات الإجابة .

٤ـ حسن الظن بالله والثقة برحمته سبحانه .

٥ – صحبة الأخيار « وعليك بصحبة الأخيار ، وأحذر صحبة الأشرار »[٣]، إن لصحبة الأخيار أثر تربوي كبير في اكتساب السلوك الفاضل ، وإصلاح النفوس وإعدادها نفسياً وروحياً ، ولذلك يقول الله ﷻ :{الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}[٤]، فمن كان خليله المتقين فهو في خير وعلى خير ، أما من كان خليله أهل الشر والفساد ؛ فليخش على نفسه من اكتساب الشر منهم ، فإنه قد يتخلله وهو في حين غفلة أو شهوة .

والصاحب عوناً لصاحبه أو عليه ، فإن كان خيّر أرشده على طاعة الله ﷻ وفعل الخير وأعانه فيه ،، وانتفع به الناس ،، وصلُحت المجتمعات . وإن كان من الأشرار زين له الشر ومازال يرغبه فيه أو يهون عليه المعصية حتى يقع فيها .

وذلك لأن الخليل بخليله يقتدي ، لا يرى غيره ولا يسمع إلا مشورته ، وقد قال

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص١٤٧ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٨٥) ، ص١١٣٩ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٦/ص٣١٦ .

(٤) سورة الزخرف ، ، آية (٦٧) .

رسول الله ﷺ : (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[1] .

وفي هذا تنبيه لكل مسلم بضرورة اختيار الصاحب الخيّر ، فليست المصاحبة للمأنسة والتسلية فقط بل إن تأثيرها يتعدى مستواه العلمي والثقافي ومهنته وعاداته وأخلاقه وحتى دينه وصلاته وعلاقته بربه .

ثم إن مصاحبة الأخيار نفع للمسلم في كل أحواله فإن كان صالحاً تعلم منهم وسعُد بصحبتهم وازداد ثقة وثباتاً ، وكانوا عوناً له وإن كان غير ذلك فيكفيه أن الله ﷻ يغفر له بمجالستهم ولا يشقى بهم ، فالفضل لهم عليه ، يقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي عن هذا الفضل ومباهاة الله بمجالس الذاكرين له سبحانه : (. . فيقول : قد غفرت لهم . فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا . قال : فيقولون : رب فيهم فلان ، عبد خطّاء ، إنما مر فجلس معهم . قال : فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)[2] . ليسوا كغيرهم من الأشرار الذين شبههم الرسول ﷺ بنافخ الكير الذي يحرق الثياب وينشر الريح الخبيثة .

وقد حذر منها ابن باز في هذا المجال لعظم خطرها وشدة تأثيرها غير المباشر على الصاحب ؛ فشر الصاحب وفساد دينه وأخلاقه قد يغزو من يخالطه ويتسلل إلى نفسه باقتناع ، فيصبح من فعله ومن دينه وأخلاقه يدافع عنه .

والجدير بذكره في هذا المجال إدراك المقصود من الأصحاب ، فقد يصحب أحدهم الأخيار أو الأشرار من الناس ، وقد لا يخالط الناس البتة ولكنه يجالس الكتاب أو المجلة أو يراقب التلفاز والفضائيات أو يسمع غيرها . ففي كلٍ يختار هو صاحبه .

وطبقاً لهذه التوجيهات العامة ، فإن اختيار الرفاق ، وتوجيه الأبناء نحو اختيارهم صالحين ، أمر واجب ، والأساس في ذلك كله هو تنشئة الأطفال في أحضان الأسرة تنشئة صحيحة وسليمة ، وإذا ما عمت تلك التنشئة أسر المسلمين كانت جماعة الرفاق على نفس الدرجة من الصلاح ، ومن ثم يعم الصلاح جماعة الرفاق وغيرها [3] .

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود ، حديث رقم (٤٨٢٣) ، ج١٣/ص١٢٣ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٨٩) ، ص١١٤٠ .

(٣) أبو العينين ، علي خليل . القيم الإسلامية والتربية . المملكة العربية السعودية : المدينة المنورة : مكتبة إبراهيم <=

العلاج التربوي للأمراض

لم يكن ابن باز –رحمه الله– طبيباً ولا ممرضاً ، ولكنه كان عالماً مربياً ، يقلقه ما يقلق الناس ، ويهمه مساعدتهم ، وحلّ مشكلاتهم ، وكل ما يقلقهم من الأمراض النفسية والجسدية ، فكان يركز على منشأ الداء ، ثم يصف لهم الدواء الناجع لأمراضهم ويؤكد عليهم به طلباً للنفع الذي يرجوه « إن الله جل وعلا ما أنزل داء إلاّ أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله ، وإن الله قد جعل فيما نزّل على نبيه ﷺ من الخير والهدى والعلاج لجميع ما يشكو منه الناس من أمراض حسية ومعنوية ما نفع الله به العباد ، وحصل به من الخير مالا يحصيه إلا الله ﷻ . والإنسان قد تعرض له أمور لها أسباب ، فيحصل له من الخوف والذعر ما لا يعرف له سبباً بيناً . والله جعل فيما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ من الخير والأمن والشفاء مالا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى »[1] .

القرآن الكريم شفاء لأمراض الجسد والقلب ، بل هو أنفع الأدوية العلاجية ، قال تعالى : {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}[2] ؛ لأنه تضمن حلّ مشكلاتهم ، واحتوى نفوسهم وهدايتها . ثم هو العلاج ؛ لأن له منهجية خاصة في اختيار وترتيب نوع العلاج ، ومنهجية خاصة في حصول الشفاء . وفيما يلي التفصيل[3] :

« ومن ذلك قراءة آية الكرسي خلف كل صلاة بعد الأذكار الشرعية » . ويعلل ذلك لأهمية ما اشتملت عليه الآية من : « التوحيد والإخلاص لله سبحانه وتعالى ، وبيان عظمته جل وعلا ، وأنه الحي القيوم المالك لكل شيء ولا يعجزه شيء جل وعلا . فإذا قرأ هذه الآية خلف كل صلاة ، كانت له حرزاً من كل شر » .

=

حلبي ، (١٤٠٨هـ) ، ص١٦٧ .

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/٣٠٨ .

(٢) سورة الإسراء ، آية (٨٢) .

(٣) المرجع السابق ، ج٥/ص٣٠٨_ص٣١١ .

« ومما شرع الله أيضاً أن يقرأ المسلم سورة : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، والمعوذتين خلف كل صلاة ، فهذا أيضاً من أسباب العافية والأمن والشفاء من كل سوء ».

« ومما يحصل للمسلم به أيضاً الأمن والعافية والطمأنينة والسلامة من الشرّ كله : أن يستعيذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات صباحاً ومساء . .فقد جاءت الأحاديث دالة على أنها من أسباب العافية والحفظ من كل سوء ».

« وهكذا : باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . ثلاث مرات صباحاً ومساء » .

فهذه الأذكار والتعويذات من القرآن والسنة كلها من أسباب الحفظ والسلامة والأمن من كل سوء ».

وبعد فهذا العلاج الإيماني ليس فقط لعلاج الأمراض بعد حصولها ، بل هو مع ذلك تحصل به الوقاية منها قبل حصولها ، وهذا هو المهم في معالجة الأمراض بأنواعها .

ولكن ما يهم في هذا الأمر أن يُستعمل هذا العلاج وتُودي هذه الأذكار وتحقق الفائدة المرجوة منها وهذه هي المنهجية التي قررها ونص عليها الشيخ ابن باز في حصول الشفاء ، فقد قرر الشروط وألحقها بموانعها :

١- الإتيان بها ، والمحافظة عليها .

٢- الثقة والطمأنينة بالله ﷻ « وأنه جل وعلا هو الحق ، ولا يقول إلا الحق مع الإخلاص له سبحانه .. وأنه سبحانه مدبر الأمور ، ومصرف الأمور ، ومصرف الأشياء ، وأنه القادر على كل شيء ، لا عن شك ولا عن سوء ظن ، بل عن حسن ظن بالله ، وثقة به ».

وبهذا الشرط يتحرر المسلم من كل أنواع العبودية لغير الله ، فلا يتعلق إلاّ به عز وجل .

٣- المتابعة لرسول الله عليه الصلاة والسلم « والتصديق برسوله ﷺ . والمتابعة له عليه الصلاة والسلام » ، فالإسلام دين الله ومحمد رسوله ﷺ والمبلغ عنه سبحانه . وهذان شرطا العمل الصالح في العموم .

الرقية الشرعية شفاء ، ولكن قد لا يحصل بها الشفاء عند بعض الناس . وهنا قد يرجع السبب في عدم الشفاء إلى أحد أركان العملية العلاجية الأخرى : المعالج ، والمريض . كأن لا يحسن المعالج كيفية إعطاء الدواء ، فيقرأ الرقية وهو غافل ، أو يكون المريض شاكاً في قدرة الله ﷻ ، أو يكون ضعيف الإيمان « ومع هذا كله فقد يتخلف المطلوب لأسباب كثيرة منها : الغفلة عن دعاء الله سبحانه ، ومنها ارتكاب المعاصي ، ولا سيما أكل الحرام وغير ذلك من الأسباب المانعة من حصول المطلوب ، وقد صح عن رسول ﷺ أنه قال : (ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة ، إلاّ أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، قالوا يا رسول الله : إذاً نكثر ؟ قال : الله أكثر)[١] .

« وأنه متى تخلف المطلوب فلعلّة من العللّ . فالعبد عليه أن يأتي بالأسباب ، والله مسبب الأسباب ، وهو الحكيم العليم ، وقد يحصل الدواء ولكن لا يزول الداء ، لأسباب أخرى يجهلها العبد، ولله فيها حكم وأسرار لا يعلمها سواه سبحانه وتعالى ، وهذا يشمل الداء الحسي والمعنوي : الحسي الذي يقوم به الأطباء من أدوية وعمليات ونحو ذلك ، والمعنوي الذي يحصل بالدعاء والقراءة ، ونحو ذلك من الأسباب الشرعية ».

رأي ابن باز في المزاح والطيرة والتشاؤم

أولاً – المزاح

إن من ضروريات الكيان الإنساني الترفيه النفسي ، أو الترويح عن النفس والخروج بها من مصاعب العمل الجاد ، ومن مشكلات الحياة اليومية -ولو لوقت قصير- إلى مجالس الضحك والفكاهة ، والتي تُدخل بدورها على النفس البشرية الراحة ، والتخفيف من الآلام ، ويحميها مما قد يؤثر عليها من بعض الاضطرابات النفسية ، وتشعرها بالتجديد والاستعداد للعمل فيما بعد ، قال تعالى :{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ

(١) أخرجه الإمام الترمذي . سنن الترمذي . تحقيق إبراهيم عطوة : المكتبة الإسلامية ، (د.ت) ، حديث رقم (٣٥٧٣) ، ج٥/ص٥٦٦ .

تُرْجَعُونَ}[١] .

والمزاح من مظاهر الترويح النفسي ، وقد كان الشيخ ابن بـــاز يمـــزح بـــالكلام ولا يقول إلاّ حقا ، أسوة بالمصطفى ﷺ الذي كان يداعب الصحابة رضوان الله عليـهم ، فيقولون يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : (إني لا أقول إلاّ حقا)[٢] . وكذلــك هــم صحابته الكرام رضوان الله عليهم ، من تربوا على يديه ﷺ كانوا (يتبادحون بـــالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال)[٣] يمزحون ويتندرون وهم يحملون الهموم الجِسام .

ويقول الشيخ في هذا الصدد « التفكه بالكلام والتنكيت إذا كان بحق وصدق فـــلا بأس به ولا سيما مع عدم الإكثار من ذلك ، وقد كان النبي ﷺ يمـــزح ولا يقـــول إلاّ حقاً »[٤] .

حقاً ما يقوله الشيخ ، فكثرة الضحك تعوّد على انفعـــال الإحســـاس بالفكاهـــة والاستخفاف ، فلا تعود الأمور ذات وقع في القلب كما كانت فيموت . ونور الوجـــه يبرز بالرصانة واحترام الذات والمجتمع ، ويذهب بالتفكه والتندر حين يستخف النـــاس بصاحبه ، وتذهب هيبته من قلوبهم[٥] .

وقد كانت الدعابة والبساطة والروح المرحة من الصفات المميزة للشيخ ابن بـــاز – رحمه الله – والتي عرفها فيه محبيه والمقربين إليه . وقد كان يختار الفرص المناســـبة لهـــا ، وربما تأتيه الدعابة عرضاً لا غرضاً ، وهذه بعض القصص :

سلم عليه رجل ، فسأله الشيخ عن اسمه ، قال : طارق . قال الشيخ : طارق يطرق طرقاً ؛ طارق طرقنا بليل . وآخر قال له ما أسمك ؟ قال الرجل اسمي مروّع ، فضحـــك

---

(١) سورة المؤمنون ، آية (١١٥) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري ، محمد بن إسماعيل . الأدب المفرد . تخريج محمد فؤاد عبد البـــاقي : دار البشـــارة ، ط٣ ، (١٤٠٩هـــ) ، رقم (٢٦٥) ، ص١٠٢ .

(٣) أخرجه الإمام البخاري ، المرجع السابق ، رقم (٦٦٥) .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٦/ص ٣٩١ .

(٥) صبّاح ، قاسم شهاب . علم النفس النبوي . ط١ ، لبنان / بـــيروت : مؤسسة الرســـالة ، (١٤١٥هـــــ) ، ص١٥٠_ص١٥١ .

الشيخ ، وقال : مروّع من أنت ؟ . وآخران لما سلما على الشيخ وكانا رجلين من البادية ، قال الأول : اسمي ذيب ، وقال الثاني : اسمي ذياب ، قال الشيخ : الله يكفينا شركم ؛ وضحك . وآخر قال اسمي غازي ، قال الشيخ : غازي في سبيل الله . وفي أحد المرات كان -رحمه الله- يسجل برنامج نور على الدرب ، وعلم أن المذيع فهد البكران مازال موجوداً عنده ، فقال : فهد هل مازلت موجوداً معنا؟ تعلم أننا سنسجل حلقتين من نور على الدرب وسيطول المقام بنا ، والباب مقفل ! فهل ترى في نفسك القدرة على البقاء صامتاً بدون حركة ؟ وهل لديك القدرة على ضبط نفسك من الكحة أن تأتيك ؟ ثم أردف -رحمه الله- بل أظن "الكحة" ستأتيك لا شك[1] .

ولكن المزاح في حكمه الشرعي وفائدته الاجتماعية ينقسم إلى قسمين كما أكد على ذلك ابن باز -رحمه الله- فأوله : المزاح الحلال ، وثانيه : المزاح الحرام « لا شك أن المزاح بالكذب وأنواع الكفر من أعظم المنكرات ، ومن أخطر ما يكون بين الناس في مجالسهم . فالواجب الحذر من ذلك وقد حذّر الله من ذلك بقوله :{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}[2] . وصح عن النبي ﷺ أنه قال : (ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ! ثم ويل له !)[3] .

والحكمة من هذا المنع أنه يجر إلى وضع أكاذيب ملفقة على أشخاص معينين يؤذيهم الحديث عنهم ، كما أنه يعطي ملكة التدرب على اصطناع الكذب وإشاعته فيختلط في المجتمع الحق بالباطل والباطل بالحق . ومن هذا المنطلق حرَّم الإسلام الكذب على وجه العموم ، وتوعد المتخلق به عاقبة سوء . فقد روي عنه ﷺ : (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل

---

(١) الرحمة ، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ص٣٣٧_ص٣٣٩ .

(٢) سورة التوبة ، آية (٦٥ ، ٦٦) .

(٣) أخرجه الإمام الترمذي ، ج٤/ص٥٥٧ .

يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[١] .

فالمزاح المحرم : ما كان فيه كذباً أو كفراً أو سخرية أو غيبة ونميمة أو غيره مما هو شائع يعرفه الناس في هذا الزمان أكثر من سابقه . وقد حرمت هذه الأنواع وغيرها لأنها تفتح الشر على أفراد المجتمع وتؤدي إلى القطيعة والتباعد ، بل إلى الشحناء والعداوة ، وقد تُخرج صاحبها عن دائرة الأدب والأخلاق . ثم إن الإفراط في ممارسة المزاح الحلال يخرجه من دائرة الحل إلى التحريم ، لأن الإفراط بصفة عامة في أي أمر لا يستحسنه الدين بل يذمه ، فلا إفراط ولا تفريط . وقد يشتهر بجمعه أو قوله بعض الناس ؛ فينشغل بتحصيله أو ممارسته ، عن عبادة الله ﷻ وهي الواجبة عليه . وقد يتكلم أحدهم أو ينقل ما يَتَندر به الناس وفيه من الكفر أو ما يؤدي إليه ؛ فيقع في الحرام ، علم أو لم يعلم .

ثانياً – الطيرة والتشاؤم

وأما الطيرة والتشاؤم ببعض الأشياء فمن البدع القديمة الحديثة ويقف عندها الشيخ ليحذر منها ، فخطرها كبير وآثارها تبدو على الفرد والمجتمع « الطيرة والتشاؤم بالمرئيات والسمعيات من عمل الجاهلية ، حيث كانوا يتشاءمون إذا رأوا شيئاً لا يناسبهم مثل الغراب ، أو الحمار الأسود ، أو مقطوع الذنب ، أو ما أشبه ذلك فيتشاءمون به ، هذا من جهلهم وضلالهم ، قال الله جل وعلا في الرد عليهم :{أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّـهِ}[٢]، فالله بيده الضر والنفع ، وبيده العطاء والمنع ، والطيرة لا أصل لها ، ولكنه شيء يجدونه في صدورهم ولا حقيقة له »[٣] . كذلك « ما يعتقده بعض الجهَّال في شهر صفر من أنه لا يسافر فيه ، فيتشاءمون به »[٤] .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٠٧٩) ، ص١١١٠ .

(٢) سورة الأعراف ، آية (١٣١) .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٨/ص٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج٨/ص٢٣ .

وإذا أصاب التشاؤم النفس فإنه يُمرضها ويضعفها ، فالمتشائم لا يشعر بلذة الحياة ، ولا يرى للسعادة فيها أسباب ، بل يشعر باليأس والإحباط ، وأن المصائب والكوارث واقعة عليه لا محالة .

ويعالج ابن باز أمر التشاؤم فيرشد المسلم إلى اتخاذ الموقف السليم عند تعرضه لمواقف التشاؤم والطيرة « لذا يجب على المسلم إذا رأى ما يتشاءم به : ألاَّ يرجع عن حاجته ، بل يمضي ويتوكل على الله ، فإن رجع فهذه هي الطيرة ، والطيرة قادحة في العقيدة »[١] . وهذا هو التوكل والاعتصام بالله ﷻ ولا ينافيه العمل بالأسباب « فالمسلم يعتصم بالله ويتوكل عليه ، ويعمل بالأسباب الشرعية ولا يتأثر بهذه الأشياء ، ولا يتعلق بها »[٢] .

ثم حسن الظن بالله ﷻ ، وأنه بيده ملكوت كل شيء ، ولهذا قال النبي ﷺ : (إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك) وفي لفظ آخر : (اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلاَّ طيرك ، ولا إله غيرك)[٣] .

وهذه الأمور مغاليق التشاؤم ومفاتيح التفاؤل الذي يحيا به الإنسان حياته في سعادة دائمة وإن لم تتوفر فيها كل أسباب السعادة المطلوبة ؛ لأن التفاؤل من شأنه أن يُجمِّل الحياة في نظر الإنسان ، فيجعله ينظر في بهجتها وما فيها من لذة وجمال ، قال تعالى :{وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ}[٤] .

ثم إن العبادة هي التي توقظ الإيمان وتبعثه باستمرار ، فتوقظ معه الطموح والأمل والرجاء ، وتدفع إلى الاستقامة والعمل الجاد المثمر[٥] . وكذلك من يتأمل الإبداع

(١) المرجع السابق ، ج٨/ص٢٥ ـ ص٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج٨/ص١٣١ .

(٣) أخرجه الإمام أبو داود ، حديث رقم (٣٩١٧) ، ج١٠/ص٢٨٨ .

(٤) سورة النمل ، آية (٦٠) .

(٥) التحلاوي ، عبد الرحمن . التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة أسامة ، (١٤٠٢هـ) ، ص١١٤ .

والجمال في الكون يدرك أن الله خلق العالم لصالح الإنسان ولتمتعه وليس فيه ما يثير الشعور بأن العالم والطبيعة ضد الإنسان ، كما يظن المتشائمون [١] .

أما الطّيرة فإنما تصيب المتطيّر لشركه والخوف دائما مع الشرك والأمن دائماً مع التوحيد ، قال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال في محاجّته لقومه :{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[٢]، فحكمَ الله ﷻ بين الفريقين بحكم فقال :{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[٣]، الظلم هنا هو الشرك . فالتوحيد من أقوى أسباب الأمن من المخاوف ، والشرك من أعظم أسباب حصول المخاوف ولذلك مَن خاف شيئاً غير الله سُلط عليه وكان خوفه منه سبب تسليطه عليه ، ولو خاف الله دونه ولم يخفه ؛ لكان عدم خوفه منه وتوكّله على الله من أقوى أسباب نجاته منه [٤] .

الهدف الثاني : تنمية الاقتصاد الإسلامي

لا تخفى العلاقة الوثيقة التي تربط التربية بالاقتصاد . فلقد أكدت العديد من الدراسات العلاقة التفاعلية بينهما .

وهناك مسلمة رئيسية مؤداها أنه لا تنمية اقتصادية في غياب التنمية البشرية وفي ضوء عدة اعتبارات رئيسية منها ما يأتي :

أ ــ إن التربية تكتسب مفهوماً اقتصادياً نتيجة ما تخلفه في الفرد من صفات

---

(١) ياجلن ، مقداد . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . ط١ ، لبنان / بيروت : مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، (١٤٠٦هـ) ، ص٧٨ ـص٧٩ .

(٢) سورة الأنعام ، آية (٨١) .

(٣) سورة الأنعام ، آية (٨٢) .

(٤) ابن قيم الجوزية ، محمد . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . ط١ ، لبنان / بيروت : دار الكتب ، (١٤١٣هـ) ، ج٢/ص٥٩٦ .

ومهارات وخبرات تشارك في تنمية المجتمع وتحديثه .

ب ــ أن هناك علاقة وثيقة بين التربية التي يحصل عليها المواطن والعمل الذي يلحق به .

ج ــ إن المورد البشري يعتبر قوى رئيسية وراء التنمية الاقتصادية عن طريق الإنماء التربوي حيث يكون من مهامه اكتشاف الأفراد وتنمية قدراتهم واستعداداتهم [١].

الاقتصاد من المجالات التي نظمها الإسلام ورسم أطرها ، وأول مبادئه التي نبه عليها ابن باز – يرحمه الله – أن حث على العمل والكسب ورغّب فيهما ، لأن الإسلام أمر بضرورة ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده) [٢] . وكان صلى الله عليه وسلم يربي الصحابة رضي الله عنهم على حب العمل ولو أن يحتطب أحدهم حتى يوفر قوت يومه . وكان يربيهم على تحمُّل المسئولية ، والتمييز بالعزة والكرامة والتعفف عن طلب الناس والمذلة لهم . وهو يقول : (اليد العليا خير من اليد السفلى) [٣]، وكذلك كل مسلم قادر لا يليق به أن يجلس في كسل وبطالة يطلب الناس أن يعطوه وهو قادر على العمل ولو أن يحتطب .

أكّد علم النفس أهمية العمل في تكامل الشخصية ؛ فهو أحد صور النشاط الطبيعي للإنسان ، وهو وسيلة من وسائل التعبير عن الذات ، يحاول بها الفرد أن يحقق أهدافه وأن يشبع رغباته وحاجاته فعن طريق العمل يكتسب الإنسان قوة ، ويطمئن لمستقبله ، وهو وسيلة للتأثير في البيئة التي يعيش فيها ، وعن طريقه يسعى ويحقق لنفسه مركزاً مرموقاً في المجتمع[٤] .

---

(١) أحمد ، لطفي بركات . في الفكر التربوي الإسلامي . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار المريخ ، (١٤٠٢هـ) ، ص٦٩ـص ٧٠ .

(٢) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . لبنان / بيروت : دار الفكر ، (١٤١١هـ) ، ج٥/ص٢٣ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٠٣٣) ، ص٤٣٦ .

(٤) فهمي ، مرجع سابق ، ص٤٧ .

الحريـة المهنيـة :

ويرى ابن باز أن النظام الاقتصادي في الإسلام أعطى لكل إنسان الحرية المهنيـــة ، وذلك كفاية لحاجاته كفرد ، وشعوره بالاستقلالية عن الغير ثم مراعاة لصـــالح المجتمـــع وعمارة الأرض ، واستخراج ثرواتها فيما ينفع البشرية .

ولكن ابن باز يشترط لهذه الحرية : أن تكون في حدود الشريعة « مـــن محاســـن الشريعة الإسلامية أن جعلت للناس الحرية في الكسب والأخذ والعطاء ، فيكتسب المسلم ويأخذ ويعطي في حدود الشريعة ، كما قال تعـــالى :{لَـــهَا مَـــا كَسَـــبَتْ وَعَلَيْـــهَا مَا اكْتَسَبَتْ}(١)، له غُنم ما أخذ وعليه غُرمه ، كما قال النبي عليه الصلاة والســـلام في الحديث الصحيح : (لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق به من الناس ، خير له من أن يسأل رجلاً ، أعطاه أو منعـــه)(٢)، فحث على الكسب وبيَّن أنه خير من سؤال الناس »(٣) . ولما سئل عليه الصلاة والسلام أي الكسب أطيب ؟ قال : (عمل الرجـــل بيده وكل بيع مبرور)(٤) .

هذه فرص العمل الطيب ، قد بينها النبي ﷺ وعلَّمها أصحابه ؛ ليكونـــوا مجتمعـــاً سليماً من الأمراض الاجتماعية كالبطالة والفراغ ومن ثَم الفقـــر والتســـوُّل والســـرقة والضياع والتدهور . . التي تصيب المجتمعات العاطلة .

ومن سبل التنمية الاقتصادية :« صرف المال في مصارفه ، في المأكل والمشرب ، من غير تقتير على النفس والأهل ، ولا إسراف في تضييع المال من غير حاجة ، وقد نهـــى الله عن ذلك كله ، أن صرفها في غير مصارفها أمر منهي عنه ، قال تعالى :{وَلاَ تَجْعَلْ يَـــدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً}(٥)، وقال تعالى في النهي

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٨٦) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٠٤٢) ، ص٤٣٨ .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٤٣_ص٢٤٤ .

(٤) أخرجه الإمام الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري . المستدرك . لبنان / بيروت : دار المعرفـــة ، (د.ت) ، ج٢/ص١٠ .

(٥) سورة الإسراء ، آية (٢٩) .

عن إضاعة المال : {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً}[1]، نهى الله جل وعلا في هذه الآية عن إعطاء الأموال للسفهاء لأنهم يصرفونها في غير مصارفها ، فدل ذلك على أن صرفها في غير مصارفها أمر منهي عنه ».

ويحدد ابن باز معنى الإسراف والتبذير تحديداً مفهوماً « الإسراف هو : الزيادة في صرف الأموال على مقدار الحاجة . والتبذير صرفها في غير وجهها . والمانعة منهما الحكمة »،فالعاقل من يزن الأمور بميزان الحاجة »[2] .

ومن مظاهر الإسراف التي حذَّر منها الشيخ : « وقد ابتلي الناس اليوم بالمباهاة في المآكل والمشارب ، خاصة في الولائم وحفلات الأعراس فلا يكتفون بقدر الحاجة وكثير منهم إذا انتهى الناس من الأكل ألقوا باقي الطعام في الزبالة والطرق الممتهنة . وهذا من كفر النعمة وسبب في تحولها وزوالها »[3] .

وكعادته –رحمه الله– في التوجيه والإرشاد التربوي ؛ يثني بالمواقف الإيجابية بعد المواقف السلبية ، لمعالجتها فيدعو المسلم أن يكون هو المسيطر على دوافعه والمتحكم فيها ، فلا يكون عبداً لأهوائه وشهوته ، وذلك من منطلق قوله تعالى :{فَأَمَّا مَن طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}[4]، ونهي النفس: « والواجب على كل مسلم أن يحرص على تجنب ما نهى الله عنه وأن يكون حكيماً في تصرفاته مبتغياً في ذلك وجه الله شاكراً لنعمه ، حذراً من التهاون بها وصرفها في غير مصارفها ، قال تعالى :{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[5] . ومن الحكمة أن يسعى الإنسان ويجاهد نفسه ليضبط دوافعه ويتحكم فيها ويوجهها في إطار الحدود المشروعة دون إسراف .

---

(١) سورة النساء ، آية (٥) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٣٨ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) سورة الليل ، الآيات (٣٧_٤١) .

(٥) سورة إبراهيم ، آية (٧) .

حريـة التملـك

لقد كفل الإسلام حرية التملُّك لكل فرد ، وحرَّم الاعتداء على الغير وأكل أموالهم بغير حق ، وفرضَّ الزكاة ، ورغَّب في الصدقات . وبذلك فقد قرر حق الفــرد ونظَّـم حقوق الجماعة « فالإسلام جاء بحفظ المال ، واكتسابه بالطرق الشرعية البعيــدة عـن الظلم ، والغش ، والربا ، وظلم الناس والتعدي عليهم ، كما جاء باحترام المِلْك الفـردي والجماعي .. مـن غير أن يُشغل كاسبه عن طاعة الله ﷻ ، وعن أداء ما أوجـب الله عليـه »[1] .

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُـوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[2] ، إن تقرير حق الملكية بالعمل يدفع الإنسـان إلى بذل أقصى جهد يمكنه ؛ ليشبع ذلك الميل الفطري للتملك . وليس في هذا إضرار بأحد . بل إن ذلك يدفع الناس إلى التنافس الشريف في بذل الجهد ، والامتلاك بهـذه الوسـيلة المشروعة ؛ فتتقدم الحياة الدنيا وتعمر بما يعود على البشر بالخير والرفاهية الـتي شـرع الإسلام الاستمتاع بها [3] .

ويرى ابن باز أن المال ، هو مال الله تعالى ، وكل ما يرزقه الله تعالى منه فإنما قـوة لطاعته ﷻ وسداً لحاجات المحتاجين ، وقد ضرب أروع الأمثلة في تطبيق هـذا المبـدأ ، فكان القدوة في الجود والكرم .

الاقتصـاد الإسـلامي بين الرأسمالية والشـيوعية :

ويقارن ابن باز بين اقتصاد الإسلام والرأسمالية والشيوعية « فهو يدعو إلى الاقتصاد الشرعي المتوسط ، ليس رأسمالياً غاشماً ظالماً لا يبالي بالمحرمات ، ويجمع المال بكل وسـيلة وبكل طريق ، وليس اقتصاداً شيوعياً إلحادياً لا يحترم أموال الناس ، ولا يبالي بـالضغط عليهم وظلمهم والعدوان عليهم ، وسط بين الاقتصاديين ، فالغرب عظموا المال وغلوا في

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/٣٤٠ .

(٢) سورة الأعراف ، آية :(٣٢)

(٣) سلطان ، محمود السيد . مفاهيم تربوية في الإسلام . الكويت : مؤسسة الوحدة ، (١٩٧٧م) ، ص٧٩.

حبه وفي جمعه ، حتى جمعوه بكل وسيلة ، وسلكوا فيه ما حرم الله ﷻ ، والشرق من الملحدين من السوفيت ومن سلك سبيلهم ، لم يحترموا أموال العباد ، بل أخذوها واستحلوها ، فلم يبالوا بهذا المال ، ولم يكترثوا بأخذه بغير حله »[1] .

فالإسلام وسط بين الشح والجود ، وبين الطمع والقناعة ، يقول الرسول ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس »[2]، وكما أن الشح يُعالج بالإنفاق في سبيل الله ، والجود والكرم ، كذلك الطمع عالجه الإسلام بالقناعة .

فالنفس الإنسانية بغير القناعة لا تشبع وما دامت لم تشبع فإنها ستشعر بالضيق والكآبة ، وكأنها لم تملك شيئاً ، ومن ثم تعيش في تبرم وضجر باستمرار ، بل قد يؤدي طمع الإنسان وشراسته إلى إهلاك نفسه . كما أن تضخم الثروة في يد المرء وعدم تقيده بالقواعد الأخلاقية في صرف تلك الثروة تجعل مالكها شخصية مُفسدة وطاغية في المجتمع . ومن ثم يؤدي الأمر إلى التناحر بين هذه الشخصيات وينتج عنه فتن وقلاقل ومفاسد واضطرابات في الحياة الاجتماعية[3] .

والاقتصاد الإسلامي يدعو إلى الكسب والإنتاج والاستفادة من خيرات الأرض وكل ما سخره الله ﷻ لبني الإنسان ، ويشجع المواهب والقدرات الإنسانية المهنية للنهوض بالأمة الإسلامية ، والأخذ بأسباب التقدم والرقي والتنمية في كل المجالات ؛ رفعة للأمة ، وتحقيقاً لسعادتها ، وتعميراً للأرض وتعزيزاً لقوتها ، وإرهاباً لعدوها : « . . ولم يكترثوا بوسائل الإبادة والاستيلاء على الأموال ، والحيلولة بين الناس وبين ما فطرهم الله عليه من الكسب والانتفاع ، والاستفادة من قدراتهم ومن عقولهم وما أعطاهم الله من الأدوات » .

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٣٣٩_ص٣٤٠ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٠٥١) ، ص٤٤١ .

(٣) يالجن ، مقداد . أهداف التربية الإسلامية وغايتها . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الهدى ، (١٤٠٩هـ) ، ص١٥٣ .

الإتقان في أعمال ابن باز :

ويتطلب أي عمل في الإسلام الجودة والإتقان وكذلك كان ابن باز ، فالملاحظ للأعمال التي قام بها بالرغم من كثرة ما أُسند إليه إلاّ أنه عُرف بإجادة كل عمل ، وإعطاء كل منصب حقه من الإخلاص والإتقان . وفيما يلي عرضاً يوجز الأعباء التي كان يتحمَّلها الشيخ ابن باز في سبيل تقديم الأعمال على أكمل وجه :

كان يبدأ يومه في الغالب قبل الفجر ، حيث يصلي ما كتب الله له ، وبعد صلاة الفجر يحرص على قراءة أوراده حتى أنه لا يكاد يجيب أحداً حتى يقرأها ثم يبدأ الدرس بالقراءة عليه في بعض الكتب ، وهو يشرح ويفصِّل ويستدرك ويعقب ويفيد ، لا يضَّجر من طول الدرس ولا يمل من كثرة الأسئلة ، حتى قبيل الساعة السابعة صباحاً ، هذا إذا كان من أيام الدروس ، أما إذا كان في المسكن ، جلس للنظر في الاستفتاءات الواردة إلى مكتب البيت من مختلف الأرجاء والأقطار ، والمعاملات المحالة إلى مكتب البيت من قبل سماحته ، ثم ينظر في طلبات المستشفعين وأصحاب الحاجات فيوردها جميعاً مواردها اللازمة ، وعلى هذا النسق حتى يحين موعد دوامه الرسمي قرابة الساعة التاسعة صباحاً ، فإذا ما وافى مقر الرئاسة ومكتبه وجد المراجعين يمثلون الأمكنة المعدة لهم بانتظاره ، فيحييهم ويستقبلهم ويصافحهم ويعانقهم ، ثم تُعرض عليه المعاملات قراءة ليوجه مستشاره أو كاتبه بكتابة الشرح المناسب والرد على المعاملة فوراً . وخلال عرض المعاملات يستقبل سماحته الاتصالات الهاتفية التي غالباً ما تأتي من سائل يسأل عن فتوى أو قضية ويرد على المتصلين بهدوء العلماء ويحرص على إقناع السائل قبل إنهاء المكالمة ، وما بين ذلك يدخل عليه المسلمين الجدد ليشهروا إسلامهم على يديه ، ويعلمهم أحكام الشريعة ومحاسن الدين الإسلامي ، وقد تكون هناك اجتماعات اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، فيحرص سماحته على رئاستها وحضورها . فإن كانت صباحاً ، استقبل المراجعين ظهراً ، وإن كانت ظهراً ، استقبل المراجعين صباحاً ، وهكذا يستمر المشهد حتى حلول موعد أذان الظهر حيث يذهب سماحته للصلاة في المسجد القريب من المكتب وربما عقبّ بعد الصلاة بكلمة وعظية جامعة تأسر كلماتها القلوب المؤمنة ، ثم يعود إلى المكتب حيث يخصص ما بقي من الوقت حتى نهاية الدوام للمعاملات الرسمية وفتاوى الطلاق ، وطلب الشفاعة من المعوذين المحتاجين ، واستقبال الوفود من الدول الإسلامية حتى يحرص سماحته أن يدعو الضيوف من الحاضرين لتناول الغداء معه في منزله العامر وبعد الطعام يجلس برهة قصيرة في مجلسه ، فيدعو بالقهوة والشاي والطيب ، ويتحدث إلى جلسائه وضيوفه حديثاً فيما يخص مصالحهم ، حتى يوافي موعد الأذان لصلاة العصر وبعد الصلاة يُقرأ عليه من أحد الكتب فيعلق تعليقات علمية يسيرة مستنبطاً الفوائد المهمة والقواعد الجامعة ، ثم يذهب إلى بيته لأخذ قسطاً من الراحة حتى حلول صلاة المغرب ، فإن كان ثمة درسٍ له أو محاضرة بكر في

الحضور إلى المسجد وحرص على أن يكون قريباً من محبيه وطلابه ، أما إن لم يكن له درس أو غيره من الارتباطات فإنه يتوجه إلى مجلسه العام لعامة النـــاس وخاصتـــهم ، ثم يخـــرج وضيوفه لصلاة العشاء . وإذا كان في المسجد خلال الفترة التي بين الأذان والإقامـــة يقـــرأ عليه إمام المسجد كتاب بلوغ المرام فيشرحه الشيخ شرحاً علمياً دقيقاً ، ثم بعد ذلك يرجـع إلى المترل للنظر في بعض المعاملات الخاصة بالمساجد ، ولقاء بعـــض المـــهتمين بـــالدعوة وشئونها ، ثم يتناول مع ضيوفه طعام العشاء ، ثم يخلد إلى مكتبته العامرة للقراءة والنظـــر في بعض الأمور[1] .

ومن خلال العرض السابق يتبن ما يلي :

١- لكل عمل وقت معين يستغرقه حتى يتم على أكمل وجه .

٢- ضرورة التبكير في الأوقات للحصول على البركة .

٣- قيام الليل من أول أسباب التوفيق .

٤- تعمير الأوقات والأعمال بذكر الله ﷻ .

٥- المحافظة على الصلوات في أوقاتها .

٦- كثرة الأعمال المنجزة وتنوعها .

٧- من علامات نجاح العمل البشري : خدمة شريحة كبيرة من الناس وإفادتهم .

٨- كل عمل في الإسلام يتطلب الجودة والإتقان ، وليس فقط الأعمال المادية ، بل حتى الأعمال التربوية البحتة : كالتعامل مع الناس .

حقاً لقد جسَّد ابن باز -رحمه الله- روح الفكر الإسلامي التربوي في كلماتـــه . وإلاّ فهذه الحضارات تتصارع مع بعضها ، لم تعمر الأرض وتنشر الخـــير ، بقـــدر مـــا أفسدت فيها ، واحتكرت اقتصادها . أما التربية الإسلامية فهي تربية شاملة ربانية تهتـــم بالإنسان قبل المادة وغيرها ، فتربِّيه على حب الخير والإصلاح للإنسانية .

---

(١) الرحمة ، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ص٢٢٥ـ ص٢٢٨ .

الهدف الثالث : التربية للوقاية

إن من مميزات التربية الإسلامية أنها تربية ملازمة للإنسان في جميع مراحل حياته منذ ولادته ، وقبل ذلك وهو جنين ، وقبلها عندما أرشدت الرجل بضرورة اختيار الزوجة الصالحة ، ثم هي ملازمة لصاحبها حتى خروجه من الدنيا ترشده وتنمي فكره وجسده . قد أرست له قواعد المنهج الصحيح للصلاح والتنمية والرقي ، وتحقيق السعادة المتكاملة في الدنيا والآخرة .

ويرى ابن باز أنه كما أن من أهداف التربية الإسلامية إصلاح الفرد والمجتمع وتحقيق التنمية ورفع الإنتاج . كذلك من أهدافها وقاية الفرد والمجتمعات من الانحراف والوقوع في الأخطار .

وقد سعى ابن باز لتحقيق هذا الهدف سعياً حثيثاً ، فكان يربي طلابه وكل من يعرفه على العلم والمعرفة وضرورة التسلح بهما للوقاية من الانحراف قبل وقوعه « فإذا حرصنا في المجتمعات الإسلامية على تسليح أبناء وبنات المسلمين بالعلم والمعرفة والتفقه في الدين والتعويد على تطبيق ذلك من الصغر فإننا لن نخشى بإذن الله عليهم شيئاً ما داموا متمسكين بدين الله معظمين له متبعين شرائعه محاربين لما يخالفه ، بل العكس سيخافهم الأعداء ؛ لأن الله سبحانه وبحمده يقول :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(١)، والآيات في هذا المعنى كثيرة »(٢) .

العوامل الفاعلة للوقاية كما يراها ابن باز :

١- تربية الأجيال التربية الإسلامية الصحيحة

البدء بعملية التربية منذ الصغر ، والاجتهاد في بيان محاسن الدين الإسلامي لهم ، وتأصيله في نفوسهم ، ومقارنتها لهم بغيرها من التربيات « فأهم عامل للوقوف أمام هذا التيار هو تهيئة جيل عارف بحقيقة الإسلام ، ويتم هذا بالتوجيه والرعاية في البيت والأسرة

---

(١) سورة محمد ، آية (٧)

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، مرجع سابق ، ج٣/ ص١١٦٥ .

والمناهج التعليمية ووسائل الإعلام ، وتنمية المجتمع » [١] .

« كما لا يخفى : فإن البحث في الشريعة الإسلامية وما يتعلق بالضرورة إليها أمر عظيم والحاجة إليه شديدة والتفقه فيه والعناية به من أهم الأشياء » [٢] .

وفيما يلي عرض بعض من محاسن الشريعة الإسلامية كما ذكرها ابن باز وقال : « وقد أردت أن أذكر شيئاً يسيراً من محاسن هذه الشريعة وأسرارها . أما الاستقصاء فلا يخفى على من له أدنى علم أنه لا يمكن أن يستقصي أحد محاسن هذه الشريعة . كيف يستطيع أحد أن يحصي فضائلها وهي شريعة من حكيم عليم قد علم كل شيء فيما مضى وفيما يأتي إلى يوم القيامة ، وهو العالم بأحوال عباده وأسرار تشريعه سبحانه وتعالى » [٣] .

ولكن الجدير بالذكر قبل عرض المحاسن ذكر الصفة التي ميزت الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع وهي صفة الكمال ، وقد قدم ذكرها ابن باز ؛ لأنها تتضمن جميع صفات الشريعة الإسلامية ومحاسنها .

قال تعالى :{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}[٤] « فأخبر سبحانه أنه أكمل لهذه الأمة دينها ، والأديان السابقة كل واحد مكمل بالنسبة إلى الرسول الذي أرسل به والقوم الذين أرسل إليهم إكمالاً يناسبهم ويليق بظروفهم وأحوالهم ، أما بالنسبة إلى هذه الأمة فقد أكمل لها الدين في جميع المعاني وجعله ديناً صالحاً لجميع ظروفهم وأحوالهم وغناهم وفقرهم وحربهم وسلمهم وشدتهم ورخائهم ، وفي جميع أصقاع الدنيا ، وفي جميع الزمان إلى يوم القيامة ».

محاسن الإسلام :

١ – الشمولية ، فالشريعة الإسلامية تهتم بتربية جميع جوانب الشخصية الإنسانية ؛

---

(١) المرجع السابق ، ج٣/ ص١١٦٥ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢١٦_ص٢٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٢٦ .

(٤) سورة المائدة ، آية (٣) .

فتزكي النفس ، وتقوي الجسم ، وتنمي العقل وتوجه الفكر ، وتهذب الدوافع والانفعالات وتلبي الحاجات وتشبع الرغبات ، وتنظم جميع علاقات الإنسان بمن حوله من مخلوقات « فهو دين كامل شامل ، ليس قاصراً على النواحي التعبدية ، ولا شأن له بالنواحي المعاشية كما يرميه بذلك أعداؤه ، ومن نهج نهجهم ، إنه دين يربط المخلوق بخالقه برباط ، كما يقيم أفضل علاقة بين الإنسان وأهله وأقاربه ، وبين الإنسان وأخيه سواء كان على دينه أو على غير دينه . . كما أوضح كيف يعامل الحيوان الأعجم بالرفق والرحمة ، قبل أن تتظاهر أوروبا بالرفق بالحيوان ، من خلال جمعيات أنشأتها لهذا الغرض وهي لم ترفق بعد بالإنسان ولم ترع حقوقه »[1] .

٢- التوازن ، فهي توازن بين حاجات الفرد الروحية والجسدية ، فتربي باطن الإنسان ولا تهمل ظاهره ؛ والسبب « لأن صلاح الباطن واستقامة القلوب وطهارتها هو الأصل الأصيل والركيزة العظيمة لإصلاح العبد من جميع الوجوه ، وتأهيله لتحمل الشريعة وأداء الأمانة وإنصافه من نفسه ، ولأدائه الحق الذي عليه لإخوانه »[2] .

ثم هي توازن بين دنيا الإنسان وأخرته « فيها توجيه العباد إلى أسباب السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة »[3] .

٣- الوضوح والتيسير « والدين الإسلامي بحمد الله واضح لا غموض فيه ، ولا التباس في أحكامه وتشريعاته ، وقد بينها الله في كتابه المبين وسنة رسوله الكريم ﷺ ، وحمل لواء هذه السنة وبينها ودافع عنها صحابة رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان من سلف هذه الأمة وأئمة الشريعة . . ثم تقاعس الكثير من الناس عن البحث والطلب والتحصيل واكتفوا بالتقليد لغيرهم ؛ فوقعوا في أغلاط كثيرة في العقيدة والأحكام »[4] .

قال تعالى :﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٢٨ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٩٨ .

لاَ يَعْلَمُونَ}[١] « والمعنى : على طريقة بينة واضحة ظاهرة من الدين القويم « فهذه الشريعة : شريعة التيسير ، وشريعة المسامحة ، وشريعة الرحمة والإحسان ، وشريعة المصلحة الراجحة ، وشريعة العناية بكل ما فيه نجاة العباد وسعادتهم وحياتهم الطيبة في الدنيا والآخرة »[٢].

٤- التنسيق والتنظيم ، فقد نظمت كل ما يحتاجه الإنسان ، ونظمت كل علاقاته في نسق مترابط « وفيها تنظيم العلاقات بين العباد وبين رهم وبين أنفسهم تنظيماً عظيماً حكيماً »[٣] ، فحددت حقوق العبد عند به وقررت واجباته تجاه ربه ﷺ ، وكذلك واجباته تجاه أهله وأقاربه وجيرانه ومعارفه ومن حوله « نظمت العلاقات بين الأسرة في نفسها . . بما شرع الله من صلة الرحم والمواريث ، والتعاون فيما بين الأسرة حتى تكون مرتبطة متعاونة على ما يرضي ربنا عز وجل . . وأعظم رابطة بين المسلمين : الرابطة الإسلامية . . قال جل وعلا :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[٤] ، فالمؤمن أخو المؤمن يعينه على الخير ويدعوه إليه وينهاه عن الشر ويأخذ على يديه . . فالمسلمون إذا قاموا وتعاونوا عليه حصل لهم الخير العظيم والعزة والكرامة وجمع الكلمة وهيبة الأعداء والعافية من مكائدهم »[٥].

٥- العدالة المطلقة ، فالعدل أمر واجب في الدين أمر الله ﷺ به وجعله نظاماً عاماً بين المسلمين وبينهم وبين غيرهم ؛ وذلك لتوفير حياة السلام والاطمئنان وحفظاً لكيان الأمة الإسلامية « جعلت للمعاملات بين المسلمين نظاماً حكيماً يتضمن العدل والإنصاف وإقامة الحق فيما بينهم من دون محاباة لقريب أو صديق ، بل يجب أن يكون الجميع تحت العدل وتحت شريعة الله لا يُحابى هذا لقرابته ولا هذا لصداقته ولا هذا

---

(١)سورة الجاثية ، الآيتان (١٨_١٩) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٢٨ .

(٤) سورة الحجرات ، آية (١٠)

(٥) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٣٨ .

لوظيفته ولا هذا لغناه أو فقره »[١].

لذلك فقد أمر القرآن به وجعله عاماً دون تخصيص بنوع دون نوع ، ولا بطائفة دون طائفة ، لأن العدل نظام الله وشرعه ، والناس عباده وخلقه يستوون أمام عدله وحكمه ، ولكنه كذلك أمر به على وجه خاص في شئون كثيرة [٢] .

٦- الاستمرارية فقد أثبت نظام الإسلام للجميع صلاحه لكل الخلائق ، ولكل الأزمان ؛ وذلك لأنه قد صيغ في مبادئ عامة ، وقواعد شاملة بحيث تستوعب مراحل التطور الإنساني في كل العصور ، والمجتمعات . وترك للاجتهادات البشرية أن تبذل قصارى جهدها في ظل هذا الإطار الشامل العام . وإن كان قد فصل في أمور جزئية إدراكاً من رب العالمين بأنها مسائل لا تغير وأنها توجد في كل عصر ومصر .

وهذا ما أشار إليه ابن باز عندما وصف أنظمة الشريعة بأنها معلقة لم تحدد بألفاظ خاصة ، وعلل ذلك ؛ « حتى يتعامل كل قوم وكل أمة بما تقتضيه عوا ئدهم وعرفهم ومقاصدهم ولغتهم ، وما يقتضيه النظر في العواقب مكان » [٣].

٧- الوسطية ، فهي تلتزم بالتوسط في كل ما تأمر به وتنهى « وسط في جميع أمورها لا تطرف في غلو ولا تطرف في جفاء ، بل هي وسط في شأنها كله »[٤] .

٨- الترابط والاتساق بحيث لا ينفك طرف منها عن الآخر فهي « دين ودولة ، ومصحف وسيف ، عبادة وحسن معاملة ، جهاد وأعمال صالحة ، إنفاق وإحسان وطاعة لله ﷻ والرسول ﷺ ، توبة من الماضي وعمل للمستقبل جمعت خير الدنيا والآخرة ، لا يجوز أن يفصل ديننا عن دنيانا ، ولا دنيانا عن ديننا ، بل ديننا ودنيانا مرتبطان ارتباطاً وثيقاً في هذه الشريعة »[٥] .

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٤٠ .

(٢) شلتوت ، محمود. الإسلام عقيدة وشريعة . جمهورية مصر العربية / القاهرة : دار الشروق ، (د . ت) ، ص٤٤٥ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٤٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٤٦ .

(٥) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٤٧ .

٩- أمة الأمن والأمان ، قال تعالى :{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}(١)، « فأبان سبحانه : أن أهل الشرك هم أهل الخوف وهم أولى بالخوف وعدم الأمن ؛ لأنهم أشركوا بالله ، وظلموا عباد الله ، وتعدوا حدوده . . فهم مهددون بالعقوبة والنقمات في سائر الأوقات . . أما أهل الإيمان والتقوى فلهم الأمن العاجل والآجل »(٢) .

وبالشريعة تُصان الدماء والأعراض والأموال وكل حقوق العباد « وكل بلاد تضيع فيها الشريعة ، ولا تُقام فيها حدود الله ؛ يكثر فيها الخوف ، ويقل فيها الأمن ، وتسود فيها الفوضى ، وتكثر الرذائل ، وتقل الفضائل ، ولا يطمئن الناس في عيش ولا في رزق »(٣) ، قال تعالى :{وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}(٤) .

بذلك يؤكد ابن باز ويرتب الجزاء من جنس العمل « فمن استقام على أمر الله ، وطبق حقه سبحانه وتعالى ، وأنصف المظلوم من الظالم ، وأقام الحدود في ولايته ، صارت بلاده في أمن وأمان ، وراحة وطمأنينة ، وحياة كريمة ، تحقيقاً لما وعد الله به عباده ، وهو الصادق في وعده جل وعلا . ومتى أخلوا بذلك ولم ينفذوا أمر الله ، بل تساهل حكامهم بشريعة الله ولم ينفذوا ما يجب من الحدود والتعزيرات الشرعية ؛ أصابهم في بلادهم من الخلل والضعف ، واختلال الأمن ووجود الخوف والقلق بحسب ما عندهم من تضييع أوامر الله ، وبحسب ما ضيعوا من إقامة حدود الله . وهذا كله واضح لمن سبر أحوال العالم »(٥) .

ولابن باز كلمة ضافية وموجزة في هذا المجال ، اختارتها الباحثة هنا في هذا الموضع لتجمع ما قد سبق عرضه من محاسن الشريعة الإسلامية وما لم يُعرض «.. وجعله ديناً

---

(١) سورة الأنعام ، آية (٨٢) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٦٣_ص٢٦٤ .

(٣)المرجع السابق ، ج٢/ص٢٦٧ .

(٤) سورة النحل ، آية(١١٢) .

(٥) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٦٨_ص٢٦٩ .

شاملاً لجميع الشئون ؛ شئون الدين والدنيا ، شئون العبادة وشئون المعاملة ، وشئون الأحوال الشخصية وشئون الجنايات ، وغير ذلك في جميع الأمور . جعله ديناً شاملاً منظماً لجميع مصالح العباد ، منظماً لجميع ما يحتاجون إليه في شئونهم العاجلة والآجلة مفصلاً لكل ما يتطلبه العاقل وتقتضيه الحاجة »[١] .

٢- مساندة ورعاية القيادات الإسلامية لدور التربية الإسلامية

لا يكفي أن يقو م بالتربية أفراد بل لا بد من جميع فئات المجتمع أن تقوم بهذا العمل وعلى رأسهم السلطة العلية « يضاف إلى هذا دور الرعاية والتوجيه من القيادات الإسلامية ، والدأب على العمل النافع ، وتذكير الناس دائماً بما ينفعهم وينمي العقيدة في نفوسهم »[٢] .

ولا سبيل لتنمية العقيدة الإسلامية في النفوس ، والوقوف بها سداً منيعاً في وجوه الأعداء والوقاية من تسليطهم وكف شرهم عن المسلمين إلاّ بتطبيق الشريعة الإسلامية واتخاذها الدستور الشرعي لكل بلاد العالم الإسلامي ، والحكم بها ديناً ودنيا ؛ وبهذا وحده ؛ يأمن الناس ويسعدون « أن الواجب على ولاة الأمور العناية بالشريعة ، وبذل الجهود في تطبيقها في كل شيء حتى يتحقق للعباد الأمن والسعادة والحياة الكريمة في هذه العاجلة ، والفوز بدار الكرامة والنعيم المقيم »[٣] .

ويحث ابن باز كل صاحب سلطان بضرورة القيام بهذا الأمر « فقد ثبت عن النبي ﷺ : أنه كان يحرض الناس دائماً على القيام بأمر الله ، ويحذرهم من ركوب محارمه ، ويأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويذكر لهم عاقبة من نفذ أمر الله ، وعاقبة من تساهل بأمره جل وعلا ؛ ليتعظوا وليتذكروا ، ويبتعدوا عن محارم الله ، ويحذروا عواقبها الوخيمة »[٤] .

---

(١) المرجع السابق ، ج٣/ص١١٧ .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، مرجع سابق ، ج٣/ ص١١٦٥_ص١١٦٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج٣/ ص١١٦٦ .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٦٩_ص٢٧٠ .

تحكيم الشريعة الإسلامية :

يشدد ابن باز في ضرورة الحكم بالشريعة الإسلامية وتطبيقها ؛ وذلك لأنها ليست فقط محصلة للمصالح الدنيوية ، بل هي قضية دينية يتوقف عليها إيمان الفرد وشركه بالله « فكما أن العبادة لله وحده ، فكذلك الحكم له وحده ، كما قال سبحانه :{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله}[١] ، فلتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أعظم المنكرات وأقبح السيئات ، وفي كفر صاحبه تفصيل ، قال تعالى :{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}[٢]، « فلا إيمان لمن لم يحَكِم الله ورسوله ﷺ في أصول الدين وفروعه وفي كل الحقوق ، فمن تحاكم إلى غير الله ورسوله فقد تحاكم إلى الطاغوت »[٣] . «وأن الواجب على جميع العباد من جن وإنس ، أن يخُصوا الله بالعبادة ، ويؤدوا حق هذا التوحيد بتحكيم شريعة الله ، فإن الله سبحانه وتعالى هو الحاكم ، ومن توحيده الإيمان والتصديق بذلك ، فهو الحاكم في الدنيا بشريعته ، وفي الآخرة بنفسه سبحانه وتعالى ، كما قال جل وعلا :{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ}[٤] ، وقال سبحانه :{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ}[٥] »[٦] .

إن قضية الحكم بغير ما أنزل الله ، وإنشاء القوانين الوضعية التي ليس لها من الله ﷻ سلطان ، هي قضية قد عامة وأشد وقوعاً ، وتكاد تعم العالم الإسلامي إلا النذر اليسير منه . وقد نبه إليها ابن باز كثيراً ، وكان – يرحمه الله – مشفقاً على الأمة الإسلامية

---

(١) سورة الأنعام ، آية (٥٧) .

(٢) سورة النساء ، آية (٦٥) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص١٤٣ .

(٤) سورة الأنعام ، آية (٥٧) .

(٥) سورة الشورى ، آية (١٠) .

(٦) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٠ .

لهوان أجزاء كبيرة منها على أعداء الله ووقوعها في قبضة سلطان اليهود وأعداء الإسلام « يجب على المسلمين أن يتحاكموا إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ في كل شـــيء لا إلى القوانين الوضعية والأعراف والعادات القبلية »[١] . قال تعالى :{أَلَمْ تَــرَ إِلَــى الَّذِيـنَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِــكَ يُرِيــدُونَ أَن يَتَحَـاكَمُوا إِلَــى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً}[٢] .

نعم لقد أضلهم الشيطان باتخاذهم الدساتير الوضعية وزينها لهم فبنوا عليها آمـالهم ، وتركوا حكم الله ورسوله ﷺ . وقد فطن اليهود لهذا الأمر ، وجعلوه جُلَّ اهتمامـــهم ، فعملوا على سن القوانين الأرضية واختيار منها الصالح لهم ؛ ليضمنوا لهم سياسة العـــالم وحكمه فيقول كبيرهم : دعوهم يتمتعون ويفرحون بأنسهم حتى يلاقــوا يومــهم ، أو دعوهم يعيشون في أحلامهم بملذات وملاه جديدة ، أو يعيشون في ذكرياتهم للأحـــلام الماضية . دعوهم يعتقدون أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها لهي القدر الأسمى من أجلهم . وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع ، وبمساعدة صحافتنا نزيد ثقتهم العميـاء بهذه القوانين زيادة مطردة . إن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفســها بعلمــها ، وستأخذ جزافاً في مزاولة المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولها حسب الاتجاه الذي توخيناه [٣] .

وبين تعالى أن الحكم بغير ما أنزل الله حكم الجاهلين ، وأن الإعراض عن حكم الله تعالى سبب لحلول عقابه ، وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين ، يقول سـبحانه :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّـهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِـيراً مِّـنَ النَّـاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[٤] .

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص١٤٢ .

(٢) سورة النساء ، آية (٦٠) .

(٣) بُروتوكولات حكماء صهيون . الخطر اليهودي . ترجمة محمد خليفة التونسي ، مصر / القاهرة : دار التراث ، (د . ت) ، ص١٦٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآيتان (٤٩ ــ ٥٠) .

والمتـــدبر لهذه الآية يتبـــين له أن الأمر بالتحـــاكم إلى مـــا أنـــزل الله ، أكـــد بمؤكـــدات ثمانيـــة :

الأول : الأمر به في قوله تعالى :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ} .

الثاني : أن لا تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بـــأي حـــال مـــن الأحوال ، وذلك في قوله :{وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} .

الثالث : التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير ، والصغير والكبـــير ، بقوله سبحانه :{وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} .

الرابع : أن التولي عن حكم الله وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقـــاب الأليم ، قال تعالى :{فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} .

الخامس : التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله فإن الشكور من عباد الله قليل ، يقول تعالى :{وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} .

السادس : وصف الحكم بغير مـــا أنـــزل الله بأنـــه حكـــم الجاهليـــة ، يقـــول سبحانه :{أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ} .

السابع : تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله أحسن الأحكام وأعدلها ، يقـــول عـــز وجل :{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً} .

الثامن : أن مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكـــام وأكملـــها ، وأتمها وأعدلها ، وأن الواجب الانقياد له ، مع الرضا والتسليم ، يقول سبحانه :{وَمَـــنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[١] .

ولهذا كان من مقتضى رحمته وحكمته سبحانه وتعالى أن يكون التحاكم بين العباد بشرعه وحيه ؛ لأنه سبحانه المتره عما يصيب البشر من الضعـــف ، والهـــوى والعجـــز والجهل ، فهو سبحانه الحكيم العليم اللطيف الخبير ، يعلم أحوال عباده وما يصلِحـــهم ، وما يصلُح لهم في حاضرهم ومستقبلهم »[٢] .

---

(١) سورة المائدة ، آية (٥٠) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٧٦_ص٧٧ .

« ومن تمام رحمته أن تولى الفصل بينهم في المنازعات والخصومات وشئون الحياة ليتحقق لهم العدل والخير والسعادة ، بل والرضا والاطمئنان النفسي ، والراحة القلبية ، ذلك أن العبد إذا علم أن الحكم الصادر في قضية يخاصم فيها هو حكم الله الخالق العليم الخبير ، قبِل ورضي وسلَّم ، وحتى ولو كان الحكم خلاف ما يهوى ويريد ، بخلاف ما إذا علم أن الحكم صادر من أناس بشر مثله ، لهم أهواؤهم وشهواتهم ، فإنه لا يرضى ويستمر في المطالبة والمخاصمة »(١) .

« وبهذا يعلم أن تطبيق الشريعة ، والعناية بذلك واستكماله ، من أعظم أسباب كمال الأمن ، وكمال الهداية وكمال السلامة والحياة الكريمة) .

بعد عرض الحقائق بالأدلة والبراهين العقلية على بطلان حكم غير الله ﷻ في الأرض ومن عليها ، يركز ابن باز على الذاكرة التاريخية ليتعظ بها المسلمون وغيرهم « وكل من نظر في العالم ، وأحوال الناس ، يعلم ما ذكرنا عن يقين ، وعن مشاهدة . فإذا تأمل المؤمن البصير حالة عصر الصحابة ، وما فيه من الخير العظيم ، والجهاد الواسع ، والفتوحات الكثيرة ، والأمن والأمان في البلدان التي حكمها المسلمون ، بسبب تطبيقهم لشريعة الله وتنفيذهم لأحكام شرعه الذي شرع ، وإقامتهم لحدوده ، يرى العجب العجاب »(٢) .

ثم إذا نظرنا نظرة في الخطوط التي يتقدم عليها القانون الإسلامي فإننا لا نكاد نشك أن هذا القانون كما ظل يتسع في الاثني عشر قرناً الماضية ، ويفي بحاجاتنا فكذلك من الممكن له أن يستأنف اتساعه ويفي بحاجاتنا في حاضر الزمان ومستقبله(٣) .

٣- مقاومة الانحراف

التأهب وأخذ الحيطة والحذر من الانحراف بكل أنواعه الفكرية والعملية ،

---

(١) المرجع السابق ، ج١/ص٧٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٦٥ ، ص٢٦٧ .

(٣) المودودي ، أبو الأعلى . نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور . لبنان / بيروت : مؤسسة الرسالة ، (١٣٨٩هـ) ، ص٢١ .

والاجتهاد لمعرفة الأخطار ووسائلها الخفية وعدم الغفلة عنها «لا ريب أن الغفلة من أسباب نفاذ أعداء الإسلام إلى ديار الإسلام بالثقافة والعلوم التي تباعد المسلمين عن دينهم شيئاً فشيئاً ، وبذلك يكثر الشر بينهم ويتأثرون بأفكار أعدائهم»[1] .

الغزو الثقافي

ولابن باز نظرة واقعية لما يحيط بالعالم الإسلامي من أخطار وتحديات فيركز على أخطرها

« مما لاشك فيه أن أخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافي بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى ؛ ذلك أن الاستعمار في العصر الحديث قد غير من أساليبه القديمة لما أدركه من فشلها وعدم فعاليتها ومحاربة الشعوب واستماتتها في الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها حيث إن الأخذ بالقوة وعن طريق العنف والإرهاب مما تأباه الطباع وتنفر منه النفوس ، لا سيما في الأوقات الحاضرة بعد انتشر الوعي بين الناس واتصل الناس بعضهم ببعض ، وأصبحت هناك هيئات كثيرة تتدافع عن حقوق الشعوب ، وترفض الاستعمار عن طريق القوة ، وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب وأن لأهل كل قطر حقهم الطبيعي في سيادتهم على أرضهم ، واستثمار مواردهم ، وتسيير دفة الحكم في أوطانهم حسب ميولهم ورغباتهم في الحياة ، وحسب ما تدين به تلك الشعوب من معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم مما اضطر معه الخروج عن هذه الأقطار بعد قتال عنيف وصدمات مسلحة وحروب كثيرة دامية »[2] .

« ولكن الاستعمار قبل أن يخرج من هذه الأقطار فكر في عدة وسائل واتخذ كثيراً من المخططات بعد دراسة واعية وتفكير طويل وتصور كامل لإبعاد هذه المخططات ومدى فعاليتها وتأثيرها ، والطرق التي ينبغي أن تتخذ للوصول إلى الغاية التي يريد وأهدافه تتلخص في إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين . مبالغة في الدهاء والمكر والتلبيس ، ركز فيها على خدمة أهدافه ونشر ثقافته وترسيخ الإعجاب بما

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، مرجع سابق ، ج٣/ ص١١٦٦ .

(٢) المرجع السابق ج٣/ص١١٥٨_ص١١٥٩ .

حققه في مجال الصناعات المختلفة والمكاسب المادية في نفوس أغلب الناس حتى إذا مـا تشربت بها قلوبهم وأعجبوا بمظاهر بريقها ولمعانها وعظيم ما حققتـه وأنجزتـه مـن المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة . لا سيما في صفوف الطـلاب والمتعلمـين الذين لا يزالون في سن المراهقة والشباب . اختارت جماعة منهم ممن انطلى عليـهم سحر هذه الحضارة لإكمال تعليمهم في الخارج في الجامعات الأوربيـة والأمريكيـة وغيرها حيث يواجهون هناك بسلسة من الشبهات والشهوات على أيدي المستشـرقين والملحدين بشكل منظم وخطط مدروسة وأساليب ملتوية في غاية المكر والدهـاء ، وحيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتفكـك ومجـون وإباحية »[1] .

يقول أحد المبشرين بالمسيحية : كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفـة تتعلـق بالعقيدة المسيحية ، والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب . ويقول آخر : إن الأثر المفسـد في الإسلام يبدأ باكراً جداً ، ومن ذلك يجب حمل الأطفال إلى المسيح قبل بلوغهم سـن الرشد ، وقبل أن تأخذ طباعهم أشكالها الإسلامية [2] .

« أما الطريق إلى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئه وأضـراره فيتلخـص في إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعـاث إلى الخارج ، وتدريس العلوم بكافة أنواعها مع العناية بـالمواد الدينيـة والثقافيـة الإسلامية في جميع الجامعات والكليات والمعاهد حرصاً على سلامة عقيدة الطلبـة ، وصيانة أخلاقهم وخوفاً على مستقبلهم ، وحتى يساهموا في بناء مجتمعهم على نـور من تعاليم الشريعة الإسلامية ، وحسب حاجات ومتطلبات هذه الأمة المسـلمة ، والواجب التضييق من نطاق الابتعاث إلى الخارج وحصره في علوم معينة لا تتوفر في الداخل » [3] .

---

(١) المرجع السابق ج٣/ص١١٥٩_ص١١٦٠ .

(٢) سعيد ، عبد الستار فتح الله . الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . القسم الثاني من البحـوث المقدمـة لمؤتر الفقه الإسلامي ، المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الإمام محمد بـن سـعود الإسـلامية ، (١٤٠١هـ) ، ص٢١٥_ص٢١٦ .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، مرجع سابق ، ج٣/ص١١٦٠ .

الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره كثيرة منها كما يذكرها ابن باز[1] :

١- محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين وترسيخ المفاهيم الغربية فيها لتعتقد أن الطريقة الفضلى هي طريقة الغرب في كل شيء سواء فيما يعتقده من الأديان والنحل أو ما يتكلم به من اللغات أو ما يتحلى به من الأخلاق أو ما هو عليه من عادات وطرائق .

٢- رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين في كل بلد وعنايته بهم وتربيتهم حتى إذا ما تشربوا الأفكار الغربية وعادوا إلى بلادهم أحاطهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات في بلدانهم وبذلك يروجون الأفكار الغربية وينشئون المؤسسات التعليمية المسايرة للمنهج الغربي أو الخاضعة له .

٣- تنشيطه لتعليم اللغات الغربية في البلدان الإسلامية وجعلها تزاحم لغة المسلمين وخاصة اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم التي أنزل الله بها كتابه والتي يتعبد بها المسلمون ربهم في الصلاة والحج والأذكار وغيرها ، ومن ذلك تشجيع الدعوات الهدَّامة التي تحلوب اللغة العربية ، وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام في الدعوة إلى العامية وقيام الدراسات الكثيرة التي يراد بها تطوير النحو وإفساده وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبي والتراث القومي .

٤- إنشاء الجامعات الغربية والمدارس التبشيرية في بلاد المسلمين ودور الحضانة ورياض الأطفال والمستشفيات والمستوصفات وجعلها أوكاراً لأغراضه السيئة ، وتشجيع الدراسة فيها عند الطبقة العالية من أبناء المجتمع ، ومساعدتهم بعد ذلك على تسلم المراكز القيادية والوظائف الكبيرة حتى يكونوا عوناً لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين .

٥- محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها ، إما بطريق مباشر كما حصل في بعض بلاد الإسلام حينما تولى دنلوب القسيس تلك المهمة

---

(١) المرجع السابق ، ج٣/ ص١١٥٢_ص١١٥٧ .

فيها ، أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس دنلوب وتخرجوا فيها ، فأصبح معظمهم معولَ هدم في بلاده وسلاحاً فتاكاً من أسلحة العدو يعمل جاهداً على توجيه التعليم توجيهاً علمانياً لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله ، وإنما يسير نحو الإلحاد ويدعو إلى الفساد .

٦- قيام طوائف كبيرة من النصارى واليهود بدراسة الإسلام واللغة العربية وتأليف الكتب وتولي كراسي التدريس في الجامعات حتى أحدث هؤلاء فتنة فكرية كبيرة بين المثقفين مكن أبناء الإسلام بالشبه التي يلقنونها لطلبتهم أو التي تمتلئ بها كتبهم وتروج في بلاد المسلمين حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها إليها بعض الكاتبين والباحثين في الأمور الفكرية أو التاريخية . ولقد تخرج على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء المسلمين رجال قاموا بنصيب كبير في لإحداث الفتنة الكبرى وساعدهم على ذلك ما يحاطون به من الثناء والإعجاب وما يتولونه من مناصب هامة في التعليم والتوجيه والقيادة ، فأكملوا ما بدأه أساتذهم ، وحققوا ما عجزوا عنه لكونهم من أبناء المسلمين ومن جلدهم ينتسبون إليهم ويتكلمون بلسانهم - فالله المستعان .

٧- انطلاق الأعداد الكثيرة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين وقيامهم بعملهم ذلك على أسس مدروسة وبوسائل كبيرة عظيمة ؛ يجند لها الآلاف من الرجال والنساء ، وتعد لها أضخم الميزانيات ، وتسهل لها السبل وتذلل لها العقبات ، قال تعالى : {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[1] . وإذا كان هذا الجهد منصباً على الطبقة العامية غالباً فإن جهود الاستشراق موجهة إلى المثقفين كما ذكرت آنفاً ، وأنهم يتحملون مشاقاً جساماً في ذلك العمل في بلاد أفريقيا وفي القرى النائية من أطراف البلدان الإسلامية في شرق آسيا وغيرها ، ثم هم بعد كل حين يجتمعون في مؤتمرات يراجعون حساهم ، وينظرون في خططهم ، فيصححون ويعدلون ويبتكرون .

٨- الدعوة إلى إفساد المجتمع المسلم ، وتزهيد المرأة في وظيفتها في الحياة ، وجعلها تتجاوز الحدود التي حد الله لها وجعل سعادتها في الوقوف عندها ؛ وذلك حينما يلقون

---

(١) سورة الصف ، آية (٨) .

بين المسلمين الدعوات بأساليب شتى وطرق متعددة إلى أن تختلط النساء بالرجال وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال ، يقصدون من ذلك إفساد المجتمع يا المسلم والقضاء على الطهر والعفاف الذي يوجد فيه وإقامة قضايا وهمية ودعاوى باطلة في أن المرأة في المجتمع المسلم قد ظُلمت وأن لها الحق في كذا وكذا ، ويريدون إخراجها من بيتها وإيصالها إلى حيث يريدون ، في حين أن حدود الله واضحة وأوامره صريحة وسنة رسول الله ﷺ جلية بينة ، يقول الله سبحانه وتعالى :{يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيمًا}(١) .

٩- إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين ، وصرف الأموال الكثيرة عليها وتزيينها وجعلها بارزة واضحة في أحسن الأماكن ، وفي أكبر الميادين .

١٠- تخصيص إذاعات موجهة تدعو إلى النصرانية والشيوعية ، وتشيد بأهدافها ، وتضلل بأفكارها أبناء المسلمين السذج الذين لم يفهموا الإسلام ، ولم تكن لهم تربية كافية عليه ، وخاصة في أفريقيا حيث يصاحب هذا الإكثار من طبع الأناجيل وتوزيعها ، في الفنادق وغيرها ، وإرسال النشرات التبشيرية والدعوات الباطلة إلى الكثير من أبناء المسلمين .

هذه بعض الوسائل التي يسلكها أعداء الإسلام اليوم من الشرق والغرب في سبيل غزو أفكار المسلمين ، وتنحية الأفكار السليمة الصالحة لتحل محلها أفكار أخرى غريبة : شرقية أو غربية ، وهي كما ترى أيها القارئ جهود جبارة ، وأموال طائلة ، وجنود كثيرة ، كل ذلك لإخراج المسلمين من الإسلام ، وإن لم يدخلوا في النصرانية أو اليهودية أو الماركسية ، إذ يعتقد القوم أن المهمة الرئيسية في ذلك هي لإخراجهم من الإسلام ، وإذا تم التوصل إلى هذه المرحلة فما بعدها سهل وميسور » .

لقد استهدف الغزو الفكري ضد الإسلام أمرين :

١- محاربة القرآن الكريم والسنة النبوية في العالم الإسلامي كله .

٢- محاربة اللغة العربية في العالم العربي بالدرجة الأولى ، وفي كل مكان يمكن أن

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٥٩) .

يعني بها[1] .

« ولكننا مع هذا نقول : إن الله سيخيب آمالهم ويبطل كيدهم ، إذا صدق المسلمون في محاربتهم والحذر من مكائدهم ، واستقاموا على دينهم لقوله ﷻ :{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[2] ، لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ، قال تعالى :{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[3]، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ولا شك أن الأمر يحتاج من المسلمين إلى وقفة عقل وتأمل ، ودراسة في الطريق التي يجب أن يسلكوها ، والموقف المناسب الذي يجب أن يقفوه وأن يكون لهم من الوعي والإدراك ما يجعلهم قادرين على فهم مخططات أعدائهم ، وعاملين على إحباطها وإبطالها .

ولن يتم لهم ذلك إلا بالاستعصام بالله والاستمساك بهديه والرجوع إليه والإنابة له والاستعانة به ، وتذكر هديه في كل شيء وخاصة في علاقة المؤمنين بالكافرين ، وتفهم معنى سورة قل يا أيها الكافرون ، وما ذكره سبحانه في قوله :{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}[4]» .

* * * *

---

(١) محمود ، علي عبد الحليم . الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . القسم الأول من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي ، المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (١٤٠١هـ) ، ص١١ .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٢٠) .

(٣)سورة الأنفال، آية (٣٠) .

(٤) سورة البقرة ، آية (١٢٠) .

المبحث الثاني
مجالات التربية عند ابن باز

التربية الإسلامية تشمل جميع مجالات الحياة . وابن باز عند تربيته للمسلم شمل بمبادئه وتوصياته الجوانب الضرورية في حياة المسلم ، وركز على أهمها وأبلغها نفعاً في بعض الجوانب . ولا تعد هذه الدراسة حصراً لمجالات التربية عند ابن باز ، ولكنها بعض الأمثلة .

أولاً : التربية العقدية

إن مقصود التربية العقدية : أن تجعل من الإنسان مخلوقاً عابداً لله ﷻ ، وصالحاً لعمارة الأرض بما تغرسه فيه من القيم والمبادئ الدينية ؛ حتى يكون جديراً بأن يكون خليفة الله عز وجل في الأرض .

محاور هذا الصدد اثنان ، والثالث يحتوي عشر مسائل .

العقيدة ضرورة ملحة ، التربية والعقيدة الصحيحة ، مسائل مهمة في العقيدة : المسألة الأولى : تحقيق معنى العبودية لله ، المسألة الثانية : معرفة الله بأسمائه وصفاته ، المسألة الثالثة : منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، المسألة الرابعة : الإيمان بالملائكة ، المسألة الخامسة : الإيمان بالكتب السماوية ، المسألة السادسة : الإيمان بالرسل ، المسألة السابعة : الإيمان باليوم الآخر المسألة الثامنة : الإيمان بالقدر ، المسألة التاسعة : زيادة الإيمان ونقصانه ، المسألة العاشرة : قوادح العقيدة .

١- العقيدة ضرورة ملحة

لا شك أن أهم عوامل التأثير في سلوك الإنسان وفكره هي العقيدة ، فهي زاد الحياة لكل إنسان ؛ لأنها الطاقة التي تبني أفكار المرء وتسير سلوكه وتدفعه إلى العمل بموجبها ، و « هي ما يعتقده الإنسان ويدين به ، من خير وشرٍّ ، فساد وصلاح »[(١)] .

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٨/ص٨ .

وفيها افترقت الأمم ، بل الأمة الواحدة ؛ ولذلك قال الله تعالى :{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَـــهَ إِلاَّ اللهُ}[١]، يأمر الله ﷻ بوجوب العلم بـ« لا إله إلاّ الله » : تعلُّماً وتعليماً ، فبــها نزلـت الكتب وإليها كانت دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . وهذه الكلمة : فاتحة العلم وأصل العقيدة وعليها تُبنى مجالاتها الأخرى ؛ لأنها « تعني أنه لا معبود بحــق إلاّ الله . ولها شروط وهي العلم بمعناها واليقين وعدم الشك بصحتها والإخـــلاص لله في ذلــك وحده والصدق بقلبه ولسانه والمحبــة لما دلت عليه من الإخـــلاص لله وقبــول ذلــك والانقيــاد له وتوحيده ونبذ الشرك به مع البراءة من عبادة غيره ، واعتقاد بطلانها » .

ولقد اهتم القرآن الكريم بهذا الأصل ، فكثيراً ما تأتي الآيات والســـور موضحــة ومتضمنة له ؛ « لأنه الأساس ، فإذا صلح الأساس جاء غيره بعد ذلك »[٢] . مـــن هـــذه الآيات قوله سبحانه :{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }[٣]، وقولــه ﷻ :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ }[٤]، إلى غير ذلك من الآيات ، وكلها تفســر هــذه الكلمة ، وتوضح أن معناها : إبطال العبادة لغير الله ، وإثبات العبادة بحق لله وحده جــل وعلا ، كما قال سبحانه :{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَـــاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}[٥] »[٦] .

فهي الأصل والأساس لما تتضمنه من توجيه للإنسان في الحياة ، وترشيد لموقفه مــن العلم والعمل والناس والحياة والموت ،إنها توجيه شامل لحياة الإنسان في الدنيا والآخــرة ، إنها الأساس الفكري النظري عن الوجود[٧] .

ولهذا ظل المربي الكريم ﷺ يربي أصحابه تلك الفترة الطويلة من العهد المكي علـــى

---

(١) سورة محمد ، آية (١٩) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٦٢ .

(٣) سورة البقرة ، آية (١٦٣) .

(٤) سورة الإسراء ، آية (٢٣) .

(٥) سورة الحج ، آية (٦٢) .

(٦) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٦٢ .

(٧) أبو العنين ، علي خليل . التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي . ص٣٠ .

مبادئ العقيدة الإسلامية ، واهتم بغرسها في نفوسهم حتى امتلأت بنورها وصار أصحابه رضوان الله عليهم من طليعة الإسلام الأوائل الذين فتحوا الأرض ونشروا نور الإسلام في أرجائها .

واتباعاً لمنهج السلف الصالح في العقيدة ، وتأكيداً على أهم أصولها ، كان ابن باز كثيراً ما يدعو إلى بيان أهمية التوحيد« لا ريب أن التوحيد هو أهم الواجبات ، وهو أول فريضة ، وأول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو زبدة هذه الدعوة »[١] .

نعم التوحيد هو زبدة الدعوة الإسلامية لأنه ؛ يولّد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته ، وعن الناس ، والحياة ، والكون بأكمله . إنه يمدّه بمعنى جديد للحياة ولرسالته فيها ، ويملأ قلبه بالحب لله وللرسول وللناس من حوله وللإنسانية عامة ، ويبعث فيه الشعور بالأمن والطمأنينة [٢] .

« فإن الله ﷻ خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له ، وأرسل الرسل لبيان هذه الحكمة والدعوة إليها . . وجعل الله سبحانه هذه الدار طريقاً للآخرة ، ومعبراً لها ، فمن عمرها بطاعة الله وتوحيده واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام ، انتقل من دار العمل وهي الدنيا ، إلى دار الجزاء وهي الآخرة ، وصار إلى دار النعيم والحبرة والسرور ، دار الكرامة والسعادة . . أما من خالف الرسل في هذه الدار ، وتابع الهوى والشيطان ، فإنه ينتقل من هذه الدار إلى دار الجزاء ، دار الهوان والخسران »[٣] .

وبهذا البيان الموجز يجيب ابن باز العالم الرباني « على التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني ، بل تحيره : من أين جئت ؟ ومن أين جاء هذا الكون؟ من الموجد؟ ما صفاته ما أسماؤه ؟ لماذا أوجدنا وأوجد هذا الكون ؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا ؟ وهل هناك عوالم غير منظورة وراء هذا العام المشهود ؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان؟وهل بعد هذه الحياة من حياة أُخرى نصير

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٢/ص٤١ .

(٢) نجاتي ، مرجع سابق ، ص٢٨٢ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٢/ص٨ ــ ص٩ .

إليها ؟وكيف تكون تلك الحياة اليوم ؟ »[1] .

وبعبارة أخيرة : لا يخفى ما في العقيدة الإسلامية من تربية روحية ، تلبي جميع احتياجات الإنسان الروحية الضرورية والتي تجعل منه إنساناً متسامياً عن جميع الرذائل ، بعيداً عن الأمراض والاضطرابات النفسية ، إنساناً مؤمناً خيراً يسعى دائماً في تعمير الأرض للبشرية ، كما قال تعالى :{وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[2] .

٢- التربية والعقيدة الصحيحة

للتربية أهداف وغايات ، وهي تختلف من عقيدة لأخرى ، فمن العقائد من تربي في الإنسان الروح دون الجسد ، ومنها عكس ذلك ، ومنها التي تهتم بتربية المواطن الصالح دون الإنسان الصالح .. والعقيدة الإسلامية من بين هذه العقائد متزنة ومتكاملة تهتم بالروح والجسد معاً ، شاملة تربي الإنسان الصالح ، متضامنة تتضمن ثلاثة شؤون ؛ فيها تدور حياة الإنسان : القول والعمل والاعتقاد ، فالعمل مترتب فيها على القول ، والقول مترتب فيها على الاعتقاد ، وكلٍ منها متضمن للآخر . بل ولا تُقبل العبادات إلا بها مجتمعة ، « فتوحيد الله هو إفراده بالعبادة عن إيمان ، وعن صدق ، وعن عمل ، لا مجرد كلام»[3] .

ويصفها قطب المقارنة بين العقيدة والفلسفة وقد أجاد كثيراً :

إنها تخاطب العقل فيما تخاطبه من كيان الإنسان ، ولكن لا من أجل المتعة العقلية كما تصنع الفلسفة ، بل من أجل إحداث الوعي اللازم بحقيقة الألوهية ، الذي يترتب عليه الوعي بالالتزام الواجب تجاه تلك الحقيقة .. أي الالتزام بمقام العبودية ، الذي يستلزم الحب والخشية والطاعة والاستقامة على أمر الله . ثم إنها تخاطب الوجدان .. لأن الوجدان هو الأداة المثلى لتحويل قيم العقيدة ومبادئها إلى سلوك عملي ؛ لأنه حي منفعل متحرك . ثم يقول : ولذلك كانت العقيدة الحية دائماً هي التي تنشئ الأمم وتحكم

---

(١) الأشقر ، عمر سليمان . العقيدة في الله . الكويت : مكتبة الفلاح ، (١٩٨٣م) ، ص١٢ .

(٢) سورة الحج ، آية (٧٧) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٠ .

السلوك البشري ، وكانت دائماً هي سبيل الهداية للبشرية [(١)] .

وارتباط الإيمان بالعمل من أول مبادئ التربية الإسلامية العقدية ، وكثيراً ما ارتبط الإيمان بالعمل الصالح في توجيه الآيات القرآنية ، قال تعالى :{وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[(٢)]، وقال أيضاً :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[(٣)]، وغيرها كثير كلها تعزز الإيمان بالعمل ، ولكنها ، وهذا مبدأ آخر تركز دائماً على جانب الصلاح الذي لا يتوفر إلا في العقيدة الإسلامية الصحيحة . فهي التي أثبتت هذا الصلاح للعالم أجمع بما احتوت عليه من مبادئ وتشريعات .

« والمطلوب : هو التمسك بالعقيدة الصحيحة ، وما يجب على العبد في ذلك ؛ لأن في هذا العالم عقائد كثيرة ، كلها فاسدة إلا العقيدة التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهي العقيدة الإسلامية الصافية النقية من شوائب الشرك والبدع والمعاصي ، هذه هي العقيدة التي جاء بها كتاب الله ، ودلت عليها سنة رسول الله ﷺ ، وهي الإسلام»[(٤)] .

فآثار التربية العقدية تتوقف إذاً على مدى صحة هذه العقيدة ، ولذلك كلما كانت العقيدة صحيحة كلما كانت دوافعها التنموية والحضارية المختلفة : النفسية والسلوكية والاجتماعية .. تسير في الاتجاه الصحيح ، وكلما كانت متردية في الخطأ أو التناقض كلما أهلكت معتقديها –والعياذ بالله– « معلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة ، فإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال ، كما قال تعالى :{وَمَن يَكْفُرْ

---

(١) قطب ، محمد . مذاهب فكرية معاصرة . ط٣ ، مصر / القاهرة : دار الشروق ، (١٤٠٨هـ) ، ص٥٠٤ – ص٥٠٥ .

(٢) سورة العصر ، الآيات (١–٣) .

(٣) سورة الكهف ، آية (١٠٧) .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٨/ص٨ .

بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[١] »[٢] . ولا تصح أي عقيدة غير الإسلام ، قال تعالى : {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمِ}[٣]، « فالإسلام هو دين الله ، لا يقبل من أحد سواه ، قال الله ﷻ : {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ}[٤] . وهو دين الأنبياء كلهم ؛ فهو دين آدم عليه الصلاة والسلام ، وهو دين الأنبياء بعده : نوح وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى . .وهو دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الذي بعثه الله للناس عامَّة»[٥] .

« ومن المعلوم أن جميع الشرائع التي جاءت بها الأنبياء قد نُسخت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز لأحد من الناس أن يعمل بغير الشريعة التي جاء بها القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن النبي ﷺ ، كما قال سبحانه : {قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيْكُم ما حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ}[٦] »[٧]

« وقد بين رسول الله ﷺ بفعله وقوله بطلان ديانة من لم يدخل في دين الإسلام ، فقد حارب اليهود والنصارى ، كما حارب غيرهم من الكفار .

ولتأكيد ضلالهم وأنهم على دين باطل بعد نسخه بدين محمد ﷺ أمر الله المسلم أن يسأل الله في كل يوم وفي كل صلاة وفي كل ركعة أن يهديه الصراط المستقيم الصحيح المتقبل وهو : الإسلام ، وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم والضالين ، وهم : اليهود والنصارى وأشباههم »[٨] .

---

(١) سورة المائدة ، آية (٥) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص١٣ .

(٣) سورة آل عمران ، آية (١٩) .

(٤) سورة آل عمران ، آية (٨٥) .

(٥) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٨/ص١٩٩.

(٦) سورة النور ، آية (٥٤) .

(٧) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٨/ص١١٩ .

(٨) المرجع السابق ، ج٨/ص٢٠٠ .

« وكل ذلك ؛ ليعلم المسلم علم اليقين أن كل ديانة غير الإسلام فهي باطلة ، وأن كل من يتعبد لله على غير الإسلام فهو ضال ومن لم يعتقد ذلك فليس من المسلمين »[١] .

يهتم ابن باز كثيراً بإظهار العقيدة الإسلامية صافية نقية ، وتقديمها للناس في صورة تتقبلها كل الأنفس البشرية ، لذلك فقد كان دائماً يناقش كل النحل والمذاهب المعارضة للدين الإسلامي ، ويفنِّد حيلها ، ويظهر خطأها ، ويكشف زيف شعاراتها الضالة المضلة والمنتشرة في هذا العصر ؛ حتى لا ينخدع بها العامة من الناس وغيرهم .

بعض المذاهب والنحل المعارضة للإسلام :

١- الماسونية

« يأتي دعاة الماسونية الذين يريدون أن يردوا الناس إلى الأحوال البهيمية ، والمساواة في كل شيء ويحاربون مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ليجعلوهم كالبهائم لا يميزون حقاً من باطل ولا خيراً من شر ، وهذا كله خلاف ما دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وخلاف ما دل عليه القرآن الكريم المعجز ، وهو أيضاً خلاف ما دلت عليه العقول الصحيحة ، والفطر السليمة »[٢] .

٢- القاديانية

« وأما من أدعى إلى أفكار أخرى كدعوة القاديانية وأشباههم ، ممن دعا إلى اتباع نبي جديد ، أو رسول جديد ، فدعواه باطلة وأفكاره مضللة زائفة ؛ لأن الله ﷻ بين في كتابه المبين أن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين . . ولكن هناك أشباه الأنعام ، تلتبس عليهم كل دعوى ، ويخفى عليهم كل شيء ولا يميزون بين حق وباطل ، ولا يفرقون بين هدى وضلال . . ولهذا ارتفع صوت هذا الرجل ، أعني مرزا غلام أحمد بدعواه الباطلة . . لقد ضل هؤلاء ضلالاً بعيداً ، كما ضل أصحاب فرعون بفرعون ، وأصحاب النمرود بالنمرود . فهذا المسكين الذي يتبول ويتغوط ، ويأكل ويشرب ، ويتألم من كل شيء ، كيف يكون رباً ، وكيف يكون إلهاً ، وكيف يجوز هذا عليه ،

---

(١) المرجع السابق ، ج١/ص١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج٤/ص٦٧ .

وعلى أتباعه ؟ ولكن الأمر كما قال الله سبحانه :{فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[١] .

٣ – الشيوعية والرأسمالية

« ما يعتقده الملاحدة في هذا العصر من أتباع ماركس ولينين وغيرهما من دعاة الإلحاد والكفر ، سواء سمُّوا ذلك : اشتراكية أو شيوعية أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء ، فإن من أصول هؤلاء الملاحدة أنه لا إله والحياة مادة ومن أصولهم إنكار المعاد وإنكار الجنة والنار ، والكفر بالأديان كلها . . ولا ريب أن هذه العقيدة مضادة لجميع الأديان السماوية ، ومفضية بأهلها إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة»[٢] .

« وهم جميعاً حجتهم داحضة وباطلهم واضح .. والأفكار الهدَّامة ، كلها على هذا السبيل ، إذا تأملها ذو العقل الصحيح ، والبصيرة النافذة ، والفطرة السليمة ، عرف بطلانها وعرف أدلة زيفها ، من الكتاب والسنة المطهرة ، ومن الكتب الصحيحة ، فإنه سبحانه خلق الشواهد ، وأقام الدلائل على الحق ، من كتابه وسنة نبيه ﷺ ، وبما أودع في العقول من فهم وإدراك ، وبما خلق في هذه الدنيا من مخلوقات ، وأوجد فيها من كائنات ، تشهد له بالحكمة ، وأنه الخلاق العليم ، الرزاق الكريم ، القادر على كل شيء ، والمستحق لأن يُعبد وحده لا شريك له »[٣] .

٣– مسائل مهمة في العقيدة

منهج ابن باز في العقيدة هو منهج أهل السنة والجماعة : بيان أصول العقيدة الصحيحة التي نزل بها كتاب الله العزيز ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره « فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة . .ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب ، وجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ»[٤] .

---

(١) سورة الحج ، آية (٤٦) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٢٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج٤/ص٧١ ــ ص٧٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج١/ص١٤ .

ولكن ابن باز – يرحمه الله – يقف عند مسائل عقائدية مهمة ليؤكد عليها ، تذكيراً أو تحذيراً ، وما سيأتي ليس حصراً لها ، ولكنه من باب التذكير بأهمها ، فمنها :

المسألة الأولى : تحقيق معنى العبودية لله

فهي الغاية التي من أجلها خُلِق الإنسان« فمن الإيمان بالله سبحانه ، الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرهم وعلانيتهم ، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم ، ولهذه العبادة خلق الله الثقلين وأمرهم بها »(١) ، قال تعالى :{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}(٢) .

ضرورة اتخاذ الطريقة الصحيحة لتحقيق معاني العبودية لله« وحقيقة هذه العبادة : هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبد العباد به .. على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه »(٣) . قال تعالى :{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}(٤)، وقال سبحانه يخوف من عصيانه :{وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}(٥)، وذلك « لأن العبد إذا استقام قلبه على الإخلاص لله ومحبته والإيمان به .. سارع إلى أوامر الله وتقبل توجيه ربه وتوجيه رسوله عليه الصلاة والسلم بكل انشراح وبكل رضى وبكل طمأنينة من دون قلق ولا ضعف ، بل يستقبل ذلك بقوة وارتياح وانبساط »(٦) .

هكذا تكون العبودية الحقة : ذلٌّ وخضوع ، خوف ورجاء ، ولا يتأتى ذلك إلاّ بالحب الكامل لله ﷻ . فمن يحب يطيع بلا تردد ، وترتاح نفسه وتستقيم حياته بهذا

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ،ج١/ص١٤.

(٢) سورة الذاريات ، آية (٥٦) .

(٣) المرجع السابق ، ج١/ص١٥.

(٤) سورة آل عمران ، الآيات (٣١ ـ ٣٢) .

(٥) سورة النساء ، آية (١٩) .

(٦) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٢٩ .

الحب ؛ فالحب دافع لفعل الخير . ومن يحب الله ، ينشأ يحب الخير لنفسه ولغيره ، ومن يحب الله يكره الشر وأهله . ومن يخاف الله ﷻ يطيعه ويخشى مخالفته ؛ والخوف والرهبة من الله ﷻ ، دافع للكف عن الشر .

ويؤكد ابن باز في هذا الصدد على حب الله ﷻ : رغبة فيه ورهبة منه سبحانه ، فيجمع بين الحب والخوف ، والرغبة والرهبة ؛ وذلك لأنهما أي عاطفة الحب وعاطفة الخوف من أكبر الدوافع والحوافز اللاتي يمكن استخدامهما في عمل الخيرات وتنفيذ المأمورات وترك الشرور والمنهيات .

ولكن يبقى التأكيد أيضاً على أمرَين هامَين :

الأول : ضرورة تكوين عاطفة مخافة الله بالدرجة التي تكون عليها عاطفة محبة الله ؛ وذلك ليخاف من عصيان أوامر الله تعالى ، لأن هذا الخوف يمسكه عن السقوط في الرذيلة التي تكون سبباً لوقوع نقمة الله وعذابه .

الثاني : اقتران حب الله ﷻ بالإجلال والتعظيم ، فيجمع المحب بين الترغيب والترهيب : أي أنه يحبه لإنعامه ورعايته ويعظمه لصفته الألوهية الخالقة القادرة على كل شيء ، ويخاف عذابه الشديد . ومصداق ذلك قوله تعالى :{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ}[1] . فهذا الاقتران يكون أكثر حملاً على الطاعة وأكثر ردعاً عن المعصية ؛ ولهذا قال تعالى عن سلوك الذين تكونت عندهم عاطفة الحب والرهبة :{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[2]»[3] .

وتجدر الإشارة في نهاية هذا الأمر ، إلى أن المسلم الذي يخاف دائماً من الله ﷻ إن خوفه هذا ينقلب عليه أمناً في داخله ؛ لأنه بخوفه هذا ابتعد عن كل ما يؤلم النفس ويكدرها ، ثم هو بخوفه من الله يرجوه تعالى أن يغفر له أخطائه ويعفو عن سيئاته ، وهو

---

(١) سورة الحجر ، آية (٤٩ ، ٥٠) .

(٢) سورة الأنبياء ، آية (٩٠) .

(٣) يالجن ، مقداد . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . ط١، لبنان / بيروت : مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، (١٤٠٦هـ) ، ص١٧٠ ـ ص١٧٧ .

أيضاً حينما يصدق في حبه لله ﷻ ؛ فإن حياته كله ستخضع لهذا الحب .

المسألة الثانية : معرفة الله بأسمائه وصفاته .

إن العلم الصحيح بأسماء الله وصفاته له فائدة تربوية عظيمة ، لذلك فقد اهتم ابن باز كثيراً ببيان هذه المسألة والتفصيل في جزئياتها ، فيقول « والله سبحانه أنزل الكتب وأرسل الرسل ليُعبد وحده لا شريك له ، وليبين حقه لعباده ، ويذكر للعباد ما هو موصوف به سبحانه من أسمائه الحسنى وصفاته العلا ، ليعرفوه جل وعلا بأسمائه وصفاته وعظيم إحسانه ، وكمال قدرته ، وإحاطة علمه جل وعلا »[1] . « وبذلك يعلم العباد ربهم وخالقهم فيعبدونه على بصيرة وينيبون إليه على علم ، وأنه يسمع دعاءهم ، ويجيب مضطرهم ، وأنه على كل شيء قدير سبحانه وتعالى »[2] .

حقاً فالإسلام قائم كله على العلم والمعرفة ، ومعرفة الإنسان لله ﷻ بأسمائه وصفاته سوف تقربه أكثر من الله وتعلقه به سبحانه ، فبعلمه مثلاً أنه الرَّزاق ؛ فيدعوه بهذا الاسم ليرزقه ، ولعلمه أنه الغفّار ؛ فيدعوه ليغفر ذنبه .. وتحقيق هذا القرب من أعظم الآثار التربوية المنشودة . بل وإن هذه المعرفة بحد ذاتها تُعظّم الرب جل وعلا في نفس المسلم وتجعله تبعاً لذلك متعلق به سبحانه ، لحاجته الدائمة إليه سبحانه ؛ فيعظمه لذلك ويجلّه ، ويحبه ويطيعه .

ومن أجل ذلك أكثر القرآن من عرض الصفات الإلهية ، فلا تكاد تخلو سورة أو آية إلاّ وتختم بما يناسبها من صفات الله العليا وأسمائه الحسنى . مما يزيد في إثارة العواطف الإيمانية ، وإيقاظ الحس المتبلد .

فمن آثار الإيمان التي ذكرها المودودي في مبادئ الإسلام أنه يربي الإنسان على قوة عظيمة من العزم والإقدام والصبر والثبات والتوكل ؛ لأنه يكون على يقين تام أن وراءه قوة ، تؤيده وتأخذ بيده . فيزداد رسوخه وثباته وصلابته ، فلا تكاد أي مصيبة من

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٢/ص٤٦ .

(٢) المرجع السابق ج٢/ص٥٩ .

مصائب الدنيا ولا قواها أن تثبطه أو تضعفه .

والإيمان يرفع قدر الإنسان وينشئ فيه الترفع والقناعة والاستغناء ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشره والحسد والدناءة وما إليها من الصفات القبيحة والعواطف السافلة الأخرى . ولا يكاد يخطر بباله أن يميل للحصول على نجاحه إلى طرق دنيئة غير مشروعة [(١)] .

المسألة الثالثة : منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات

« الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في كتابه العزيز ، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، بل يجب أن تُمرَّ كما جاءت بلا كيف ، مع الإيمان بما دلّت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف الله عز وجل ، يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته ، كما قال تعالى :{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[(٢)]، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان»[(٣)] .

- منهج أهل السنة والجماعة ، والتأكيد على صحة عقيدتهم ، وأن منهجهم هو المنهج الحق ؛ الذي يقتنع به العقل ويُسلّم له : منهج السلامة والثبات وعدم التناقض « قد أثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله محمدﷺ من الأسماء والصفات على وجه الكمال ، ونزهوه عن مشابهة خلقه ، تنزيهاً بريئاً من شائبة التعطيل ، فعملوا بالأدلة كلها و لم يحرِّفوا و لم يعطلوا ، وسلِموا من التناقض الذي وقع فيه غيرهم »[(٤)] .

« وهذه سنة الله سبحانه فيمن تمسك بالحق الذي بعث به رسله ، وبذل وسعه في ذلك وأخلص لله في طلبه ؛ أن يوفقه للحق ويُظهر حجته ، كما قال تعالى :{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}[(٥)] . وأما من خالفهم فقد وقع في « مخالفة الأدلة

---

(١) المودودي ، أبي الأعلى . مبادئ الإسلام . ط٦ ، دار العربية ، (١٣٩٣هـ) ، ص٩٥_ص٩٧ .

(٢) سورة الشورى ، آية (١١) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج١/ص١٧.

(٤) المرجع السابق ، ج١/ص٢٧ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية (١٨) .

النقلية والعقليــة مع التناقض الواضح في كــل ما يثبته وينفيه »[1] .

بل ونظراً لاختلال منهج المخالفين وتناقضه وتغيُره تبعاً لهوى معتنقيه فقد ضلَّــت كثيراً من الفرق في هذا الجانب « ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسمــاء والصفات : عقائد أهل البدع من الجهمية ، والمعتزلة . . والأشاعرة ومن سلك ســبيلهم في نفي صفات الله ﷻ ، وتعطيله سبحانه من صفات الكمــال ، ووصفــه ﷻ بصفــة المعدومات والجمادات والمستحيلات ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .. لذلك هــم في ضلالهم يتخبطون ، لا حجة لهم ولا بصيرة»[2] .

ومنهج أهل السنة والجماعة هو الصراط المستقيم الذي تطمئــن إليــه النفــس ، وتستقيم به الحياة وتتحقق به الأصالة المنهجية لهذه الحياة ، وتجتمع عليه الأمــة فتتحــدّ كلمتها وتقوى شوكتها « هذا هو سبيل النجاة والسعادة في الدنيــا والآخــرة ، وهــو الصراط المستقيم الذي سلكه سلف الأمة وأئمتها ، ولن يصلح أخرهم إلاّ ما صلح بــه أولهم وهو اتباع الكتاب والسنة ، وترك مــا خالفهما »[3] .

وفي عرض الشيخ –رحمه الله– منهج أهل السنة والجماعة تحقيق هدف تربوي طالما دعا إليه الدعاة والمربين ، وهو الترغيب في اتباع المنهج الصحيح ؛ منهج أهــل الســنة والجماعة ، وترهيب الناس من منهج المخالفين ، والتحذير منهم ، لاسيما وهــم فــرق مختلفة منتشرة بين الناس تدعي الحق وهو بعيد عنها .

المسألة الرابعة : الإيمان بالملائكة ، أعمالهم وصفاتهم وخصائصــهم

« وأما الإيمان بالملائكة فيتضمن : الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً ، فيؤمن المسلم بأن الله ملائكة خلقهم لطاعته ، ووصفهم بأنهم :{بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُون . لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُــمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ولا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّــنْ

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص١٨.

(٢) المرجع السابق ج١/ص٢٧ .

(٣) المرجع السابق ج١/ص٢٧ .

خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}[١] . وهم أصناف كثيرة منهم الموكلون بحمل العرش ، ومنهم خزنة الجنة والنار ، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد ، ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى الله ورسوله منهم ، كجبريل وميكائيل ومالك خازن النار ، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور ، وقد جاء ذكرهم في أحاديث صحيحة » .

فالهدف من خلق الملائكة هو طاعة الله جل وعلا ، وكذلك يراه ابن باز « أن الله ملائكة خلقهم لطاعته » لأن الإيمان بوجود عالم الملائكة العجيب ؛ يغرس في النفس استعظام الخالق جل وعلا ، فخلقٌ صفتهم كالملائكة ؛ لجدير خالقهم أن يُعبد وحده دون غيره .

وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية كثيراً من معالم هذا العالم العجيب ، فأصل خلقتهم من نور ، وهم عباد مكرمون بالقرب منه ، قال تعالى :{الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشَاءُ}[٢]،{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}[٣]، {عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ}[٤]،{وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ}[٥] .

إن معرفة الإنسان بصفات الملائكة وما هم مكلفون به من طاعة الله دون كلل أو تعب ؛ تُربي في نفس العارف الاجتهاد في العبادة ، والارتقاء في الطاعة ، والمداومة على فعل الخيرات دون انقطاع . وتخلق فيه جو من المنافسة الفاعلة مع الملائكة –وإن كان الفارق بينه وبينهم كبير– يرتقي بها في حياته ، وتعلو همته في طاعة ربه ﷻ

الإيمان بالملائكة يغرس في نفس المؤمن محبتهم ، فيحبهم كما يحبونه ، فهم أولاً موكلون بحفظ الإنسان في أموره كلها لا يصيبه إلاّ ما كتبه الله عليه ، قال تعالى :{لَهُ

(١) سورة الأنبياء ، آية (٢٦–٨) .

(٢) سورة فاطر ، آية (١) .

(٣) سورة الأنبياء ، آية (٢٠) .

(٤) سورة التحريم ، آية (٦) .

(٥) سورة الزمر ، آية (٧٥) .

مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ}[١]، وهم ثانياً يستغفرون لمن في الأرض ويدعون للمؤمنين بالتوفيق والصلاح والبعد عن السيئات ، قال تعالى :{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[٢]، وقال أيضاً :{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[٣] . والصلاة من الملائكة بمعنى الدعاء والاستغفار[٤] .

إن الإيمان بوجود الملائكة وتكليف الله تعالى لهم بحفظ أعمال العباد وتسجيل حسناهم وسيئاهم وإحصائها عليهم كما قال تعالى :{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ}[٥]، هذا الأمر يجعل الإنسان أكثر حيطة وخوفاً من الله جل وعلا ، فيجاهد نفسه ويسعى لعمل الصالحات ، وترقباً ليوم الحساب ، يوم يقولون :{يَا وَيْلَتَنَا ما لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حَاضِرًا ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[٦] .

إن من نعم الله على هذا الإنسان المخلوق الضعيف وعنايته به أن سخر لحفظه الملائكة تحيط به ، وتحفظه وتستغفر له ، وهذا يزيد من عزة الإنسان وكرامته ومعرفة مترلته عند الله [٧] ، أن تكفل الله عز وجل بحفظه دون سائر الخلق .

---

(١) سورة الرعد ، آية (١١) .

(٢) سورة غافر ، الآيات (٧ – ٩) .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٤٣) .

(٤) ابن كثير ، مرجع سابق ، ج٣/ص٥٤٥ .

(٥) سورة الانفطار ، الآيات (١٠ – ١٢) .

(٦) سورة الكهف ، آية (٤٩) .

(٧) النحلاوي ، عبد الرحمن . أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع . ط١ ، سوريا / دمشق : دار الفكر ، (١٣٩٩هـ) ، ص٨٢ .

بالإضافة إلى أن المولى الكريم قد جعل للملائكة الدور الكبير في تنظيم حياة الإنسان وتنظيم الكون من حوله ، وهذه من أكبر النعم وأجلّها على بني البشر ، وهذا الأمر يربي في الإنسان ضرورة شكر المنعم سبحانه وحمده على ما أنعم وأكرم .

كما أن الإيمان بالملائكة يربي الإنسان على السمو بالنفس والترفع عن الشهوات . فيهتم بمعالي الأمور ، ولا يجعل غاية حياته الطعام والشراب والتعلق بالملذات المختلفة ، بل يتره عنها . ويهتم بما ينفعه في صلاح نفسه ومجتمعه .

المسألة الخامسة : الإيمان بالكتب السماوية :

« وهكذا الإيمان بالكتب يجب الإيمان إجمالاً بأن الله سبحانه أنزل كتباً على أنبيائه ورسله ، لبيان حقه والدعوة إليه ، كما قال تعالى :{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}[1] . ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، والقرآن هو أفضلها وخاتمها ، وهو المهيمن والمصدق لها ، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الله سبحانه بعث رسوله محمداً ﷺ رسُولاً إلى جميع الثقلين ، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم ، وجعله شفاء لما في الصدور ، وتبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين ، كما قال تعالى : { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[2]، وقال سبحانه :{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}[3] .

يرى ابن باز إن الإيمان بالكتب لا بد أن يوصل المعتقد إلى ضرورة الإيمان بالقرآن الكريم ؛ لأنه آخرها نزولاً ، وهو أفضلها اشتمل على كل ما يحتاجه الإنسان وفوق ذلك ، فالواجب تحكيمه في جميع شؤون الحياة واتباعه منهجاً للحياة السعيدة هو وما صح من السنة النبوية الشريفة .

---

(١) سورة الحديد ، آية (٢٥) .

(٢) سورة الأنعام ، آية (١٥٥) .

(٣) سورة النحل ، آية (٨٩) .

وقد حث القرآن الكريم بما فيه من آيات بينات على النظر في الكون والتأمل في أسرار الخلق وفتح للعقل مجالات البحث والمعرفة والاستزادة من خيرات الأرض في كل ما ينفع البشرية

هذا وسيأتي البيان لهذا المبدأ في الفصول التالية فيما بعد .

المسألة السادسة : الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام .

« وهكذا الرسل يجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلاً منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق ، فمن أجابهم فاز بالسعادة ، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة ، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ، كما قال سبحانه :{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}(١) .

ومن سمى الله منهم أو ثبت عن رسول الله ﷺ تسميته آمنا به على سبيل التفصيل والتعيين ، كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم ﷺ عليهم وعلى آله وأتباعهم »(٢) .

والرسل أكرم عباد الله له ؛ كرَّمهم الله بمقام العبودية له وفضَّلهم على خلقه « لأنهم أكملهم معرفة وعلماً بالله ، وتعظيماً له من غيرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم »(٣) .

« ثم زادهم الله فضلاً من عنده سبحانه بالرسالة التي أرسلهم بها ، فاجتمع لهم فضلان : فضل الرسالة ، وفضل العبودية الخاصة »(٤) .

فهم خير قدوة لكل إنسان ينشد الصلاح ويرغب في تحقيق السعادة له ولمجتمعه : عقيدتهم ، سلوكهم ، أخلاقهم ، دعوتهم أقوامهم وخوفهم عليهم ؛ أن يعذبهم الله ﷻ نتيجة عصيانهم وكفرهم ، صبرهم عند المحن والشدائد . وفي قصصهم مع أقوامهم تذكرة وعبرة ، بل هي من أبلغ القَصص الواقعي في مجال التربية والتعليم ، ومن أصدق ما يُحكى على الناشئة فتؤثر فيهم دروس وعبر .

---

(١) سورة النحل ، آية (٣٦) .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات ، مرجع سابق ، ج١/ص٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ج١/ص٢١ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢/ص٦١ .

ثم إن الرسل عليهم السلام وإن تعددوا واختلفت أزمانهم وتباعدت ، إلاّ أنهم أصحاب رسالة واحدة وهي توحيد الله ﷻ ، جاءوا بدعوة "لا إله إلاّ الله" وإن اختلفت شرائعهم ، فدعوتهم التوحيد مجتمعين عليها ، واجتماعهم بهذا المبدأ الأصيل يجمع المسلمين تحت دعوتهم فلا يتفرقون أو يخرجون عن مظلتها ، قد جمعهم دين واحد وشريعة واحدة .

المسألة السابعة : الإيمان باليوم الآخر .

هذه المسألة هي الأصل الخامس من أصول الإسلام ، واليوم الآخر هو : يوم الثواب والعقاب ، والعدالة والإنصاف من رب العباد ، يوم الأهوال والفتن .

« وأما الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ونشر الصحف بين الناس ، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره . ويدخل في ذلك أيضاً الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ ، والإيمان بالجنة والنار ، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم ، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بيّنه الله ورسوله ﷺ »[1] .

إن الإيمان بمبدأ الحساب والجزاء ونشر الصحف كفيل بتربية النفس الإنسانية على الفضائل وتزكيتها من كل الرذائل ، واستمرار لها على أعمال الخير والإكثار منها ؛ استعداداً ليوم الأهوال والشدائد ، فباعتبار الحياة الدنيا دار العمل ، والآخرة دار الجزاء ، والجزاء من جنس العمل . هذا الأمر يُشعر المؤمن عند الإيمان به بتحمل المسؤولية تجاه نفسه ، وتجاه الآخرين ، ويشعره بالأمانة التي تكفل حملها وضرورة أدائها على أكمل وجه ، والمنافسة والاجتهاد في ذلك ، بل والصبر وتحمُّل المشاق ؛ رغبة في الجنة والتدرج في نعيمها ، وخوفاً من النار ودركاتها – والعياذ بالله .

لذلك كان هذا المبدأ الإيماني أكبر دافعاً لملكات الإنسان الخيّرة ، وضابطاً لغرائزه

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١٦ .

وشهواته ، ورادعاً لعوامل الشر فيه ، وموقظاً للضمير ؛ فيحكمه . عند ذلك لا يحتاج معه في قلب المؤمن إلى قوانين الأرض مجتمعة .

ثم إن هذه الحقيقة : الإيمان باليوم الآخر ، هذه الحقيقة في حد ذاتها تُطمئن الإنسان وتجعله يشعر بالإنصاف والعدالة المطلقة الربانية ؛ فمن ظُلم في الدنيا ولم يُجاز ، لا ريب أنه سيعاقب في الآخرة . فتطمئن النفس وتتصبَّر « فإن الخالق العظيم الحكيم العليم حدد للإنصاف موعداً ، ذلك الموعد هو يوم القيامة ، ينصف فيه المظلوم الذي لم يعط حقه في الدنيا كاملاً من الظالم ، فينتقم منه ويعاقبه بما يستحق .. وإننا نجد مؤمنين .. لم ينالوا ما ناله غيرهم من أولئك الذين تعدوا حدود الله وظلموا عباد الله ، وهم مع هذا لديهم الأموال العظيمة ، والقصور الشاهقة ، والخدم والمتاع .. فلا بد من موعد ولا بد من لقاء مع ربهم ، يعطون فيه من المنازل العالية ، والأجر العظيم ، ويتكرم عليهم سبحانه بأنواع الفضل ، جزاء صبرهم وأعمالهم الصالحة »[1] .

كما أن إيمان الإنسان بعذاب القبر ، وتوقعه له ، واستشعاره النفسي لذلك ؛ يجعله دائم الخوف منه ومن عذابه وظلمته ، يقول الرسول ﷺ « أكثروا من ذكر هادم اللّذات : الموت »[2] . وهذا الخوف كفيل بأن يجعل له من نفسه واعظاً ، يحثه على الاستعداد لهذا اليوم وما بعده ويصرفه عن الانشغال بالدنيا وملذاتها الزائفة .

إن عرض نعيم الجنة والحوض المورود وكل ما فيها يبعث في السامع الجد والاجتهاد ، ويجعله دائم التعلق بها والسعي للحصول عليها والتمتع بها ، وهذا مبدأ مهم ؛ إذ يجعل الإنسان دائم الصلة بالله عز وجل .

ويؤكد ابن باز على أن يكون الإيمان باليوم الآخر كما وصف في الكتاب والسنة ، حتى لا يدع مجال لأي من الفرق المنحرفة أن تشوش على المسلم إيمانه وعقيدته ، بل تجتمع الأمة الإسلامية بأكملها على مبادئ الإيمان بالله ﷻ الصحيحة .

---

(١) المرجع السابق ج٤/ ص٧٢ ــ ص٧٣ .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ، حديث رقم (٢٤٦٠) ، ج٤/ص٦٣٩ .

المسألة الثامنة : الإيمان بالقدر

وهو من أصول الإيمان الستة وله أربع مراتب « من آمن بها وأحصاها فقد آمن بالقدر خيره وشره »[١] ، وفيما يلي إجمالها[٢] :

« أولها : أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون ، وعلم أحوال عباده ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم لا يخفى عليه من ذلك شيء سبحانه وتعالى ، كما قال سبحانه :{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٣] .

والأمر الثاني : كتابته سبحانه لكل ما قدره وقضاه ، كما قال سبحانه :{قَدْ عَلِمْنَا ما تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ}[٤] .

الأمر الثالث : الإيمان بمشيئته النافذة فما شاء كان وما شاء لم يكن ، كما قال سبحانه :{إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشَاءُ}[٥] .

الأمر الرابع : خلقه سبحانه لجميع الموجودات لا خالق غيره ولا ربّ سواه ، كما قال سبحانه :{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[٦] » .

فإذا عُلمت هذه الأمور الأربعة التي سار عليها السلف رضوان الله عليهم ، فثمة أمور أُخرى تنافيها ، وتنافي كمال التوحيد ، وكمال الإيمان بالقدر ، منها :

١- سب الدهر ، وكثيراً ما يقع بدون علم ، كمن يقول : قسوة الدهر ، قال رسول ﷺ : (قال الله ﷻ : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلّب الليل والنهار)[٧]، « وقد كان العرب في الجاهلية ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره ، فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر ، فإذا أضافوا إلى الدهر ما

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٦/ص٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ج١/ص٢١ ــ ص٢٢ .

(٣) سورة الأنفال ، آية (٧٥) .

(٤) سورة ق ، آية (٤) .

(٥) سورة الحج ، آية (١٨) .

(٦) سورة هود ، آية (١٢) .

(٧) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٢٤٦) ، ص٩٨٨ .

نالهم من الشدائد ، سبُّوا فاعلها فكان مرجع سبَّها إلى الله ﷻ ، إذ هو الفاعل في الحقيقة »[1] .

٢- إضافة الفعل إلى غير الله ، وهو كمن يقول : إننا أعمار يلهو بها الدهر .. القدر يلهو أحياناً بدموعنا وضحكاتنا .. شاءت الأقدار .. تشاء الصدف .. ومثل هذا الكلام لا يجوز والصواب أن يقال : ويشاء الله ؛ لأن الصدف لا مشيئة لها »[2] .

« وكل ما في الوجود مخلوق لله ، خلقه بمشيئته وقدرته ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو الذي يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويعز ويذل ، ويغني ويفقر ، ويضل ويهدي ، ويسعد ويشقى ، ويولّي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، وقد أحسن كل شيء خلقه » [3] .

« فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين ، وحسن الظن به سبحانه وبحمده والرجوع إليه بالتوبة والإنابة ، قال تعالى :{وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[4] » [5] .

وينبه الشيخ ابن باز هنا في موضوع المشيئة إلى الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية ، فـ« الإرادة الكونية التي لا يتخلف مرادها وهي المذكورة في مثل قوله سبحانه :{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[6]، والإرادة الشرعية التي قد يتخلف مرادها بالنسبة إلى بعض الناس وهي المذكورة في قوله سبحانه :{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ}[7] . ومعلوم أن بعض الناس مات على جهله ومات على غير توبة .

ومزيداً من الأمثال ليتضح الفرق أكثر : قال تعالى :{يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج١/ص١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ج٤/ص١٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ج١/ص١٤٦ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية (٣٥) .

(٥) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص١٤٧ .

(٦) سورة يس ، آية (٨٢) .

(٧) سورة النساء ، آية (٢٦) .

عَنْكُمْ}[١]، الآية ، « هذه إرادة شرعية ؛ لأنه سبحانه قد خفف على قوم و لم يخفف على آخرين ، فمعنى ذلك أنه أمر بهذا ورضي به وأحبه ، ولكن من الناس من وفق لهذا الشيء ومنهم من لم يوفق له »[٢] .

« ومما يزيد المقام بياناً أن الإرادتين تجتمعان في حق المؤمن ، فهو إنما آمن بمشيئة الله وإرادته الكونية ، وهو في نفس الوقت قد وافق بإيمانه وعمله الإرادة الكونية في حق الكافر والعاصي ، فهو إنما كفر وعصى بمشيئة الله وإرادته الكونية ، وقد تخلفت عنه الإرادة الشرعية لكونه لم يأت بمرادها وهو الإسلام والطاعة »[٣] .

فالله ﷻ بإرادته المطلقة بيده أن يهدي الإنسان أو يضله وقد منح الإنسان حرية الاختيار بين الهداية أو الضلال وبين الخير والشر .

ولا يلزم من إرادة الاختيار عجزه سبحانه وتعالى عن تنفيذ مراده إن هذا يعتبر تنفيذاً لمراده لأنه هكذا أراد فكان ما أراد . ولا يلزم أيضا أنه بذلك أراد الشر ، إنه ترك حرية للإنسان أن يفعل الخير أو الشر مع خلق القدرة لهذا وذاك وإذا كان هذا يعتبر إرادة الشر من جهة فإن إرادة الشر هنا ليست من الله ؛ لأن الله يريد الخير ويريد من الإنسان اتباع الخير ، بل الشر يأتي من الإنسان إلى الإنسان قال تعالى :{إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[٤] . فإن الله قد خلق العالم بما يناسب الإنسان وخلق فيه كل ما يحتاج إليه بحكم خلقته وطبيعته [٥] .

ولا يلزم من علمه تعالى أن الإنسان سيرتكب الشر ، إنه بذلك أراد الشر ، بل إن علمه هذا لا يعد إرادة إذ أن الإنسان قد يعلم ما سينال الآخر من شر نتيجة ارتكابه الخطأ ، ولا يرجع إليه شيء من إنه علم ما سيكون مصير المخطئ لخطئه ، وكذلك الأمر

---

(١) سورة النساء ، آية (٢٨) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٤٧٩ .

(٤) سورة يونس ، آية (٤٤) .

(٥) يالجن ، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار عالم الكتب ، (١٤١٧هـ) ، ص٣٢٣ ـ ص٣٢٤ .

بالنسبة إلى الله بناء على علمه بالحق والخطأ ؛ أرشد الإنسان إلى الحق ونهى عن الخطـأ ، ولا يكون بذلك مريد للظلم ، قال تعالى :{تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ}(١) .

ولأهمية هذا الأمر في حياة المسلم ، وخوفاً عليه من الانحراف فيه واتباع الشبهات المضلة ؛ يقول -رحمه الله- « وهذا بحث عظيم ينبغي تفهمه وتعقله والتبصر في أدلته ، ليسلم المؤمن من إشكاليات كثيرة وشبهات مضلّة ، حار فيها الكثير من الناس لعدم تحقيقهم للفرق بين الإراديتين »(٢) .

٣- اتهام الحكمة الإلهية بالنقص ، ويدخل تحت هذا الأمر : كل من يشك في حكمة الله ﷻ فيتساءل عنها مستنكراً لها في أي أمر يصيبه أو يصيب غيره « إن كل ما يجري في هذه الحياة هو بتقدير الله وعلمه . . حسب ما تقتضيه حكمته وقد تخفى تلك الحكمة على الناس ؛ لأن علمهم محدود ، وعقولهم قاصرة عن إدراك تلك الحكمة الإلهية »(٣) .

إذن التسليم للحكمة الإلهية هو أسلم الأمور بالنسبة للعبد، إرضاءً لله ﷻ شرعاً ، وإرضاءً لذاته نفسياً ، ولا بد أن يظهر هذا التسليم بمظهر الشكر والحمد لله ﷻ فـ« كل أفعال الخالق وأوامره ونواهيه ، لها حكمة بالغة وغايات محدودة ، يُشكر عليها سبحانه ، وإن لم يعرفها البشر لقصور إدراكهم »(٤) .

ثم إن هذا التسليم يمنع اليأس والحسرة حين الفشل ، أو وقوع المصائب أن تغزو قلب المؤمن ؛ لأنه يعلم أن قدر الله ﷻ وإرادته فوق كل إرادة ، وأنه ما كان ليحوز شيئاً من الدنيا إلاّ وقد قدّره الله له ويسره سبحانه . ولذلك قال تعالى :{ما أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ ولا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

(١) سورة آل عمران ، آية (١٠٨) .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، مرجع سابق ، ج٢/ص٤٧٩ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص١٤٦ .

(٤) المرجع السابق ، ج١/ص١٤٦ .

يَسيرٌ}(١)، وفي هذا إيناس للقلوب واطمئنان لها فلا تحزن على ما فاتها وتيأس ، ولا تفـرح بحيث تنسى شكر الله ﷻ وتغتر بالنعم « وجميع الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب تدعو إلى إيمان العبد بأنه لن يصيبه إلاّ ما كتب الله له ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، كما تدعوه إلى أن يسارع في الخيرات وينافس في الطاعـــات ، ويحرص على أسباب الخير ويبتعد عن أسباب الشر ، ويسأل ربه التوفيق والإعانة علـــى كل ما فيه رضا الله سبحانه والسلامة من كل سوء »(٢) .

بل إن الإيمان بقضاء الله وقدره يرفع همة النفس المؤمنة ويدفعها إلى العمل والكسب فلا تقف عند المحاولة الأولى وتيأس ، بل تسعى جهدها وطاقتها لتحقيق آمالهـا وآمـال مجتمعها ، فالمقادير بيد ربها وهو القائل :{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّـــهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}(٣)، فتزداد تعلقاً بخالقها محبةً له ، واستعانةً بـــه .

ولأن النفس المؤمنة تعلم أن سعادتها وشقاءها بيد الله ﷻ ؛ فهذا يجعلـــها دائمـاً ملتجئة إليه تدعوه التوفيق والإعانة . وهذا كما يقول ابن باز ضروري ومن الأسباب قال تعالى :{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}(٤)، وقال ﷺ : (احرص على ما ينفعك واستعن بـــالله ولا تعجز)(٥) . فشرع لعباده العبادة له والاستعانة به ، وكلتاهما من أسباب السـعادة في الدنيا والآخرة . . ويسأل ربه التوفيق والإعانة على كل ما فيه رضا الله سبحانه والسلامة من كل سوء»(٦) .

كيف لا تدعوه وهي تعلم أن الأقدار تُرد بالأقدار « وقد ثبت عنه ما يدل علـى أن الحوادث معلقة بأسبابها ، كما في قوله ﷺ : (إن العبد ليحرم الرزق بـــالذنب يصيبـــه

---

(١) سورة الحديد ، آية (٢٢) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٦/ص٢٠٥ .

(٣) سورة العنكبوت ، آية (٦٩) .

(٤) سورة الفاتحة ، آية (٥) .

(٥) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٦٤) ، ص١١٣٠ .

(٦) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٦/ص٢٠٥ .

ولا يرد القدر إلاّ الدعاء ولا يزيد في العمر إلاّ البر)[١]، ومـــراده ﷺ أن القـــدر المعلـــق بالدعاء يرده الدعاء .

فالأقدار تردها الأقدار التي جعلها الله سبحانه مانعة لها ، والأقدار المعلقـــة علـــى وجود أشياء كالبر والصلة والصدقة توجد عند وجودها ، وكل ذلك داخـــل في القـــدر العام المذكور في قوله سبحانه :{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[٢] .

٤ - الجبر على الإنسان وسلب إرادته ، فيقولون : ليس للإنسان فعل ولا مشيئة .

ويدخل ضمنه من يتساءل : هل الإنسان مخير أم مسيَّر؟ ولبحث هذه الكـــلام وتفنيـــده يقول ابن باز : « العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وله قدرة قد أعطاه الله إياها »[٣] ، و « هـــو مخير ومسيَّر ، مخير من جانب ؛ لأن الله أعطاه عقلاً وأعطاه بصراً وأعطاه أدلـــة وأدوات ومكَّنه من الإيمان والعمل ، فهو قادر وله إرادة وله مشيئة يقدر أن يتباعد عن المعصيـــة ويقدر أن يطيع وأن يعصي . . وهو مسير من جهة أخرى وهي أنه ليس له مشـــيئة إلاّ بعد مشيئة الله ولا اختيار إلاّ بعد اختيار الله ولا يستقل بالأشـــياء ، فلـــه إرادة خاصـــة ومشيئة خاصة بعد مشيئة الله وإرادته »[٤] .

تمكنه هذه المشيئة الخاصة أو المقيَّدة بعد مشيئة الله أن يفعل باختياره كل ما يريـــد دون قهر أو جبر ، مادام له عقلاً صحيحاً ، وقدرة في جسمه . لذلك فإن بعض النـــاس يخطئون خطأً فاحشاً عندما يحتجون بالقضاء والقدر على فعلـــهم المعـــاصي وتركـــهم للواجبات ، ويقولون هذا مقدَّر علينا ! ولا يتوبون من ذنوبهم ؛ كما قال المشـــركون ، يقول الله ﷻ :{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِـــن شَيْءٍ}[٥] ، هذا فهم سيئ للقضاء والقدر ؛ لأنه لا يُحتج بهما علـــى فعـــل المعـــاصي والمصائب ، وإنما يُحتج بهما على نزول المصائب ؛ فالاحتجاج بهما على فعل المعـــاصي :

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٢٥٠١) ، ج٥/ص٣٣٥ .

(٢) سورة القمر ، آية (٤٩) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٦/ص٦٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج٣/ص٣٦ .

(٥) سورة الأنعام ، آية (١٤٨) .

قبيح ؛ لأنه ترك للتوبة وترك للعمل الصالح المأمور بهما [١] .

وأما كتابة الأقدار وعلم الله ﷻ بها ، فلا تدل على حتمية السلوك المعين للفرد ؛ لأن التقدير بناء على العلم ، لا بناء على الجبر ، فإن الإنسان البصير قد يرى أعمى يسير نحو هاوية فيستطيع أن يعرف مصير هذا الأعمى ، ولو أنه كتب هذا المصير وقضى بأنه سيقع ووقع ما كتب فلا يكون بذلك قد أجبره على الوقوع ، فحكمه مبني على معرفة الأسباب وما تؤدي إليه ، وليس مبنياً على الجبر والقهر . فسلوك الإنسان مبني على اختياره ، وهو بالنسبة إلى الله حتمي وقضاء وقدر [٢] .

قال الله ﷻ :{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[٣]

« فالإنسان سائر ومسَّير وميسَر لما خلق له ، هو سائر بما أعطاه الله من العقل والاختيار والمشيئة ، ومسَّير بما سبق في علم الله من القدر السابق ، وميسَر لما خلق له من خير وشر ، فهو لا يمكن أن يخالف ما قدر الله له ولا أن يحيد عنه ، وهو مع ذلك ميسر لما خلق له »[٤] .

فللإنسان إذن ؛ إرادة وحرية في اختيار مواقفه وسلوكه ، وليس مجبور قهراً ، بل له إرادة ومشيئة خاصة ، وإلاّ كيف حمَّله الله ﷻ الأمانة وجعله خليفة له في الأرض وهو ليس أهل لذلك ! قال تعالى :{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}[٥]، وبهذه الأمانة

---

(١) الفوزان ، صالح بن فوزان بن عبد الله . الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد . ط٣ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار العاصمة ، (١٤١٩هـ) ، ص٣٤٦ .

(٢) يالجن ، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار عالم الكتب ، (١٤١٧هـ) ، ص٣١٧ ـ ص٣١٨ .

(٣) سورة يونس ، آية (٢٢) .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . مرجع سابق ، ج٣/ص٣٦ .

(٥) سورة الأحزاب ، آية (٧٢) .

شرَّفه الله ﷻ على جميع خلقه في السماوات والأرض قال تعالى :{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}(١)، فبما يكون التكريم والتفضيل ، إن لم يكن بالإرادة والاختيار والحرية .

وهذه الحقيقة كما قررها الإسلام من قبل ، لها شأن كبير في المجال التربوي ؛ لأنها تجعل الإنسان مسؤول عن عمله وسلوكه أمام الله ﷻ وأمام الناس ، وأيضاً أمام نفسه ؛ فيحرص دائماً على فعل الخير والتزود منه ، قال تعالى :{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}(٢) .

وأما مبدأ الإيمان باشتراك إرادة الله مع إرادة الإنسان في تنفيذ الإرادة الخيِّرة وتدخُّل إرادة الله لتعسير تنفيذ إرادة الإنسان الشريرة : أمر مهم ؛ لأن شعور الإنسان بأن هناك إرادة عليا قوية مقدَّسة تعاونه في سيطرته على أهوائه ثم تنفيذ مراداته الخيِّرة يخلق في نفسه الإرادة القوية الحرة في تنفيذ مراداته الخيِّرة ، كما يخلق ذلك الإيمان الشعور بضعف الإرادة إزاء تنفيذ الرغبات الشريِّرة (٣) .

ثم إن الإيمان بحتمية القضاء والقدر يقوي القلوب على الإقدام والشجاعة في سبيل الله ؛ ولذلك نجد المجاهدين في سبيل الله لا يهابون الموت أو القتل ، قال تعالى :{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون}(٤) ، فالموت قدر حتمي لا محالة . بل هم يسعون للشهادة أو النصر ، ويطلبونه من الله وحده ؛ لعلمهم أن النصر بيده سبحانه وتعالى ، يقدِّره لمن شاء من عباده .

المسألة التاسعة : زيادة الإيمان ونقصانه

وهذا الأمر من أهم الأمور في العقيدة الإسلامية ، ويعتبر من أنشط مبادئها ، وفيه اختلفت الآراء وافترقت أيضاً .

« ويدخل في الإيمان بالله اعتقاد أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص

---

(١) سورة الإسراء ، آية (٧٠) .

(٢) سورة المدثر ، آية (٣٨) .

(٣) يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق ، ص٣٢٩ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية (٣٥) .

بالمعصية . وأنه لا يجوز تكفير أحد من المسلمين بشيء من المعاصي التي دون الشرك والكفر كالزنا ، والسرقة ، وأكل الربا ، وشرب المسكرات ، وعقوق الوالدين ، وغير ذلك من الكبائر ما لم يستحل ذلك ، لقول الله سبحانه :{إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} (١)» (٢) .

الإيمان درجات ، وكلما استزاد المسلم من الطاعات وصل إلى كمال الإيمان ، والعكس كلما باشر المعاصيَ وأكثر منها ؛ نقص الإيمان في قلبه وظهرت آثار ذلك وعواقبه السيئة على نفسه ومجتمعه ومن حوله بل حتى على الأرض التي يعيش عليها قال تعالى { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }(٣) .

فمن آثار المعاصي على حياة الإنسان ومن حوله :

١- أنها تضعف القلب وتضعف فيه تعظيم الرب جل وعلا ووقاره وهيبته وكبرياءه ولابد ، شاء أم أبى ؛ لأن تجرؤ العبد على المعاصي يدل على عدم اكتراثه بخالقه وباريه .

٢- أنها تذهب حياء القلب وغيرته ، حتى لا يبالي بأخبار الناس عن سوء فعله ، بل حتى لا يغار على محارم الله ؛ فتجعله في درجة الحيوان بل أخس .

٣- أنها تنكس القلب وتزيغه وتفرقه فلا يطمئن إلا بها ، قال تعالى : { خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيم }(٤) .

٤- حرمان نور العلم ، فالعلم الشرعي نور يقذفه الله تعالى في القلب ، وبالتقوى والطاعة والعمل بالعلم وتعلمه لوجه الله وتعليمه الجاهل وبها يزداد ، وبالمعصية واتباع الشهوات يقل .

٥- أنها تورث الوحشة في قلب العاصي وضيق صدره ، فيستوحش من الله ، ومن الناس ولا سيما أهل الصلاح منهم . بل لعله في بعض أحواله يستوحش من نفسه ويضيق

---

(١) سورة النساء ، آية (٤٨) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ج١/ص٢٣ .

(٣) سورة الروم ، آية (٤١) .

(٤) سورة البقرة ، آية (٧) .

بها ذرعاً ، ويحاول الانتحار .

٦- أنها تزيل النعم بمختلف أنواعها وتحل النقم والمحن مكانها ولقد بين الله ذلك فقال : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }[١] ، فالله تعالى لا يسلب نعمة أنعمها على أمة حتى يحدثوا تغيير ما هم عليه من الخير والهداية إلى الشرِّ والضلالة [٢] .

هذا المبدأ في حقيقته من أكبر الدوافع التي تنمي الإنسان وتحركه لفعل كل حسن ، وتنشطه للاستزادة من كل خير ، فيصبح إنساناً فاعلاً نشيطاً ، يسعى في الأرض متوكلاً على الله لا متواكلاً يخدم نفسه ومجتمعه .

هذا ومما يساعد على تحقيق هذا المبدأ الإيماني : النظر في آيات الله الكونية وعظيم قدرته في خلق الإنسان وغيره من الكائنات ، قال تعالى :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[٣] .

المسألة العاشرة : قوادح العقيدة

كثيراً ما كان يحذر الشيخ من الوقوع فيما ينافي العقيدة الإسلامية ، مبطلاً كان أو منقصاً لها ، فيوصي كل مسلم بقراءة : « باب حكم المرتد . . وهو باب جدير بالعناية ، ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع الردة ، والتبس الأمر في ذلك على كثير من الناس »[٤] . فلم يخف على الشيخ -رحمه الله- ما للشرك من تأثير مفسدٍ على حياة الإنسان ، بالإضافة إلى إبطال صحة ما يعتقده وإفساد قيمته التربوية ؛ فالدين ناقص أو باطل ، والقلب ميت أو شبه ذلك ، والعقل مشلول أو مقيد ، والفكر مغلول إلى حد بعيد ، لا يتحرك إلاّ في نطاق محدود ؛ نطاق الشرك وما يمليه عليه أمره ، فإن كان شرك بالله في العبادة ؛ استمات المشرك في عبادة غير الله . وإن كان مشرك بالبدع كان همه كيفية نشرها وتعلق الناس بها . وهكذا لن يخرج المشرك ويتحرر عن نطاق شركه -

---

(١) سورة الرعد ، آية (١١) .

(٢) المصلح ، حامد بن محمد . المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع . ط١، المملكة العربية السعودية / جدة : مكتبة الضياء ، (١٤١٠هـ) ، ص١٠٦ ـ ص١٤١ .

(٣) سورة الأنفال ، آية (٢) .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٤٤ .

والعياذ بالله .

والقوادح قسمان ، قسم ينقض العقيدة ويبطلها ، وقسم ينقصها ويضعفها . وقد تتغير هذه الصور وتجدد بتغير الزمان والمكان .

القسم الأول – النواقض :

ما هي النواقض ؟ هي « كل عمل أو قول دلّت الأدلة على أنه كفر بالله . . أو اعتقاد حل ما حرم الله ، أو تحريم إما أحله الله ، أو تكذيب بعض رسله ، فهذه الأشياء تحبط الأعمال ، وتوجب الردة عن الإسلام ، قال تعالى :{إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}(١)»(٢) .

« وهذا القسم يبطل العقيدة ويفسدها ، ويكون صاحبه كافراً مرتداً عن الإسلام ، وهي الموجبة للردة ، هذه تسمى نواقض »(٣) .

تكثر نواقض العقيدة الإسلامية وتتعدد لأنها تقع بسبب أربعة أمور : العمل ، والقول ، والاعتقاد ، والشك «فقد يرتدُّ الإنسان بقول يقوله أو بعمل يعمله ، أو باعتقاد يعتقده ، أو بشك يطرأ عليه ، هذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها »(٤) .

وفيما يلي عرضاً لأمثلة هذه النواقض كما ذكرها ابن باز :

– « اللعن والسبُّ لله ولرسوله ، أو العيب والتنقُّص ، مثل أن يقول : إن الله ظالم ، إن الله بخيل ، إن الله فقير ، إن الله جل وعلا لا يعلم بعض الأمور ، أو لا يقدِرُ على بعض الأمور ، كل هذه الأقوال وأشباهها سبٌّ وردة عن الإسلام »(٥) .

وقد قالها بعض أرباب الفكر الأوربي المادي الذي لا يعترف بالله ﷻ ويرد كل الأمور إلى الطبيعة ، فيرددون نظرياتهم الخبيثة ويستندون إليها في علومهم . فمنهم من

---

(١) سورة النساء ، آية (٤٨) .

(٢)ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج٨/ص١٣ .

(٤) المرجع السابق ، ج٨/ص١٣ .

(٥) المرجع السابق ، ج٨/ص ١٥ .

يقول :"لا إله والكون مادة" و "الإنسان نتاج المادة"، و"قانون السببية" . الذي يهدف إلى التنقص من الله ﷻ والاستهزاء به ليخلص إلى إنكار وجوده ﷻ .

– « وهكذا من استهزأ بالدين ، وسخر به حكمه حكمهم ، وكفره كفر أكبر ، كما قال الله سبحانه وتعالى :{قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}[1] .

– أو قال مثلاً : إن الله لم يوجب علينا الصلاة ، فهذه ردة عن الإسلام . . أو قال : صوم رمضان غير واجب على الناس ، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس ، من قال هذه المقالات كفرَ إجماعاً ، ويستتاب فإن تاب وإلا قُتل »[2] .

– « ترك الصلاة عمداً، لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه مستهيناً به »[3] .

– و « صرف بعض العبادة للأولياء أو الأنبياء أو الشمس والقمر ، أو الجن أو الملائكة أو الأصنام أو الأشجار أو غير ذلك ، كل هذا ناقض لتوحيد الله ومبطل له »[4] .

هذا وبالرغم من وصول العصر الحديث اليوم إلى قمة المدنية والحضارة المادية ، فإن هذا النوع من النواقض وهذا الشرك الواضح بالله عز وجل لم يزل موجوداً يمارس بأشكال كثيرة ، قد لا يعلم مرتكبها أنه مشرك قد ارتد بفعله هذا عن الإسلام –والعياذ بالله– وما كان هذا ليحدث إلا « بسبب غلبة الجهل وبُعد العهد بعصر النبوّة »[5] .

– « وبهذا تعلم أن ما يصنع حول القبور المعبودة من دون الله . مثل قبر البدوي والحسين بمصر وأشباه ذلك ، وما يقع من بعض الجهّال من الحجاج وغيرهم عند قبر النبي ﷺ من طلب المدد والنصر على الأعداء ، والاستغاثة به والشكوى إليه ونحو ذلك ، أن

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان (٦٥ ــ ٦٦) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، ج٨/ص١٦ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢/ص٢١ .

(٥) المرجع السابق ، ج١/ص٢٥ .

هذه عبادة لغير الله ﷻ ، وأن هذا شرك الجاهلية الأولى »[١] .

– « ومن الكفر الفعلي : كونه يذبح لغير الله ، ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح ، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقرباً إليهم يعبدهم بها ، أو للجن يعبدهم بها ، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك ، وهذا مما أُهل به لغير الله ، فيكون ميتةً »[٢] .

– ومن الكفر الإعتقادي ، وهذا النوع من النواقض هو أخطرها ؛ لأنه قد يقع من الشخص دون أن يتنبه له ، فهو لا يستلزم غيره ، وإن كان غيره يستلزمه « من أنواع الردَّة العقدية التي يعتقدها بقلبه وإن لم يتكلم بها ولم يفعل ، بل بقلبه يعتقد : إذا اعتقد بقلبه أن الله جل وعلا فقير ، أو أنه بخيل ، أو أنه ظالم . . أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد بعث ولا نشور ، وأن كل ما جاء في هذا ليس له حقيقة ، وهكذا لو اعتقد بقلبه أن محمد ﷺ ليس بصادق ، أو أنه ليس بخاتم الأنبياء . . أو اعتقد أن الأنبياء كاذبون أو أحد منهم .. أو اعتقد أنه يجوز أن يعبد مع الله غيره ؛ من ملكٍ ، أو نبيٍّ ، أو شجر ، أو جنٍّ ، أو غير ذلك »[٣] .

– و« كل من يعتقد أن لبعض النجوم تأثيراً في الحوادث والأحوال الفلكية من سير النجوم ، والشمس ، والقمر ، وأن لها تأثيراً في هذه المخلوقات .. وأن هذه المخلوقات لها تصرف في الكون بإذن الله . . هذا باطل وكفر »[٤] .

ويفصِّل الشيخ في هذه المسألة أكثر لينجلي ما فيها من الجهل والضلال الذي وقع فيه كثير من الجهَّال : « فإن عبَّاد القبور ، وعبادَّ المشايخ ، وعبَّاد الصالحين ، وعبَّاد الأصنام يعتقدون : أن الله جعل لها شيئاً من التصرف في خلقه .. وهذا باطل .. بل التصرف لله وحده ، وإنما جعل للعباد أشياء محدودة كإعطاء الله ﷻ الرجل ما يعينه على

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ج٨/ص١٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج٨/ص١٧ـ ١٨ .

(٤) المرجع السابق ، ج٨/ص١٢٢ .

أسباب الرزق ؛ كاليد ، والعقل ، والسمع ، والبصر ، وإعطائه ما يعينه على أسباب النسل والذرية ؛ من النكاح ، وجعل فيه الشهوة ، والميل إلى النساء ، وجعل للشمس أشياء محدودة من طبعها بسبب حرارتها ، ولها آثار في النباتات ، هذه الأشياء كلها من خلق الله سبحانه ؛ كطبيعة القمر جعله الله سراجاً منيراً ، ويعرف به عدد الشهور والأعوام والحساب إلى غير ذلك . وكطبيعة الماء ، وطبيعة النار وغيرهما . كل مخلوق جعل الله له طبيعة تخصه ليست متعلقة بالكائنات كلها » [1].

وينبه –رحمه الله– « ليس من عبادة غير الله التعاون بين العباد الأحياء القادرين بمقتضى الأسباب الحسية ، كطلب الإنسان الحي القادر الحاضر أو الغائب بالمكاتبة ونحوها أن يعينه على تعمير بيته أو صلاح سيارته أو أن يقرضه شيئاً من المال أو يساعده في الجهاد أو التحرز من اللصوص أو قطاع الطرق .. قال تعالى :{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ}[2]» [3] وقول النبي ﷺ : (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) [4] .

وهكذا ما قد يقع من بعض الصوفية من اعتقادهم أن بعض الأولياء يتصرف في الكون ويدبر هذا العالم –والعياذ بالله– شرك أكبر في الربوبية »[5] .

« ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث ، وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم ، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية ، وهو شر من شرك جاهلية العرب ؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة ، وكان شركهم في حال الرخاء ، أما في حال الشدّة فيخلصون لله العبادة ، كما قال الله سبحانه :{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}[6] . أما

---

(١) المرجع السابق ، ج٨/ص١٢٣ .

(٢) سورة القصص ، آية (١٥) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٨/ص١٢٣ .

(٤) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٩٩) ، ص١١٤٢ .

(٥) ابن باز ، فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ج٢/ص٥٥٣ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية (٦٥) .

الربوبية فكانوا معترفين بها لله وحده كما قال سبحانه :{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}(١) .

- « وهكذا ما يقع من اعتقاد بعض الناس ، أن بعض المخلوقات له صلة بالرب ﷻ ، وأنه يستغني بذلك عن متابعة الرسول محمد ﷺ ، أو أنه يعلم الغيب ، أو أنه يتصرف في الكائنات ، وما أشبه ذلك ، فإنه كفر بالله أكبر ، وشرك ظاهر ، يخرج صاحبه من الملة الإسلامية إن كان ينتسب إليها »(٢) .

كل هذه الشركيات وغيرها كثير كانت السبب في شعور الإنسان بالذل والهوان لغير الله تعالى ، وهذا بخلاف ما يشعر به المؤمن الحقيقي في قرارة نفسه من الأنفة وعزة النفس اللاتان تغنيه عن الخضوع والانكسار لمن مثله من البشر .

- « وهكذا لو اعتقد حل ما حرّم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كاستحلال الزنا والخمر وعقوق الوالدين ، أو استحل قطع الطريق أو اللواط أو أكل الربا ، وما أشبه ذلك من الأمور المعروف تحريمها بالنص والإجماع ، إذا اعتقد حلها كفر إجماعاً »(٣) .

- وكما لو شك في أمر معلوم من الدين بالضرورة « فالذي يشك في دينه ويقول : أنا لا أدري هل الله حق ؟ أو هل الرسول حق ؟ وهل هو صادق أم كاذب ؟ أو قال لا أدري هل هو خاتم النبيين ؟ أو قال : لا أدري مسيلمة كاذب أم لا ؟ . . هذه الشكوك كلها ردّة عن الإسلام ، يستتاب صاحبها ويبين له الحق ، فإن تاب وإلا قُتل . ومثل لو قال : أشك في الصلاة هل هي واجبة أم لا ؟ أو الزكاة . . »(٤) .

- ونواقص الإسلام هي « دون الكفر ، لكنها تضعف الإيمان وتنقصه ، وتجعل صاحبها معرضاً للنار وغضب الله لكن لا يكون صاحبها كافراً »(٥) . وتُعرف بالشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد ، ويحبط العمل المقارن له . وكثير من الناس لا يبالي

---

(١) سورة الزخرف ، آية (٨٧) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ج٢/ص٢١ ــ ص٢٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج١/ص٤٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج٨/ص٢٠ .

(٥) المرجع السابق ، ج٨/ص٢١ .

بها ، وقد يقع في الكثير منها استهانة بها وتصغيراً لجرمها رغم خطورتها على الفرد والمجتمع .

وفيما يلي عرضاً سريعاً لبعض أمثلتها :

- « الرياء والسمعة كمن يقرأ ، أو يصلي يرائي ، أو يدعو يرائي . ومن ذلك قول العبد : "ما شاء الله وشاء فلان" ، "لولا الله وفلان" ، "هذا من الله ومن فلان" ، وهكذا الحلف بغير الله ، كالحلف بالكعبة ، والأنبياء ، والأمانة وحياة فلان ، وبشرف فلان ونحو ذلك »[1] .

- المعاصي تقدح في العقيدة وتُضعف الدين « وأمثلة ذلك كثيرة منها : الزنا إذا آمن أنه حرام و لم يستحله ، بل يزني ويعلم أنه عاصٍ ، هذا لا يكون كافراً وإنما يكون عاصياً ، لكن إيمانه ناقص . وهذه المعصية قدحت في عقيدته لكن دون الكفر ، فلو اعتقد أن الزنا حلال صار بذلك كافراً . .وكذلك الغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وأكل الربا وأشباه ذلك ، كل هذه من القوادح في العقيدة المضعفة للدين والإيمان » .

- والبدع كذلك تقدح في العقيدة « وهي أشد من المعاصي ، ولا تكون ردّة ما لم يوجد فيها شرك ، مثل : بدعة الموالد ، والبناء على القبور ، واتخاذ المساجد عليها ، ومثل صلاة الرغائب ، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج . . »[2] .

الحق أن هذه المعتقدات الفاسدة سواءً كانت من النواقض والنواقص كلها تدنم حياة الإنسان في ظلام المعصية وشؤمها ، والانشغال بها عن معالي الأمور ، وصلاح النفوس وتزكيتها ، الأمر الذي يتطلبه الإيمان بالله ﷻ .

هذا وقد تحتاج أمور العقيدة عند عرضها إلى بسط وإسهاب يتناول جميع جوانبها . وما سبق من عرض كان مجملاً للهيكل العام للعقيدة الإسلامية ؛ تظهر فيه بعض الجوانب التربوية العقدية والتي أكّد عليها ابن باز -رحمه الله- وذلك لأن بيان جوانب العقيدة يقوي قيمتها التربوية فيجعلها تسمو بالإنسان فتهذّب دوافعه وغرائزه فلا

---

(١) المرجع السابق ، ج١/ص٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج٨/ص٢١_ص٢٦ .

ينحرف . وكذلك بيان العقيدة الصحيحة والتحذير من أنواع الشـرك وبيانها يحـرر الإنسان من عبودية غير الله ﷻ ،كذلك ينمي هذا الجانب بعض الدوافع النفسية لـدى الإنسان ويحرر بعضها من آثار الشرك وما ينتج عنه من تعصب وأمور خرافية قد تـؤدي بحياة الإنسان وتصيبه بالاضطرابات والأمراض النفسية .

ثانياً: التربية الجسدية .

وتتناولها الباحثة من خلال المحاور الخمسة التالية : الأهمية ، حفظ الصحة ، الوقاية من الأمراض ، الرياضة البدنية ، الترفيه .

أ – الأهمية

الجسد البشري يضم بين جنباته الكيان الإنساني كله : العقل والروح والجسـد ، لذلك فقد اهتم الدين الإسلامي بتربيته وتقويته والمحافظة عليه ؛ ليقوم بدور الخلافـة في الأرض . هذا الدور الذي يحتاج إلى إنسان قوي متزن . يقول الرسول ﷺ : (المؤمـن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) [1] . لأنه بقوته ينفع نفسه وغيره ، أمـا بالضعف فلا يستطيع القيام بواجبه لنفسه فضلاً عن واجباته تجاه دينه ومجتمعه .

وضرورة الاتزان لقوى الجسد مجتمعة ؛ حتى لا تطغى إحداها على الأُخرى ، قـال تعالى :{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[2] . فالتغذية الصحية تبـني الجسم وتنميه ، بخلاف غير الصحي والضار منها ؛ فإنها قد تُودي بحياة الإنسان ، أو قـد تؤدي إلى إضراره صحياً . وذلك كالتدخين أو تعاطي المخدرات ، وغيرها من المحرمـات والخبائث .

وكذلك الإسلام يأمر بالتداوي ، والوقاية من الأمراض ، وكل ما من شأنه المحافظة على صحة الفرد والمجتمع .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٦٤) ، ص١١٣٠ .

(٢) سورة الأعراف ، آية (٣١) .

فهو يعترف بحاجات الجسم من طعام وشراب وملبس ومسكن وجنس ، ويلبيها في حدود مضبوطة ومرهونة بالتوازن مع المصلحة العامة للمجتمع .

والإسلام يضع الترتيبات الكفيلة بالمحافظة على صحة الجسم وسلامته ويحرص على تعويده العادات المفيدة ، وأخيراً يحول الطاقة الحيوية الزائدة في الجسم تحويلاً نافعاً لبناء السعادة الحقيقية للفرد والمجتمع قال تعالى :{إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}[1]، وقال رسوله الكريم ﷺ : (.. ولجسدك عليك حقا)[2] .

ب – حفظ الصحة .

لقد كرَّم الله ﷻ الإنسان بما وهبه من عقل وجسم ، وجعله في أحسن تقويم ؛ ليعيش حياة وافرة السعادة ، يتمتع فيها بكل ما سخّره الله له في الأرض . ولضمان ذلك أمره بحفظهما ، وجعلهما من الضروريات الخمس المحفوظة في الإسلام .

وفي هذا العصر أصبحت المخدرات من أشد الأمراض فتكاً بالجسم والعقل ؛ فتجعل الجسم في حالة من الضعف والعجز التام ، وتعطِّل العقل فيبدو وكأنه في حالة هلوسة ، أو بدون عقل .

ومن أعراض المخدرات الجانبية ما تسببه من صداع وقلق وفقدان للشهية ، ودوار واضطراب وهذيان ، وجفاف بالحلق واضطرابات هضمية ، وما يتبع ذلك من انخفاض في الوزن مع نقص المواد الغذائية الضرورية ؛ مما ينتج عنه حالة من سوء التغذية ، تُضعف مناعة الجسم وتجعل الأمراض العادية أمراضاً لا تخلو من الخطورة على حياة المتعاطي .. ولقد ورد في تقرير الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات : أن هذه المشكلة ما تزال تهدد عدداً كبيراً من الأشخاص ، وتقوِّض النظام الاقتصادي والاجتماعي في معظم أرجاء العالم[3] .

هذا وبالرغم من أن الكثيرين من الناس لا يتنبه لحرمتها في الإسلام ولخطرها على

---

(١) سورة القصص ، آية (٢٦) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٨٢) ، ص٤٨٩ .

(٣) الفالح ، سليمان بن قاسم . عوامل تعاطي المخدرات . المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (١٤٠٩هـ) ، ص١٥_ص٣٣ .

الجسم والعقل ، وعلى الفرد والمجتمع ، فيتعاطاها أو يسمح بذلك لغيره بحجة أخذها كمنشطات للجسم والعقل والشعور بالحيوية ، أو كعلاج لبعض الأمراض ، مثل القلق والاكتئاب ، أو لإشباع بعض الحاجات النفسية لديه . فهل تناسى هؤلاء أو تجاهلوا أن الإسلام قد عالج كل الأمراض ، وأشبع كل الدوافع بما ينفعها ويرتقي بها إلى منزلة التكريم الإلهي للإنسان ، فلا يضرها ذلك و لم يلحق بها الأمراض .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد : التداوي قبل وقوع المرض « فلا بأس بتعاطي الدواء لدفع البلاء الذي يُخشى منه ، لقول النبي ﷺ : (من تصبح بسبع تمرات ، عجوة ، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر)[١]، وهذا من باب دفع البلاء قبل وقوعه ، فهكذا إذا خشي من مرض وطُعِّم ضد الوباء الواقع في البلد أو في أي مكان لا بأس بذلك »[٢] .

ج – الوقاية من الأمراض

لاشك أنه لكي يبقى الإنسان قوياً معافى ؛ لابد أن يبتعد عن كل ما يجب الحذر منه وقاية من الأمراض ، ليس تشاؤماً ولا خوفاً من العدوى ، بل تحسباً للأمر وعملاً بالأسباب ، كما جاء في الدين الإسلامي الحنيف .

قال ﷺ : (لا يُوردُ مُمرِضٌ على مُصحٌّ)[٣]، « يعني : لا توردوا الإبل المريضة على الصحيحة ، بل تكون هذه على حدة وهذه على حدة ، وذلك من باب اتقاء الشر والبعد عن أسبابه ، وإلا فالأمور بيد الله ، لا يُعدي شيء بطبعه إنما هو بيد الله :{قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا}[٤] .

قد يعدي المرض وقد لا يعدي فالأمر بيد الله إذا أراد للشيء أن يكون يقول له : كن فيكون « فمن زعم أن هناك عدوى فهذا باطل »[٥] ، فلا عدوى في الإسلام ، بل

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٠٤٧) ، ص٩١٣ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، مرجع سابق ، ج٢/ص٤٩٥ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٢٢١) ، ص٩٧٨ .

(٤) سورة التوبة ، آية (٥١) .

(٥) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٨/ص٢٤ .

الأمر بيد الله ﷻ ، ولكن ينبغي الحذر والحيطة ، فالوقاية من الأمراض خير من الإصابة بها « ولكن الله جعل المخالطة لبعض المرضى قد تكون سبباً لوجود المرض في الصحيح ، ولكن لا تُعدي بطبعها ، ولما سمع بعض العرب قول النبي ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة ، فقال أعرابي يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرَّمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيُجربها كلها ، قال : فمن أعدى الأول)[1]، أي : من الذي أنزل الجرب في الأول . فالأمر بيد الله سبحانه وتعالى إذا شاء أجربها بسبب هذا الجرب وإن شاء لم يجربها»[2] .

وقد وافق رأي ابن باز هذا –رحمه الله– من قبله من الأئمة ومنهم ابن قيم الجوزية فله فصل في كتابه المسمى « مفتاح دار السعادة» سطر فيه ما مفاده : قد تكون مخالطة المجذوم سبب للعدوى ، ولكن قد يعارضه أسباب أُخَر تمنع اقتضاءه فمن أقواها التوكّل على الله والثقة به ؛ فإنه يمنع تأثير ذلك السبب المكروه ، ولكن لا يقدر كل واحد من الأمة على هذا! فأرشدهم الرسول ﷺ إلى مجانبة سبب المكروه والفرار والبعد منه ، فلا يتعرض العبد لأسباب البلاء ، وإلاّ فالنفع والضرّ بيد الله ﷻ ، فإن شاء أن ينفع بما هو من أسباب الضرر ، ويضرّ بما هو من أسباب النفع ، فالأسباب بيديه هو الذي جعلها أسباباً وإن شاء خلع منها سببيتها .. فالأمر كله بيده [3] ،وأنها إنما ينال ضررها من علق قلبه بها ووقف عندها وتطيّر بما يتطيّر به منها فذلك الذي يصيبه مكروه الطّيرة ، فإذا توكل على الله ووثق به واستعان به لم يصدّه التطيّر عن حاجته .

د – الرياضة البدنية

إن من متطلبات التربية الإسلامية وجوانبها الضرورية حتى تقوم بتربية الفرد ، باعتباره وحدة متكاملة ، روحاً وعقلاً وجسماً : أن تستغل الطاقات البدنية وتوجهها لما يعود بالنفع على صاحبها . وهذا هو دور التربية الرياضية : استغلال الطاقة البدنية في

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، رقم (٢٢٢٠) ، ص٩٧٧ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ج٨/ص٢٤ .

(٣) ابن قيم ، محمد الجوزية . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . ط١ ، لبنان / بيروت : دار الكتب ، (١٤١٣هـ) ، ج٢/ص٥٩٥ .

تلبية الرغبات والميول وتنميتها ؛ لتعود على مُمارسها بفوائد كثيرة ، وأهداف تربوية ، منها النفسية والبدنية والاجتماعية . بل لقد أصبحت الرياضة ضرورة ملحة في هذا العصر ، لا سيما وأنها تشغل وقت الفراغ عند الكثيرين من الناس .

وليس هناك جدال على قيمة الأنشطة الترويحية البدنية ومساهمتها في الناحية النفسية فهي من العوامل الفعَّالة في إزالة التوتر العصبي والإجهاد النفسي ، بدلاً من الدواء الذي قد يزيد من حدة هذا التوتر . فالإرهاق هو الذي يخفض من قدرة الأفراد فيجعلهم أضعف من الظروف ، أصغر من المصاعب ، خاصة إن لم يستفيدوا من أوقات فراغهم في استعادة نشاطهم وحيويتهم .

أن النشاط الترويحي البدني يساعد على الحماية من الأمراض الوراثية وأمراض القلب ، كما أنه يعتبر وقاية ضد أي أمراض فجائية ، ويؤدي إلى تغيرات مرغوبة في تكوين الجسم ، وفي إنقاص الوزن ، ورفع كفاءة الأجهزة الداخلية الحيوية ، واللياقة البدنية كما أنه يعتبر المصدر القوي الذي يعمل على صيانة الجسم فسيولوجياً ونفسياً ويساعد على الاتزان العام [١] .

تساهم التربية الرياضية بدور هام في تحقيق مبادئ المثل العليا ، وهي الأساس في سلامة أي مجتمع وتقدمه .

ففي اللعب الفردي ، يتعود الطفل احترام الخصم ، والتسابق الشريف ، والصبر ، وتحمل المسئولية والتسليم بالنتيجة فالهزيمة إلى النصر في الشوط المقبل .. وفي اللعب الجماعي تذوب شخصية الفرد في محيط الجماعة ، ويظهر أساس التعاون والمساواة ، الإيثار ، والتفاعل بين أعضاء الفريق ، وإلى جانب احترام الفرد لفريقه نرجع إلى النتائج السابقة في اللعب الفردي ، فهذا الفريق يحققها مع الفريق الآخر ، والطفل إذا تعود ذلك من صغره كان رائده كثيراً ، الإيثار وحب الآخرين والتعاون والتواضع والسير في الشوط حتى نهايته ، وتحمل المسئولية واحترام الخصومة [٢] . ويا حبذا لو تحققت هذه المثل العليا

---

(١) كمال والحماحمي ، درويش ومحمد . الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر . ط١، المملكة العربية السعودية / مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، (١٤٠٨هـ) ، ص١٤٩ـص١٥٢ .

(٢) عبد العزيز ، صالح . التربية الحديثة . ج٣ ، ط٧ ، مصر : دار المعارف ، (د . ت) ، ج٣/ص٢٩١ .

في المجتمع الإسلامي .

ولم يغفل ابن باز هذا الجانب ، فقد اهتم به كثيراً مع طلابه في الخرج فكان يربيهم بالعلم ويمارس معهم جميع الأنشطة التي تساعد على تربيتهم من جميع النواحي فهناك الرحلات التي كان يقوم بها مع طلابه تتخللها الدروس العلمية والمناقشات الطلابية الفكرية والعلمية ، والأنشطة الرياضية المختلفة .

يقول ابن جلال أحد طلابه : في يوم من الأيام قال : اليوم عندكم رياضة ، فقال : انصبوا إشارة وارموها ، ومن أصابها فله خمسة ريالات تبرعاً منه . وفي اليوم الثاني قال : يا إخوان اليوم عندكم رياضة سباق ، فكل إنسان يختار له آخر يتسابق معه ، وهكذا بقية الأيام . .وكذلك السباحة ؛ كان بعض من تلاميذه يجيدها ، وكان هو -رحمه الله- يشجعهم عليها [1] .

لقد اعتبر ابن باز أنشطة الرياضة البدنية جزءاً مهماً في رحلاته مع طلابه ، وكان يشجعهم عليها كوسيلة لتقوية أجسادهم ونشاطاً لتصريف طاقاتهم ، فكانت كما رغب جزءاً له وقته ومكانه ضمن برنامج الرحلة التي كان يتخللها الكثير من الدروس والمناقشات العلمية وقراءة القرآن وغيرها من الأنشطة .

لقد شجع ابن باز طلابه على ممارسة بعض أنشطة الرياضة للتنافس المثمر بينهم ؛ دون التعصب الذي يخرجها عن الهدف الذي من أجله كانت ، أو يجعلها وسيلة هدم لكثير من الفضائل والآداب الاجتماعية .

جاء في بروتوكولات حكماء صهيون قولهم : سنلهي الجماهير بأنواع شتى من الملاهي والألعاب .. وهذا ما حدث بالفعل ! لقد اهتم الشباب بأخبار الرياضة اهتماماً أنساه كل شيء . . وأصبح تشجيع الرياضة ومنها الكرة تعلوه الخلافات والمضاربات مما يخالف الشرع الحنيف ، الذي ينهى عن الخلاف ويدعو إلى الوحدة والمحبة والائتلاف . بل وماذا عن هوس الفائزين ؟! تراهم يقبِّلون بعضهم ويحملون آخرين ويضمونهم بحرارة ، وكأنهم قد استردوا القدس الجريحة ، أو الأقصى الأسير !! وفي حركاتهم تلك

---

(١) البراك ، مرجع سابق ، ص٥١ .

من التخنث والميوعة ، ما ينافي أهداف الرياضة التي تدعو إلى الفروسية وحب المغامرة ، وأخلاق الإسلام [١].

هـ – الترفيه

لقد كان ابن باز يحب الخروج إلى الطبيعة ، والاستمتاع بجمالها والإحساس بجوها اللطيف لاسيما وقت المطر واخضرار الأرض .

ولا شك أن لهذه اللفتة البسيطة في حياة الشيخ كان لها أثر كبير عليه ، وعلى طلاّبه وكل من كان يرافقه في هذه الرحلات الهادفة والممتعة والنافعة ؛ فالجو الهادئ الطبيعي يريح النفس البشرية ، ويعمق أفكارها وتأملاتها ، ويزيد إيمانها بخالقها ، ويشعرها بمدى جمال الطبيعة ، ومدى قدرة الخالق جل وعلا .

وهذا ما تتطلبه التربية ، فإن أُضيف إليه ما تبثه هذه الرحلات من تنمية الروح الجماعية ، وغرس مبادئ التكافل الاجتماعي ، والتعوّد على النظام ، والسمع والطاعة ؛ فلكل رحلة أمير أو قائد يدير شؤونها ، والأفراد بدورهم يلتفون حوله ويتعاونون فيما بينهم .

ثم إن هذه الرحلات تعزز جانب التربية بالقدوة عن قُرب ؛ فالقائد أو المربي يكون أقرب إلى طلابه ومن حوله يقضي معهم أطول وقت ويمارس معهم أنواع الأنشطة الحياتية : التعبدية ، والأُخرى الضرورية ، والترفيهية ؛ فيتعلمون منه وعنه .

ثم إن هذه الرحلات وكثيراً من المخيمات والمعسكرات الهادفة ، هي مجال خصب للكشف عن مواهب المشاركين ، وإظهار استعدادات ، ومحاولة صقل النافع منها وتوجيههم وفق ذلك لتنميتها .

وقد خيّم –رحمه الله– مدة في المرداسية شرق الدِّلم ، وكان عام أمطار وسيول ، والأرض مخضرة ، والغدران متعددة والهجلة مملوءة بالسيول ، وقد عُرف عنه في تلك الفترة شغفه بالعشب والسيول فكان يجلس على حافة مجرى السيل ، ويتحسس مستوى

---

(١) الناصر و درويش ، محمد حامد و خولة . تربية المراهق في رحاب الإسلام . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الدمام : رمادي للنشر ، (١٤١٧هـ) ، ص٢٥٧ .

السيل بطرف عصـــاه ويـــده [١] .

نعم كان ابن باز يخرج ليستمتع بالطبيعة ، ولكن لا يلهو ؛ فمدة مكوثـــه كـــان يستغلها في إلقاء الدروس والمناقشات العلمية ، وقراءة الصحف والمجلات والمقالات والـرد عليها إن احتاج الأمر . هذه رحلاته -رحمه الله- تجمع بين الجد والهزل والعمل والترفيـه والدنيا والدين . وقد تحقق بها جانب كبير من أهداف التربية .

ثالثاً : التربية الخلقية

الإسلام دين مبني على أساس أخلاقي متين . فالله ﷻ وله المثـــل الأعلـــى ، لـــه الصفات الحسنى التي لا يشابهه فيها أحد من المخلوقين . والرسول ﷺ يصفه الله تعـــالى : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[٢] . و « الإسلام العدالة ، ودين الحكم بالحق والإحســـان ، ودين المساواة إلاَّ فيما استثنى الله ، ففيه الدعوة إلى كل خير ، وفيه الدعوة إلى مكـــارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال . .والبعد عن كل خلق ذميم قال تعالى :{إِنَّ اللَّـــهَ يَـــأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُـــمْ تَذَكَّرُونَ}[٣] .

وللأخلاق تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه ، بل نستطيع أن نقول : إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات . ومعنى ذلك أن صـــلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه ؛ لأن الفرع بأصله ، إذا صَلُح الأصل صَلُح الفـــرع ، وإذا فسد الأصل فسد الفرع ، قال تعالى :{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً}[٤] .

---

(١) البرَّاك ، مرجع سابق ، ص٥٠_ص٥١ .

(٢) سورة القلم ، آية (٤) .

(٣) سورة النحل ، آية (٩٠) .

(٤) سورة الأعراف ، آية (٥٨) .

والتربية الخلقية مقصدها : إكساب الإنسان السلوك الخلقي الحسن كما جاء في القرآن والسنة . وهي مهمة لكل أمة : تنمية لحضارتها ورفعاً لمكانتها .

ثم إن الأمة الإسلامية مستهدفة من كل الجوانب ، وأعدائها قد خططوا لسلب هويتها وتحطيم أخلاقها ، يقول أحد اليهود : عليكم أن توجهوا التفاتاً خاصاً في استعمال مبادئنا إلى الأخلاق الخاصة بالأمة التي بها محاطون ، وفيها تعملون ، وعليكم ألا تتوقعوا النجاح خلالها في استعمال مبادئنا بكل مشتملاتها حتى يعاد تعليم الأمة بآرائنا ، ولكنكم إذا تصرفتم بسداد في استعمال مبادئنا فستكشفون أنه -قبل مضي عشر سنوات- سيتغير أشد الأخلاق تماسكاً [١] .

فمن خلال بث المبادئ والأفكار الهدَّامة وتزين الأخلاق الذميمة ؛ تُسدد أهداف العدو الغادر ؛ لأنه لا يستطيع هدم كيان الأمة الإسلامية كرة واحدة ، ولكنه يحاول ذلك بزعزعة الأخلاق والقيم الإسلامية فيها .

لماذا أخلاق الإسلام مستهدفة ؟

إن الأخلاق الإسلامية وإن كانت جزءاً من الإسلام فإن روحها سارية بجميع جوانبه ، وتجسد العلاقة بين الجانب النظري والعملي على أفضل صورة . ثم إن الإسلام يخضع تنظيم حياة الإنسان لنظريته الأخلاقية ، ولروح الأخلاق بصفة عامة من حيث أنه الروح الخيّرة . فيُدخل العلاقة بين الإنسان والخالق في إطار الأخلاق ، وكذلك علاقته بمجتمعه ، حتى مع من حوله من الحيوان [٢] .

الآداب الإسلامية

وينبه ابن باز كل مسلم بضرورة التأدب بالآداب الإسلامية واتخاذها عادات أخلاقية دائمة لا ينفك عنها سلوكه ، وقد أجملها بشكل عام ، وضمنها جميع مجالات

---

(١) بروتوكلات حكماء صهيون ، مرجع سابق ، ص١٩٤.

(٢) يالجن ، مقداد . التربية الأخلاقية الإسلامية . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار عالم الكتب ، (١٤١٧هـ) ، ص٩٣ .

الحياة اليومية ، وأنواع الأنشطة التي يؤديها المسلم « ومنـــها : الســـلام ، والبشاشـــة ، والأكل باليمين والشرب بها ، والتسمية عند الابتداء ، والحمد عند الفراغ ، والحمد بعد العطاس ، وتشميت العاطس إذا حمد الله ، وعيادة المريض ، واتبـــاع الجنـــائز للصـــلاة والدفن ، والآداب الشرعية عند دخول المسجد ، أو المترل والخـــروج منـــهما ، وعنـــد السفر ، ومع الوالدين ، والأقارب والجيران ، والكبار والصغـــار والتهنئـــة بـــالمولود ، والتبريك بالزواج ، والتعزية في المصاب ، وغير ذلك من الآداب الإســـلامية في اللبـــس والخلع والانتعال » [١] .

القيم الخلقية

من أهمهـــا :

القيمة الأولى : نفسية .

مجملها يكمن في الشعور بالراحة النفسية ؛ لأنها أولاً امتثال طاعة الله ﷻ وســـبيلاً لكسب رضاه ، ثم لأنها تحقق رضا الإنسان عن نفسه والمثالية المطلوبة منـــه كمســـلم ، بالإضافة إلى ما تمنحه إياه من الثقة بالنفس ؛ مما يجعله أكبر قوة وأكثر تحمل للصعاب .

القيمة الثانية : اجتماعية .

الأخلاق تكسب صاحبها مكانة اجتماعية عميقة تبدو واضحة في محبة الآخريـــن له ؛ وذلك لحسن تعامله معهم ، وتقديراً له ولأخلاقه الفاضلة ، وقيمه التي يتعامل بهـــا معهم .

القيمة الثالثة : اقتصادية .

وتظهر قيمة الأخلاق الاقتصادية في ناحيتين : ناحية الإنتاج ، إذ الأخلاق تدعو إلى التقشف وعدم الإنفاق إلا فيما يجب الإنفاق فيـــه . ولا ينمـــو الاقتصـــاد إلا بهـــاتين الطريقتين : كثرة الإنتاج والاقتصاد في المصروفات[٢] .

---

(١) ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله . الدروس المهمة لعامّة الأمة . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار القاسم ، (١٤١٦هـ) ، ص٢٢ .

(٢) يالجن ، الإتجاه الأخلاقي ، ص٣٢٧_ص٣٢٨ .

القيمة الرابعة : صحية .

فإنها تدعو إلى الابتعاد عن جميع الأمور التي تضر الصحة مثل المخدرات والقذارة والفاحشة وكثرة الأكل ، كما تدعو إلى الابتعاد عن الأماكن الموبوءة وعن الاتصال بالناس المصابين بالأمراض الخبيثة المعدية [١] .

رابعاً : التربية الاجتماعية

لقد خُلق الإنسان وفي طبيعته الاجتماع مع الآخرين ، يقول الله ﷻ: {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}[٢]، فالمجتمع حاجة ضرورية نفسية له ، ولن يستطيع أي إنسان أن يعيش وحيداً منعزلاً ؛ فنفسه لا تستأنس وتطمئن إلاّ مع غيره من أفراد المجتمع .

والذي يلزم عقر داره ولا يتصل بالناس ، لا شك أنه يضيق أُفقه ، وقد تنحرف شخصيته انحرافاً بسيطاً أو خطيراً [٣] .

إن الحياة في المجتمع تتطلب نظاماً وأخلاقاً وآداباً من كل فرد فيه ، إذ لو تُركت الحرية للفرد لتحقيق رغباته فيها فقد يستغلّ الآخرين لتحقيق مآربه ، وقد يضرهم . كذلك المجتمع لا يتخذ الأفراد وسائل لتحقيق أغراضه وتسخيرهم لها . بل ينبغي أن تقوم هذه العلاقة بين الفرد والمجتمع على مبادئ من شأنها أن تؤدي إلى التنسيق بين المتطلبات الاجتماعية والفردية وتؤدي في الوقت نفسه إلى حياة مستقرة آمنة مطمئنة [٤] .

محاور هذا الصدد خمسة : الأخوة الإيمانية ، الولاء والبراء ، التضامن الإسلامي ، القومية ، دعوة تنافي الإسلام ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٢٨ .

(٢) سورة الحجرات ، آية (١٣) .

(٣) عاقل ، فاخر . علم النفس التربوي . ط١٣ ، لبنان / بيروت : دار الملايين ، (د . ت) ، ص٤٨٢ .

(٤) يالجن ، مقداد . التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار عالم الكتب ، (١٤١٨هـ) ، ص١٥٧ـص١٥٨ .

١ . الأخوة الإيمانية

الإسلام « يدعو إلى الأخوة الإيمانية ، وإلى النصح لله ولعباده ، وإلى احترام المسلم لأخيه لا غلّ ولا حسد ، ولا غشّ ولا خيانة ، ولا غير ذلك من الأخلاق الذميمة ، كما قال جل وعلا :{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[1]، فالمسلم أخو المسلم يجب عليه أن يعطيه حقه من كل الوجوه التي شرعها الله ﷻ ، وقال ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[2] . فأنت يا أخي مرآة أخيك ، وأنت لبنة من البناء الذي قام عليه بنيان الأخوة الإيمانية . . وإيَّاك أن توالي أخاك لأنه وافقك في كذا ، وتعادي الآخر لأنه خالفك في رأي أو مسألة ، فليس هذا من الإنصاف ، فالصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا في مسائل ، ومع ذلك لم يؤثر ذلك في الصفاء بينهم ، والموالاة ، والمحبة رضي الله عنهم وأرضاهم ، فالمؤمن يعمل بشرع الله ، ويدين بالحق ويقدمه على كل أحد بالدليل ، ولكن لا يحمله ذلك على ظلم أخيه ، وعدم إنصافه إذا خالفه في الرأي في مسائل الاجتهاد التي قد يخفى دليلها ، وهكذا في المسائل التي قد يختلف في تأويل النص فيها ، فإنه قد يعذر ، فعليك أن تنصح له ، وأن تحب له الخير ، ولا يحملك ذلك على العداء ، والانشقاق ، وتمكين العدو منك ومن أخيك»[3] .

٢ . الولاء والبراء

هذا المبدأ ديني ، ومن لوازم "لا إله إلا الله" وآثاره التربوية تظهر أكثر في المجال الاجتماعي فهو يجسد العلاقة بين المسلم وإخوانه المسلمون ، وبينه وبين الكفار والمشركين ومن هم على غير دينه من اليهود والنصارى وغيرهم .

« إن الأخوة والمحبة إنما تكون بين المؤمنين أنفسهم ، أما الكفار فيجب بغضهم في الله ومعاداتهم فيه سبحانه ، وتحرم موالاتهم وتوليهم حتى يؤمنوا بالله وحده ويدعوا ما هم

---

(١) سورة التوبة ، آية (٧١) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٥٨٥) ، ص١١٠٣ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ،ج٢/ص١٧٥ .

عليه من الكفر والضلال »[١] . وهذا بدلالة الآيات ؛ قال تعالى :{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[٢]،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[٣]، وغيرها كثير .

ويقف ابن باز في هذا الصدد عدة وقفات :

– **تقرير عداوة الكفار** « إن جميع الكفار أعداء للمؤمنين بالله سبحانه وبرسوله محمد ﷺ ، ولكن اليهود والمشركين عباد الأوثان أشد عداوة للمؤمنين ، وهذا بدلالة الآية الكريمة :{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}[٤]، وفي ذلك إغراء من الله سبحانه للمؤمنين على معادات الكفار والمشركين عموماً وعلى تخصيص اليهود والمشركين بمزيد من العداوة في مقابل شدة عداوتهم لنا ، وذلك يوجب مزيد الحذر من كيدهم وعداوتهم »[٥] .

– **معاملة الكفار** ، يحددها ابن باز في أربع نقاط [٦] :

١– « الدعوة إلى الله ﷻ بأن يدعوه إلى الله ويبين له حقيقة الإسلام ، حيث أمكنه ذلك وحيث كانت لديه البصيرة ؛ لأن هذا هو أعظم الإحسان ، لقول النبي ﷺ : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه)[٧] . فدعوته إلى الله وتبليغه الإسلام ونصيحته في ذلك من أهم المهمات ومن أفضل القربات » .« إن الله سبحانه مع أمره للمؤمنين بمعاداة الكافرين أوجب على المسلمين العدل في أعدائهم ، فقال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص١٧٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية (٧١) .

(٣) سورة المائدة ، آية (٥١) .

(٤) سورة المائدة ، آية (٨٢) .

(٥) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ،ج٢/ص١٨٢ .

(٦) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، مرجع سابق ، ج٣/ص١٠٣٩ .

(٧) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٧٤) ، ص١١٣٥ .

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[١]، « نهاهم أن يحملهم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، وأخبر عز وجل أن العدل مع العدو والصديق هو أقرب للتقوى »[٢] .

– لقد ربى الإسلام المسلم على العزة والكرامة ولم يرد له أن يكون إمعة يتبع كل ناعق ؛ لذلك فقد نهاه عن التشبه بالكفار ومشاركتهم في كل حال « وليس للمسلم مشاركتهم في احتفالاهم أو أعيادهم ، لكن لا بأس أن يعزيهم في ميتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك » [٣]، ونبه على أن تكون التعزية دعاء للحي وليس للميت « يقول : جبر الله مصيبتك أو أحسن لك الخلف بخير ، وما أشبهه من الكلام الطيب ، ولا يقول غفر الله له ، ولا يقول رحمه الله إذا كان كافراً » [٤] .

يقف ابن باز عند حد المشاركة والحضور ، فكيف بإحياء أعياد الكفار والتباهي بها،، ثم ما وقع فيه أغلب المسلمون اليوم من مشابهتهم للكفار واليهود والنصارى وإظهار التبعية لهم في أكلهم ولباسهم وكلامهم . . وكل شؤونهم ، واعتبار ذلك من سبل التقدم والرقي !!

– واصل المشابهة : إن الله جبل بني آدم على التفاعل بين الشيئين المتشابهين ، وكلما كانت المشابهة أكثر : كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم . والمشاركة بين بني الإنسان أشد تفاعلاً فلأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بين آدم فاكتسب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة[٥] .

– « لا ريب أن السفر إلى بلاد الكفر فيه خطر عظيم » « وهكذا السفر إلى بلاد الشرك من أجل السياحة أو التجارة أو زيارة بعض الناس أو ما أشبه ذلك ، فكله لا يجوز لما فيه من الخطر العظيم والمخالفة لسنة الرسول ﷺ

---

(١) سورة المائدة ، آية (٨) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج٣/١٠٤١ .

(٤) المرجع السابق ، ج٣/١٠٤١ .

(٥) القحطاني ، محمد بن سعيد . الولاء والبراء في الإسلام . دار الصفوة ، (١٤٠٩هـ) ، ص٣٢١ .

الناهية عن ذلك »[1].

« فالواجب على المسلمين الحذر من السفر إلى بلاد أهل الشرك إلا عند الضرورة القصوى إلاّ إذا كان المسافر ذا علم وبصيرة ويريد الدعوة إلى الله والتوجيه إليه ، فهذا أمرٌ مستثنى ، وهذا فيه خير عظيم ؛ لأنه يدعو المشركين إلى توحيد الله ويعلمهم شريعة الله ، فهو محسن وبعيد عن الخطر لما عنده من العلم والبصيرة »[2] .

٣ . التضامن الإسلامي[3] .

– أهميته : « من المعلوم أنه لا يتم أمر العباد فيما بينهم ، ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم ، ولا يهابهم عدوهم ، إلا بالتضامن الإسلامي » .

– حقيقته : « التعاون على البر والتقوى ، والتكافل والتعاطف والتناصح ، والتواصي بالحق ، والصبر عليه » .

– حكمه : « ولا شك أن هذا من أهم الواجبات الإسلامية ، والفرائض اللازمة . وقد نصت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، على أن التضامن الإسلامي بين المسلمين – أفراداً وجماعات ، حكومات وشعوباً – من أهم المهمات » .

– أدلته : « والنصوص الواردة في هذا الباب من الآيات والأحاديث كثيرة جداً ، وهي إن لم ترد بلفظ التضامن فقد وردت بمعناه وما يدل عيه عند أهل العلم ، والأشياء بحقائقها ومعانيها لا بألفاظها المجردة » .

– أشكاله : لقد عدَّ الشيخ ابن باز أشكال التضامن الإسلامي ، ففصل بعضها وأجمل البعض الآخر . فمنها ما يلي :

« الإصلاح بين المسلمين ، وحلّ النزاع المسلح بينهم ، وقتال الطائفة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله ، عملاً بقوله تعالى : {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}[4]، وقوله

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، مرجع سابق ، ج٣/ص١٠٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج٣/ص١٠٧٠ .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١٩٠ .

(٤) سورة الأنفال ، آية (١) .

سبحانه :{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[1]، القيام بالإصلاح بينهم عموماً ، وبالإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين منهم خصوصاً ، وقتال الطائفة الباغية حتى ترجع عن بغيها ، وأن يكون الصلح على أسس سليمة قائمة على العدل والإنصاف ، لا على الميل والجور» .

« تبادل التمثيل السياسي ، أو ما يقوم مقامه بين الحكومات الإسلامية ؛ لقصد التعاون على الخير ، وحل المشاكل التي قد تعرض بينهم بالطرق الشرعية ، واختيار الرجال الأكفاء في عملهم ودينهم وأمانتهم لهذه المهمة العظيمة ».

« توجيه وسائل الإعلام إلى ما فيه مصلحة الجميع ، وسعادة الجميع ، في أمر الدين والدنيا ، وتطهيرها مما يضاد ذلك ».

الاجتماع على كتاب الله ﷻ فهو المراد بقوله تعالى :{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا }[2]، « وحبل الله سبحانه هو : دينه الذي أنزل به كتابه الكريم ، وبعث به رسوله الأمين محمداً ﷺ ، والاعتصام به : هو التمسك به ، والعمل بما فيه ، والدعوة إلى ذلك ، والاجتماع عليه ، حتى يكون هدف المسلمين جميعاً ، ومحورهم الذي عليه المدار ، ومركز قوتهم هو اعتصامهم بحبله ، وتحكمهم إليه ، وحل مشاكلهم على نوره وهداه ، وبذلك تجتمع كلمتهم ، ويتحد هدفهم ، ويكونون ملجأً لكل مسلم في أطراف الدنيا ، وغوثاً لكل ملهوف ، وقلعة منيعة ، وحصناً ضد أعدائهم .. وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه أمركم»[3] .

قال تعالى :{وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

(١) سورة الحجرات ، آية (٩ ، ١٠) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٠٣) .

(٣) أخرجه الإمام البخاري ، الأدب المفرد ، حديث رقم (٤٤٢) ، ص١٥٨ .

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[١]، هذه الآية من أصرح الآيات في وجوب التضامن الإسلامي . ولكن « تحذير المسلمين من التعاون على الإثم والعدوان لما في ذلك من الفساد الكبير ، والعواقب الوخيمة ، والتعرض لغضب الله سبحانه ، وتسليط الأعداء وتفريق الكلمة ، واختلاف الصفوف ، وحصول التنازع المفضي إلى الفشل والخذلان »[٢] .

وبعد ، فالتضامن الإسلامي هو سر النجاح « فالاجتماع والاتحاد والتعاون الصادق على الحق في كل أمة لا شك أنه سر النجاح وطريق الفوز والكرامة في الدنيا والآخرة »[٣] .

٤ . القومية ، دعوة تنافي الإسلام

من المعلوم والمسلم فيه أن الإسلام هو الذي جمع وألَّف بين المسلمين العرب وغير العرب ، وبه سادوا العالم ، ودانت لهم الأرض « وكانوا حينذاك في غاية من الصدق والإخلاص والوفاء والأمانة والتحابب في الله سبحانه والمؤاخاة فيه ، لا فرق عندهم بين عربي وعجمي ، ولا بين أحمر وأسود ، ولا بين غني وفقير ولا بين شرقي وغربي ، بل هم في ذلك إخوان متحابون في الله ، متعاونون على البر والتقوى ، مجاهدون في سبيل الله ، صابرون على دين الإسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم ، يوالون في الإسلام ، ويعادون فيه ، ويحبون عليه ، ويبغضون عليه ، ولذلك كفاهم الله مكائد أعدائهم ، وكتب لهم النصر في جميع ميادين جهادهم ، كما وعدهم الله سبحانه بذلك في كتابه المبين حيث يقول سبحانه :{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}[٤] .

وكل من له أدنى معرفة بتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده ؛ يعلم أنه لم يكن للعرب كبير قيمة تذكر ولا راية ترهب إلا بالإسلام ، وبه فتحوا البلاد وسادوا العباد ، وبه كانوا أمة مرهوبة الجانب ، محترمة الحقوق مرفوعة الرأس ، حتى غيروا فغُيِّر عليهم ، كما

---

(١) سورة المائدة ، آية (٢) .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١٩٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٢٠ .

(٤) سورة يونس ، آية (٤٧) .

قال سبحانه :{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }[١] .

ثم بعد هذا الشرف العظيم والنصر المؤزر من المولى سبحانه لعباده المؤمنين من العرب وغيرهم ، نرى نفراً من أبنائنا يخدعون بالمبادئ المنحرفة ، ويدعون إلى غير الإسلام ، كأنهم لم يعرفوا فضل الإسلام وما حصل لأسلافهم بالإسلام من العزة والكرامة والمجد الشامخ . . نسي هؤلاء أو تناسوا هذا المجد المؤثل والعز العظيم . . فصار هؤلاء الأبناء يدعون إلى التكتل والتجمع حول القومية العربية »[٢] .

حقيقة القومية

« فصل الدين عن الدولة ، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع ، والاعتياد عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى ، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة . . ومن زعم من دعاة القومية أن الدين من عناصرها ، فقد فرض أخطاء على القوميين ، وقال عليهم ما لم يقولوا ؛ لأن الدين يخالف أسسهم التي بنوا القومية عليها ، وإنما الحقيقة أنها تنافس الإسلام وتحاربه في عقر داره ، وتطلى ببعض خصائصه ترويجاً لها وتلبيساً ، أو جهلاً وتقليداً »[٣] .

« لا ريب أن الدعوة إلى أن تكون القومية العربية هي الرابطة الأولى بين العرب ، دعوة باطلة لا أساس يؤيدها ، لا من العقل ولا من النقل ، بل هي دعوة جاهلية إلحادية يهدف دعاتها إلى محاربة الإسلام ، والتملص من أحكامه وتعاليمه .

وإذا كان الهدف من الدعوة إلى القومية العربية أن يجتمع العرب ، وأن يشتركوا في مصالحهم ، وأن ينتصفوا من عدوهم ويطردوه عن بلادهم ، فليس هذا هو السبيل إلى هذا الغرض النبيل ، وإنما السبيل الوحيد هو الرجوع إلى دينهم الحق الذي به شَرُفوا وعُرفوا وبرزوا في الميدان »[٤] .

---

(١) سورة الرعد ، آية (١١) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٢٨٢ .

(٣) المرجع سابق ، ج١/ص٢٨٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج١/ص٣١٩ .

ويحذر ابن باز كل عاقل من اعتناق القومية ، أو الانخداع ببريقها « وإذا عرفت أيها القارئ ما تقدم ، فاعلم أن هذه الدعوة ؛ أحدثها الغربيون من النصارى ، لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره ، بزخرف من القول ، وأنواع من الخيال ، وأساليب من الخداع ، فاعتنقها كثير من الجهّال ، وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان ، ومن المعلوم من اليد بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربة أو غيرها من القوميات : دعوة باطلة وخطأ عظيم ، ومنكر ظاهر ، وجاهلية وكيد سافر للإسلام وأهله »[1] .

وحتى يبرأ ابن باز -رحمه الله- من ذنب الدعاة إلى القومية ومعتنقيها ؛ فقد انتقدها من عدة وجوه ، من هذه الوجوه ما يلي :

(الوجه الأول) : « أن الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين ، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرق بين العرب أنفسهم ؛ لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها ، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم ، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً : فكرة باطلة ، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه ؛ وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام ، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى . . لا شك أنه يحزن المستعمر ويقلق راحته كل تجمع وتكتل ضد مصلحته ، ولكن خوفه من التجمع والتكتل حول الإسلام أعظم وأكبر ، ولذلك رضي بالدعوة إلى القومية العربية ، وحفّز العرب إليها ؛ ليشغلهم بها عن الإسلام وليقطع بها صلتهم بالله سبحانه ؛ لأنهم إذا فقدوا الإسلام حرموا ما ضمنه الله لهم من النصر . . أن الدعوة إلى القومية العربية -كما أنها إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده- فهي أيضاً إساءة إلى العرب أنفسهم ، وجناية عليهم عظيمة ؛ لكونهما تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر »[2] .

(الوجه الثاني) : « إن الإسلام نهى عن دعوة الجاهلية وحذّر منها ، وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة . . ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية ؛ لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق . وكم جرَّت الجاهلية على

---

(١) المرجع السابق ، ج١/ص٢٨٥

(٢) المرجع السابق ، ج١/ص٢٨٥ .

أهلها من ويلات وجروب طاحنة ، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب .. »[1] ومما ورد في ذلك من النصوص اقتتل غلامان ، غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار . فنادى المهاجر أو المهاجرون : يال المهاجرين ، ونادى الأنصاري : يال الأنصار ، فخرج رسول الله ﷺ فقال :(ما هذا ، دعوى أهل الجاهلية ؟)[2] .

لقد صدق الشيخ ابن باز عند تحليله ؛ فهؤلاء اليهود قد خططوا لقيام القومية وغيرها من الشعارات العصبية . يقول أحدهم : لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأميين الشخصية والقومية ، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً [3] .

(الوجه الثالث) : « إنها سلَّم إلى موالاة كفار العرب وموديم من غير المسلمين وغيرهم . ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير ، والمخالفة لنصوص القرآن والسنة ، الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم ، ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة »[4] .

٥ . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

جميل أن يصوِّر الإسلام المجتمع الكبير وكافة أفراده بجماعة السفينة الذين استهموا عليها فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فأراد الذين في أسفلها خرق نصيبهم فيها ليستقوا منه الماء ، فهل يتركهم شركاءهم على ما قرروه من الخطأ ، أم ينكرون عليهم؟ وهذا نص الحديث : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا اتقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من

(١) المرجع السابق ، ج١/ص٢٨٦ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٥٨٤) ، ص١١٠٢ .

(٣) بروتوكلات حكماء صهيون ، مرجع سابق ، ص١٨١ .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٢٩٦ .

فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً)[١] .

« تأمل أيها المسلم هذا المثل العظيم من سيد ولد آدم ورسول رب العالمين ، وأعلم الخلق بأحوال المجتمع وأسباب صلاحه وفساده ؛ تجده واضح الدلالة على عظم شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنه سبيل النجاة وطريق صلاح المجتمع »[٢] .

ذكر الله ﷻ هذا المبدأ الاجتماعي في القرآن الكريم كثيراً ، ولعظم شأنه قدَّمه حتى على الإيمان بالله جل جلاله « وذكر أن أمة محمد ﷺ هي خير الأمم بسبب صفاتها الحميدة التي من أهمها قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[٣] : {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[٤]، وذكر أنه من أخص أخلاق المؤمنين والمؤمنات وصفاتهم الواجبة التي لا يجوز لهم التخلي عنها أو التساهل بها : {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٥] . فهم بسبب أعمالهم وصفاتهم هذه نالوا الرحمة ، « ولا تنال الرحمة بالأماني ولا بالأنساب ؛ ككونه من قريش أو من بني هاشم أو من بني فلان ، ولا بالوظائف ؛ ككونه ملكاً أو رئيس جمهورية أو وزيراً أو غير ذلك من الوظائف ، ولا تنال بالأموال والشعارات ، ولا بوجود كثرة المصانع ، ولا بغير هذا من شئون الناس ، وإنما تنال الرحمة بطاعة الله ورسوله واتباع شريعته »[٦] .

وقد كان ﷺ « يحرِّض الناس دائماً على القيام بأمر الله ، ويحذِّرهم من ركوب محارمه ، ويأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويذكر لهم عاقبة من نفذ أمر الله ، وعاقبة من تساهل بأمره جل وعلا ، ليتعظوا وليتذكروا . . ومن ذلك ما ثبت عنه عليه

---

(١) أخرجه الإمام المسلم ، حديث رقم (٢٤٩٣) ، ج٥/ص٤٢٩ .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٢٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ج٣/ص٢٦٤ .

(٤) سورة آل عمران ، آية (١١٠) .

(٥) سورة التوبة ، آية (٧١) .

(٦) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ ص٦١ .

الصلاة والسلام : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[١]، وقوله ﷺ : (لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فواكلوهم وشاربوهم وجالسوهم ، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ، ثم لعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم :{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ})[٢] .

وقال ﷺ : « كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه –أو على يد الظالم– ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقسرنه على الحق قسراً ؛ أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم »[٣] .

وهذا وعيد شديد يدل على أن من فعل مثلما فعل أولئك ، من إضاعة أمر الله ، وعدم إنكار المنكر ، وعدم الأمر بالمعروف ، أنه متوعد بأن يصيبه ما أصاب أولئك ، فإن القوم إنما أصيبوا بأفعالهم السيئة ، لا بأنسابهم ولا بأموالهم ، بل أصيبوا بأفعالهم المنكرة ، ولُعنوا وغُضِب عليهم بأعمالهم القبيحة . فمن فعل فعلهم وشاركهم في هذه المعاصي استحق مثل عقوبتهم ، واستحق من الوعيد بمثل ما استحقوا ، فإن الجزاء إنما هو على الأعمال ، لا على الأنساب والأموال ، ولكن على الأعمال ، وعنادهم للحق على بصيرة »[٤] .

حقيقة المعروف والمنكر

المعروف : « هو كل ما أمر الله به ورسوله ﷺ ، والمنكر هو : كل ما نهى الله عنه ورسوله ، فيدخل في المعروف جميع الطاعات القولية والفعلية ، ويدخل في المنكر جميع المعاصي القولية والفعلية »[٥] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ، حديث رقم (١) ، ج١/ص١٥_ص١٦ .

(٢) سورة المائدة ، آية (٧٨ ، ٧٩) . والحديث أخرجه الإمام الترمذي ، حديث رقم (٣٢٣٩) ، ج٨/ص٣٢٦_ص٣٢٧ .

(٣) أخرجه الإمام أبو داود ، حديث رقم (٤٣٢٦) ، ج١١/ص٣٢٧ .

(٤) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٧٠_ص٢٧١ .

(٥) المرجع السابق ، ج٣/ص٢٦٧ .

مبدأ الحرية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . والمسئولية

لقد شرع الإسلام مبدأ الحرية كما شرع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر ، فليس بينهما اختلاف إلاَّ عند من يجعل الحرية مطلقة لا تحدها حـدود ، وهـذا فـهم خاطئ ؛ لأن الإنسان يعيش بين أفراد المجتمع ، فإن أخذ كل منهم حريته في التصرف و لم يراعي حقوق إخوانه و لم يهتم بمن حوله تصبح الحياة فوضـى ، لا تنظمـها حقـوق ولا واجبات ، وسيكثر الفساد في المجتمع ويهلك الجميع كما بينـت الآيـات الكريمـة والأحاديث النبوية السابقة .

إن الإسلام ينكر الحرية بهذا المفهوم ، ويرفض أن يكون أتباعه على هذا النحو مـن الفوضى وقلة المبالاة وعدم الاكتراث ، لأن الحرية بهذا المفهوم هي عين الهمجية . ومـن أجل تماسك المجتمع ومن أجل الحفاظ على مقدساته من دين وخلق وسـلوك ؛ وضـع الإسلام للحرية مفهوماً يدعم الروابط بين الناس ويؤكد احترام المقدسات في النفـوس ، فلا حرية لأي إنسان في عمل يضر غيره ، ولا حرية له في عمل يخالف بـه الشريعة ، ولا حرية له في عمل يعرِّضه هو نفسه للتلف والفساد[1] .

ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يحجر الحرية أو يعطِّلها ، ولكنه يحدهـا بضوابط الشرع ، فإن تجاوزت الحدود تدّخل للإصلاح . فإن أراد أحدهم قتل نفسـه وخطط لذلك فلا يتركه من حوله يفعل ما يشاء ، بل يأخذوا على يديه ويمنعوه ؛ هـذه مسئوليتهم عنه ، فكما أن الإنسان مسؤول عن نفسه كذلك هو مسؤول عن غيره فيمـا يستطيع عمله له ، يقول الرسول ﷺ : (كلكم راع ومسؤول عن رعيته)[2]، وقـال ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يسـتطع فبقلبـه)[3]، « فالأمر عظيم والمسئولية كبيرة »[4] .

---

(١) الوكيل ، محمد السيد . أسس الدعوة وآداب الدعاة . ط٤ ، المملكة العربية السعودية / جدة : دار المجتمـع ، (١٤١٤هـ) ، ص٣٤٠ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٨٢٩) ، ص٨٢٥ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٤٩) ، ص٨١ .

(٤) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٢٣١ .

ضرورته في العصر الحديث

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسس الشرائع الربانية كلها . وهو من أعظم فرائض الإسلام . ومبدأ كهذا لابد أن له أهمية كبيرة! فقد تربى عليه الرعيل الأول ومن بعدهم ، ولا يزال الناس بخير ما تمسكوا به ، وهو مبدأ إن تحقق ظهر الصلاح بين الناس ، وإن غُفل عنه انتشر الفساد ، وأما ضرورته فلكل أمة تنشد الحياة السعيدة .

لقد صور ابن باز نتيجة تحقيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع بصور مختصرة ومعبرة « تصلح الأمة ، ويكثر فيها الخير وتظهر فيها الفضائل وتختفي منها الرذائل ، ويتعاون أفرادها على الخير ، ويتناصحون ويجاهدون في سبيل الله ، ويأتون كل خير ، ويذرون كل شر »، هذا مجتمع الفضيلة ، وأما مجتمع الرذيلة فهو الذي ضاع فيه هذا المبدأ الأصيل وغُفل عنه ، فتتكون فيه « الكوارث العظيمة ، والشرور الكثيرة ، وتفترق الأمة ، وتقسو القلوب أو تموت ، وتظهر الرذائل وتنتشر ، وتختفي الفضائل ويُهضم الحق ، ويظهر صوت الباطل »[1] .

« إن حاجة المسلمين وضرورتهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شديدة ؛ لظهور المعاصي ، وانتشار الشرك والبدع في غالب المعمورة ، وقد كان المسلمون في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه وفي عهد السلف الصالح يعظّمون هذا الواجب ، ويقومون به خير قيام ، فالضرورة إليه بعد ذلك أشد وأعظم ، لكثرة الجهل وقلة العلم وغفلة الكثير من الناس عن هذا الواجب العظيم »[2] .

تحتاج أمة الإسلام اليوم إلى الاستقرار والتمكين في الأرض ، وذلك لتتمكن من النصر على أعدائها ، ولن تبلغ هذا المبلغ ، إلاّ باجتماعها وتحقيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول الله ﷻ وهو يقسم سبحانه على ذلك :{الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ

(١) المرجع السابق ، ج٥/ص٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ج٥/ص٥٩ .

الأُمُورِ}[١] . ولا يغرّ المسلم العاقل قوة المجتمعات الغربية وتملكها الحضارة المادية ؛ أنها مجتمعات مستقرة آمنة ، يطبق فيها النظام . بل هي مجتمعات تكثر فيها الفتن ويعمها الخبث والضياع ، وتنتشر بين أفرادها الرذيلة وأنواع الفساد .

لقد قدَّر -رحمه الله- أهمية هذا المبدأ وشدة الحاجة إليه ، فكان يهتم به ويطبقه بكل ما أوتي من قوة ، بل لقد شغله ، ليله بنهاره ، فكان هاجسه وهمه الدعوة إلى الله ﷻ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على رأسها ، فكان يحث عليها ويرغِّب فيها ويعلمها العلماء وطلبة العلم وكل مريد ؛ خوفاً منه وغيّرة على المجتمع المسلم من أن تظهر فيه الفتن ، أو يعمه الجهل والفساد . وللقارئ أن يستفيد من علم الشيخ ابن باز ومن خبرته الدعوية في خلال هذا العرض :

مطالب تربوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

– أسلوب الأمر والنهي

أو قل الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ويسلكها

« أما كيفية الدعوة وأسلوبها ، فقد بيّنها الله ﷻ في كتابه الكريم . . ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[٢] .

(١) أسلوب الحكمة :

والمراد بها الأدلة المقنعة ، الواضحة ، الكاشفة للحق ، والداحضة للباطل . . فالحكمة كلمة عظيمة ، معناها الدعوة إلى الله بالعلم والبصيرة والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق ، والمبيِّنة له . . وهكذا كل مقال واضح صريح صحيح في نفسه فهو حكمة ، فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة ، وهكذا السنة الصحيحة أولى بأن تُسمى حكمة بعد كتاب الله . وقد سماها الله حكمة في كتابه العظيم ، كما في قوله جل

---

(١) سورة الحج ، آية (٤١) .

(٢) سورة النحل ، آية (١٢٥) .

وعلا : {وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[١]، وكما في قوله سبحانه : {يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً}[٢] . ويؤكد ابن باز هنا على أن يُبدأ بهذا الأسلوب ويُعنى به « وإذا رأى من أخيه في الله أو أخته في الله تقصيراً في الواجب أنكر عليه ذلك ، وأمره بالمعروف ، كل ذلك بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن . . لا بالألقاب المكروهة والأسلوب الشديد ، وبيِّن له أن هذا الأمر لا يجوز له . . كأن تقول له : يا عبدالله ، اتق الله وراقب الله ، هذا لا يجوز لك ، حافظ على الصلاة في الجماعة ، دع عنك ما حرم الله عيك . . »[٣] .

(٢) أسلوب الموعظة

وهو من الأساليب المؤثرة كثيراً في الناس لأنها تثير عواطفهم نحوها ، فالنفس البشرية تتأثر وتنفعل ؛ إذا استحسنت أمر « الأسلوب الحسن والكلام الطيب ، والدليل الواضح مما قاله الله وقاله رسوله مع الدعاء له بالتوفيق حتى لا تحصل النفرة . . فيجتهد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في استعمال الألفاظ التي يرجى بسببها قبول الحق »[٤]، « فإذا كان المدعو عنده بعض الجفاء والاعتراض ، دعوته بالموعظة الحسنة ، بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب »[٥] .

(٣) أسلوب المجادلة [٦]

« فإن كان عنده شبهة جادلته بالتي هي أحسن ، ولا تُغلظ عليه ، بل تصبر عليه ، ولا تعجل ولا تعنف ، بل تجتهد في كشف الشبهة وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن »، هكذا ينبغي لك أيها الداعية أن تتحمَّل وتصبر ، ولا تُشدِّد لأن هذا أقرب إلى الانتفاع

---

(١) سورة الجمعة ، آية (٢) .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٦٩) .

(٣) ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله . وجوب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الوطن ، (١٤١٣هـ) ، ص٢٩_ص٣٠ .

(٤) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٥/ص٦١ .

(٥) ابن باز ، وجوب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، مرجع سابق ، ص٣١ .

(٦) المرجع السابق ، ص٣١ .

بالحق وقبوله ، وتأثر المدعو ، وصبره على المجادلة والمناقشة » .

« إلا إذا ظهر من المدعو العناد والظلم ، فلا مانع من الإغلاظ عليه ، كما قال الله سبحانه :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}(١)، وقال تعالى :{وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}(٢) » .

– العلم بالأمر والنهي

وقد خصه ابن باز من صفات الدعاة التي ينبغي أن يكونوا عليها « أن تكون على بينة في دعوتك ، أي على علم ، لا تكن جاهلاً بما تدعو إليه :

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ}(٣)، فإيَّاك أن تدعو على جهالة ، وإيَّاك أن تتكلم فيما لا تعلم ، فالجاهل يهدم ولا يبني ، ويفسد ولا يصلح »(٤)، يبيّن –رحمه الله– المراد بالعلم « والعلم هو ما قاله الله في كتابه الكريم ، أو قاله الرسول في سنته الصحيحة . ويعرف طريقة الرسول ﷺ في دعوته إلى الله وإنكاره المنكر ، وطريقة أصحابه رضوان الله عليهم ، ويتبصر في هذا بمراجعة . . ومراجعة أقوال العلماء »(٥) .

– تمثيل القدوة الصالحة

معلوم أن الإنسان يتأثر بمن يدعوه ومن يكون في مقام المربي له ، ولن يستطيع المربي الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكسب قلوب الناس إلاّ إذا كان لهم قدوة فيما يدعوهم إليه

ولأنه –رحمه الله– كان مثال القدوة الصالحة فقد أثر كثيراً في الناس ، بل كانوا يأخذون عنه ثقة فيه وحباً له ، وكانوا يستحسنوا كل ما يقوله ويعجبون بشخصه ؛ لأنه رأوه القدوة الحية أمامهم ؛ ولأن الإنسان بطبعه يميل إلى المثال الحي الحسن ، الجدير بالتقليد والمحاكاة .

---

(١) سورة التوبة ، آية (٧٣) .

(٢) سورة العنكبوت ، آية (٤٦) .

(٣) سورة يوسف ، آية (١٠٨) .

(٤) ابن باز ، وجوب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، مرجع سابق ، ص٥٠ .

(٥) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ،ج٤/ص٢٣٣ .

وقد أوجب ابن باز تمثيل القدوة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجعلها من صفات الداعية «أن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه ، ليس ممّن يدعو إلى شيء ثم يتركه أو ينهى عنه ثم يرتكبه ، هذه حال الخاسرين -نعوذ بالله من ذلك- أمَّا المؤمنون الرابحون فهم دعاة الحق ، يعملون به ، وينشطون فيه ، ويسارعون إليه ، ويبتعدون عما ينهون عنه ، قال الله جل وعلا :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ}[1]، وقال سبحانه :{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ}[2]، وصح عن النبي ﷺ أنه قال : (يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى . فيجتمع عليه أهل النار . فيقولون : يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه)[3] . هذا حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، ثم خالف قوله فعله ، وفعله قوله»[4] .

- مراعاة العواقب

لا بد من مراعاة العواقب كما قال الله سبحانه :{فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ}[5]، وقال تعالى :{وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ}[6]، « ولهذا ذكر ابن القيم -رحمه الله- أن الإنسان إذا كان أمره بالمعروف في بعض الأحيان قد يفضي إلى ما هو أنكر من المنكر الذي يريد أن ينهي عنه ، فإنه لا يجوز له أن ينهي عن المنكر في هذه الحالة إذا كان إنكار المنكر يفضي إلى ما هو أنكر منه وأشد . . فإذا كان إنسان مثلاً يشرب الخمر ولكنك إذا نهيته عن ذلك ومنعته عن ذلك ؛ اشتغل بقتل الناس فحينئذ يكون ترك الإنكار عليه أولى ؛ لأن شرب الخمر أسهل من كونه يتعدى

---

(١) سورة الصف ، آية (٢ ، ٣) .

(٢) سورة البقرة ، آية (٤٤) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٩٩٨٩) ، ص١٢٤٧ .

(٤) ابن باز ، وجوب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، مرجع سابق ، ص٥٢_ص٥٣ .

(٥) سورة الحشر ، آية (٢) .

(٦) سورة الأنعام ، آية (١٠٨) .

على الناس بالقتل »[١] .

فاعتبار العواقب من باب جلب المصالح ودرء المفاسد « يراعى في ذلك -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- تحصيل المصالح ودرء المفاسد ، وتحصيل المصلحة الراجحة بتفويت المصلحة المرجوحة ، وتعطيل المفسدة الكبرى بارتكاب المفسدة الصغرى عند العجز عن تفويتهما جميعاً »[٢] .

- مراعاة الأحوال والعوائد

والمقصود بها أحوال الناس وعاداتهم « فقد يكون عرف هذه البلدة وهذا الإقليم غير عرف الإقليم الآخر والبلدة الأخرى . وقد يكون لهذا الشخص من النيات والمقاصد ما ليس لشخص آخر ويكون لهؤلاء من العوائد ما ليس للآخرين ، وقد تكون أزمان لا يليق أن يفعل فيها ما يليق في الزمن الآخر كما كانت الدعوة في عهد النبي ﷺ في مكة غير حالها في المدينة لاختلاف الزمان والمكان والقوة والضعف . . ومثل لذلك بأمثلة منها : إقامة الحد في أرض العدو إذا وجد من بعض الغزاة ما يوجب الحد في أرض العدو . لماذا ؟ لأنه قد يغضب ويستولي عليه الشيطان فيرتد عن دين الإسلام لذلك ولقربه من العدو . ومن ذلك عام المجاعة فإذا كان مجاعة واشتدت الحال بالناس لا ينبغي القطع في هذه الحالة للسارق ، إذا ادعى أن الذي حمله على ذلك الضيق والحاجة وعدم وجود شيئاً يقيم أوده ويسد حاجته ؛ لأن هذا شبهة في جواز القطع والحدود تدرأ بالشبهات . ولهذا أمر عمر ﷺ وأرضاه في عام الرمادة بعدم القطع ، وحكم بذلك رضي الله عنه وأرضاه لهذه الشبهة »[٣] .

ومن الضروري جداً تخيُّر الأوقات المناسبة للتربية والتوجيه ، وتكرار المحاولة وعدم اليأس ، فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء « ومع ملاحظة الأوقات ، فقد يكون بعض الناس في وقت لا يقبل التوجيه ، ولكنه في وقت آخر يكون

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٤٣ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٤١-ص٢٤٢ .

متهيئاً للقبول . . ولا ييأس إذا لم يُقبل منه اليوم أن يُقبل منه غداً . . مع حسن الظن بالله والرغبة فيما عند الله عز وجل »[1] .

ويقرر الله ﷻ وعداً منه بنصر الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر :{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}[2]، « وهو يعم النصر في الدنيا والتمكين فيها والنصر والرضى من الله سبحانه يوم القيامة ، يوم يقوم الأشهاد »[3] . وبعد فالحق أن يقال « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبيل صلاح المجتمع كما أنه سفينة النجاة »[4] .

---

(١) المرجع السابق ،ج٤/ص٥١ .

(٢) سورة الحج ، آية (٤٠ ، ٤١) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٧٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج٣/ص٢٦٤ .

خامساً : تربية المرأة عند ابن باز

لقد أنصف ابن باز المرأة ، معبراً بأفكاره تجاهها عن رأي الإسلام فيها . ومجتهداً فيما استجد من شؤونها . محاور هذا المبحث ستة : مكانة المرأة ، الدين في حياة المرأة ، نقصان العقل والدين ، المرأة وطلب العلم ، المرأة والعمل ، خروج المرأة وما يتبعه . .

١ – مكانة المرأة

« إن للمرأة المسلمة مكانة رفيعة في الإسلام . وأثراً كبيراً في حياة كل مسلم ، فهي المدرسة الأولى في بناء المجتمع الصالح ، إذا كانت هذه المرأة تسير على هدى من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؛ لأن التمسك بهما يعدل كل مسلم ومسلمة عن الضلال في كل شيء »[1] . « والأهمية تكمن فيما يُلقى عليها من أعباء وتتحمل من مشاق تفوق في بعضها أعباء الرجل ؛ لذلك كان من أهم الواجبات شكر الوالدة وبرها وحسن صحبتها وهي مقدمة في ذلك على الوالد ، قال تعالى :{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[2] .

ومكانة الزوجة وتأثيرها على هدوء النفوس أبانته الآية الكريمة قال تعالى :{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}[3] . ولقد كان للوقفة الفريدة التي وقفتها خديجة رضي الله عنها أكبر الأثر في تهدئة روع رسول الله ﷺ عندما نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي في غار حراء لأول مرة فجاء إليها ترجف بوادره فقال :(زملوني زملوني . . لقد خشيت على نفسي ، قالت رضي الله عنها : أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً . والله إنك لتصل الرحم ،تصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق)[4] . ويبقى هذا

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٣٤٨ .

(٢) سورة لقمان ، آية (١٤) .

(٣) سورة الروم ، آية (٢١) .

(٤) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٦٠) ، ص١١٨ .

الموقف خالداً مسطر أروع الأمثال التربوية للزوجة المسلمة ، التي قامت بواجبها على أكمل وجه ، وأعانت زوجها في السراء والضراء بكل ما تملك . وكثيرة هي سير العظماء من الرجال في التاريخ الإسلامي وغيره ، التي كان للمرأة فيها دور الأبطال : تربية وتوجيهاً ومساندة وتشجيعاً .

إن من أهم عوامل النجاح في حياة الرجل : المرأة « ومما لا شك فيه أن البيت الذي تسوده المودة والمحبة و الرأفة والتربية الإسلامية ؛ سيؤثر على الرجل فيكون بإذن الله موفقاً في أمره ، ناجحاً في أي عمل » [1] . فلولا قيام المرأة بواجباتها تجاه بيتها وأبنائها وزوجها لما استطاع هذا الرجل أن يكون ناجحاً .

٢ – الدين في حياة المرأة .

لكي تدرك كل امرأة مكانتها في الإسلام لا بد أن تعرف حقوقها التي قررها الله لها « لقد كرَّم الله عز وجل المرأة واهتم بها وهيأ لها أسباب الحفظ والرعاية ، فمثلاً رغَّب في الإحسان إليها كل مسلم وجعل لذلك الأجر العظيم ، قال رسول الله ﷺ :(من ابتلي من البنات بشيء ، فأحسن إليهنَّ ، كُنَّ له ستراً من النار)[2]، « وهكذا لو كان له أخوات أو عمَّات أو خالات أو نحوهن ، فأحسن إليهن فإننا نرجو له بذلك الجنة ، فإنه متى أحسن إليهن فإنه بذلك يستحق الأجر العظيم ، ويحجب من النار ويحال بينه وبين النار لعمله الطيب »[3] .

٣– نقصان العقل والدين

لقد حدد ابن باز المقصود من نقصان العقل والدين عند المرأة كما جاء ذلك في السنة الشريفة ونبَّه –رحمه الله– أنه « لا ينبغي للمؤمن أن يرميها بالنقص في كل شيء ، وضعف الدين في كل شيء ، وإنما هو ضعف خاص بدينها ، وضعف في عقلها فيما يتعلق بضبط الشهادة ونحو ذلك ، فينبغي إيضاحها وحمل كلام النبي ﷺ على خير

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٣٥٠ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٢٦٢٩) ، ص١١١٧ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٣٧٦ .

المحامل وأحسنها »[١] .

يقول الرسول ﷺ :(ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن) ، فقيل يا رسول الله ما نقصان عقلها ؟ قال : (أليست شهادة المرأتين بشهادة رجل) ؟ قيل : يا رسول الله ما نقصان دينها ؟ قال : (أليست إذا حاضت لم تصل ولم تصم)[٢] .

« ولا يلزم من هذا أن تكون أيضاً دون الرجل في كل شيء ، وأن الرجل أفضل منها في كل شيء ، نعم جنس الرجال أفضل من جنس النساء في الجملة ؛ لأسباب كثيرة ، كما قال الله سبحانه وتعالى :{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ}[٣]، لكن قد تفوقه في بعض الأحيان في أشياء كثيرة ، فكم لله من امرأةتفوق كثير من الرجال في عقلها ودينها وضبطها . . وقد تكثر منها الأعمال الصالحات فتربو على كثير من الرجال في عملها الصالح وفي تقواها لله عز وجل وفي منزلتها في الآخرة ، وقد تكون لها عناية في الأمور فتضبط ضبطاً كثيراً ، أكثر من ضبط بعض الرجال في كثير من المسائل التي تعنى بها وتجتهد في حفظها وضبطها ، فتكون مرجعاً في التاريخ الإسلامي وفي أمور كثيرة ، وهذا واضح لمن تأمل أحوال النساء في عهد النبي ﷺ وبعد ذلك »[٤]، لقد غيَّر الإسلام حياة المرأة وأعطاها من الحقوق الكثير والتي لم تكن لها من قبل ، ولم تعرفها في أيٍ من قوانين اليوم . والتي تنادي بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل !

٤ – المرأة وطلب العلم

ينادي ابن باز بضرورة تعلم المرأة ، ولا يحدد لهذا التعليم مرحلة أو حداً معيناً ، بل يجعله تبعاً لحريتها وحاجتها وطموحها في الحياة ، ولكنه يشترط له الاستفادة العلمية

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٢٩٤ .

(٢) أخرجه الإمام أبو داود ، حديث رقم (٤٦٦٧) ، ج١٢/ص٢٨٦ .

(٣) سورة النساء ، آية (٣٤) .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٢٩٣ .

« ليس هناك حد لتعليم البنات ، بل يتعلمن حتى أعلى المراحل ليستفدن ويفدن »[١] .

٥ - المرأة والعمل

النساء شقائق الرجال ، خلقهن الله ﷻ مكملات للرجال ، وبذلك يكمل طرفا المجتمع . ويرى ابن باز أن عمل المرأة الأساسي في بيتها التي تنتمي إليه سواء كان بيت زوجها أو أبيها أو من يعولها غيرهم ثم لها أن تعمل خارجه ولكن بين النساء فقط ، وذلك مراعاة لطبيعتها ، وخوفا عليها « معلوم أن الله تبارك وتعالى جعل للمرأة تركيبا خاصا يختلف تماما عن تركيب الرجال ، هيأها به للقيام بالأعمال التي في داخل بيتها والأعمال التي بين بنات جنسها »[٢] .

قد ثبت علميا أن المرأة أقوى من الرجل . ليس في قوى العضلات والأعمال الشاقة ، ولكن بيولوجيا ، هي أقدر على تحمل الإرهاق والأمراض من الرجل ، وقد أسند إليها بعض الأعمال التي لا يستطيعها الرجل بحكم طبيعته ، فمثلا : الحمل والولادة ، وما يتخللهما من أمراض ومتاعب نفسية وجسدية ، ثم تربية الأطفال ورعايتهم والصبر على ذلك . كلها وغيرها تحتاج إلى قوى طبيعية في جسم القائم بها ، وإلا لما عينت المرأة ووظفت في دور رعاية الأطفال وحضانتهم ، ولوجد الرجل ممن يشغل مثل هذه الوظائف ويقوم بمهامها . ثم تلك المشاعر - من حب وحنان وشفقة وغيرها مما قد فطرت عليه - التي في قلب الأم ؛ لا يملكها الآباء وإن وصفوا بها أحيانا .

وابن باز لا يعارض عمل المرأة مطلقا ، ولكنه -رحمه الله- يحدده بالدور التعاوني لدور الرجل ، وبتخصص كل منهما ، وليس بالدور المنافس لدور الرجل ، كما ينادي به دعاة المساواة بغير وجه صحيح ، وإلا فبيتها أفضل لها « فيه صلاحها وصلاح المجتمع وصلاح الناشئة ، فإن كان عندها فضل ففي الإمكان تشغيلها في الميادين النسائية كالتعليم لنساء ، والتطبيب ، والتمريض . لهن ذلك . . وفيها شغل لهن شاغل ، وتعاون مع الرجال في أعمال المجتمع وأسباب رقيه ، كل في جهة اختصاصه . ولا ننسى هنا دور

---

(١) المؤسسة العربية ، مرجع سابق ، ص٤٢ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٤١٩ .

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ومن سار في سبيلهن ، وما قمن به من تعليم للأمة وتوجيه وإرشاد ، وتبليغ عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ فجزاهن الله عن ذلك خيراً »[1] .

المرأة في نظر ابن باز « لا ريب أن الإسلام جاء بإكرام المرأة والحفاظ عليها وصيانتها عن ذئاب بني الإنسان ، وحفظ حقوقها ورفع شأنها ، فجعلها شريكة الذكر في الميراث وحرّم وأدها وأوجب استئذانها في النكاح وجعل لها مطلق التصرف في مالها إذا كانت رشيدة ، وأوجب لها على زوجها حقوقاً كثيرة ، وأوجب على أبيها وقرابتها الإنفاق عليها عند حاجتها ، وأوجب عليها الحجاب عن نظر الأجانب إليها لئلا تكون سلعة رخيصة يتمتع بها كل أحد قال تعالى : {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ }[2] »[3]، وفي مقابل هذه الحقوق التي قررها الإسلام للمرأة ، الحقوق المسلوبة والظلم الذي تجده المرأة الغربية ، المرأة المتحررة ، التي يخرجها أبوها عن رعايته ، بعد بلوغها سن الرشد ، ويتخلى عنها لتتحمل مسؤولية نفسها . وليس للأم عندهم أي حق ! بعد رعايتها لأبنائها وتربيتهم ، ومن ثم استغنائهم عنها ، تقعد وحيدة تربي الحيوانات . وليست الزوجة عندهم بأحسن حال من الابنة والأم ، فهي مسلوبة في كثير من الحقوق ، ولزوجها كل التصرف في مالها وليس لها حق النفقة منه ، بل حتى اسمها يتغير بتغير زوجها .

٦ – خروج المرأة وما يتبعه . .[4]

– يرى ابن باز أن خروج المرأة من بيتها للعمل مع الرجل أو في غير تخصصها فيه ؛ ضرر يقع به عليها ؛ لأنه يخالف طبيعتها « وإخراج المرأة من بيتها الذي هو مملكتها ومنطلقها الحيوي في هذه الحياة ؛ إخراج لها عما تقتضيه فطرتها وطبيعتها التي جبلها الله عليها » ، ويضيف –رحمه الله– « أمر الله أمهات المؤمنين – وجميع المسلمات والمؤمنات

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٤٢٧ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٥٣) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٤/ص٣٠٨ .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج١/ص٤١٨_ص٤٢٤ .

داخلات في ذلك- بالقرار في البيوت لما في ذلك من صيانتهن عن وسائل الفساد ؛ لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى شرور أخرى » ، قال تعالى :{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى }[1]، « سمى الله مكث المرأة في بيتها قراراً ، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة ، ففيه استقرار لنفسها وراحة لقلبها وانشراحاً لصدرها . فخروجها عن هذا القرار يفضي إلى اضطراب نفسها وقلق قلبها وضيق صدرها وتعريضها لما لا تحمد عقباه » ، فهو يعتبره جناية في حقها « إن اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعتبر إخراجاً لها عن تركيبها وطبيعتها . وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنوياتها وتحطيم لشخصيتها » ، وذلك ؛ لأنها جرمت من بيتها الذي يوفر لها الراحة النفسية وهو مملكتها التي تستمد منها قوتها والتي« لا يمكن أن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة إلا فيها ، وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول » .

- وكذلك يعتبر ابن باز خروج المرأة من بيتها من غير ضرورة ، أنه جناية ؛ لأن فيه إهمال لتربية أولادها « ويتعدى ذلك إلى أولاد الجيل من ذكور وإناث ؛ لأنهم يفقدون التربية والحنان والعطف » . وفيه أيضاً « ضياعاً للبيت بمن فيه ، ويترتب عليه تفكك الأسرة حسياً ومعنوياً ، وعند ذلك يصبح المجتمع شكلاً وصورة لا حقيقة ومعنى » .

فدور المرأة في المجتمع -كما يراه ابن باز- دور له حقيقته ومعناه ، ولا يستصغره أحد ، وتستطيع الواحدة من النساء أن تصلح أمة ، أو تفسدها . ولكن أولاً : يبقى عمل المرأة الأساسي في البيت ، ولا يستطيع أن يشغله أحد مثلها ! فإن وجد **الأب** ، فالرجل لا يستطيع القيام بكل ما تقوم به المرأة ، وإن وجد الخدم ، فهم مؤجَّرون تختلف أمانتهم . ولا يمكن الاعتماد عليهم .

ثانياً : تفكك الأسر ومن ثم ضياعها . أمر أراده أعداء الإسلام وسعوا لتحقيقه بكل السبل المؤدية إليه ، فبعد أن وجهوا الأنظار إلى شعاراتهم : الحرية ، **المساواة** ، **الإخاء** ؛ جندوا المرأة لصالحهم تحت شعار المساواة ، وأقنعوها بأساليبهم أنها حق **لها** وأنها السبيل

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٣٣) .

الوحيد لتحقيق ذاتها في المجتمع . وفي هذا يقول أحدهم : فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية ؛ فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ، وتفسد أهميتها التربوية [١] .

– كذلك قد يترتب على خروج المرأة وقوعها في المنكرات ، ومنها الخلوة بالرجل ، وقد «نهى الإسلام عن الخلوة بالمرأة الأجنبية على الإطلاق إلا مع ذي محرم وعن السفر إلا مع ذي محرم ، سداً لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الإثم وحسما لأسباب الشر ، وحماية للنوعين من مكايد الشيطان ، ولهذا صح عن رسول الله ﷺ أنه قال :(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) [٢] .

– وكذلك قد يترتب على خروج المرأة إلى غير حاجة : الاختلاط « فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي ، ومن أعظم آثاره الاختلاط » .

ويعرِّف ابن باز الاختلاط بأنه : « اجتماع الرجال بالنساء الأجنبيات في مكان واحد بحكم العمل أو البيع أو الشراء أو النزهة أو السفر أو نحو ذلك ؛ لأن اقتحام المرأة في هذا الميدان يؤدي بها إلى الوقوع في المنهي عنه ، وفي ذلك مخالفة لأمر الله وتضييع لحقوقه المطلوب شرعا من المسلمة أن تقوم بها » .

هذه الحقوق التي من أهمها : الحجاب ، وغض البصر ، والخضوع في القول . فقد تتساهل المرأة بالحجاب ، أو قد تتركه بالكلية ، كما هو مشاهد « والله حكيم عليم حيث أمر المرأة بالحجاب ، وما ذاك إلا لأن الناس فيهم البر والفاجر والطاهر والعاهر فالحجاب يمنع –بإذن الله– من الفتنة ويحجز دواعيها ، وتحصل به طهارة قلوب الرجال والنساء ، والبعد عن مظان التهمة ، قال الله ﷻ :{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}[٣] » .

---

(١) بروتوكلات حكماء صهيون ، مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي ، حديث رقم (٢٧٨٠) ، ج٥/ص١٠٣ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٥٣) .

وغض البصر واجب عليها وعلى الرجل صيانة لهما عن الحرام ، وإلا « كيف يحصل للمرأة المسلمة أن تغض بصرها وهي تسير مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب بحجة أنها تشاركه في الأعمال أو تساويه في جميع ما تقوم به ؟ ».

الخضوع في القول « والإسلام حرم جميع الوسائل والذرائع الموصلة إلى الأمور المحرمة . وكذلك حرَّم على النساء خضوعهن بالقول للرجال لكونه يفضي إلى الطمع فيهن كما في قوله ﷺ : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً}[1]، يعني مرض الشهوة . فكيف يمكن التحفظ من ذلك مع الاختلاط؟

ومن البديهي أنها إذا نزلت إلى ميدان الرجال لا بد أن تكلمهم وأن يكلموها ، ولا بد أن ترقق لهم الكلام وأن يرققوا لها الكلام ، والشيطان من وراء ذلك يزين ويحسن ويدعو إلى الفاحشة حتى يقعوا فريسة له » .

« ولا شك أن إطلاق البصر واختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء في ميادين العمل وغيرها من أعظم وسائل وقوع الفاحشة . وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه وهو يعمل مع المرأة الأجنبية كزميلة أو مشاركة في العمل له . فاقتحامها هذا الميدان معه واقتحامه الميدان معها لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج والحصول على زكاة النفس وطهارتها » .

وأما التجنيد في حياة المرأة فقد بحثه ابن باز بعقليته وفكره الصائب ، فقد اعتبره – وهو كما يظهر انضمام المرأة في خط العسكرية– وسيلة من وسائل الإفساد ، فدعاة التحرر يريدون اختلاط المرأة بالرجل في كل مجال ومكان ، وهذه من خطط أعداء الإسلام للتضعيف الجيش الإسلامي وقوة الأمة الإسلامية « الإسلام يمنع تجنيد المرأة في غير ميدانها الأصيل . وقد ثبت من التجارب المختلفة وخاصة في المجتمع المختلط ، أن الرجل والمرأة لا يتساويان فطرياً ولا طبيعياً ، فضلاً عما ورد في الكتاب والسنة واضحاً جلياً في اختلاف الطبيعتين والواجبين . والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف –المنشأ في

(١) سورة الأحزاب ، آية (٣٢) .

الحلية وهو في الخصام غير مبين- بالرجال يجهلون أو يتجاهلون الفوارق الأساسية بينهما » و « إدخالها كجندي يحمل السلاح ويقاتل كالرجل ، فهو لا يتعدى أن يكون وسيلة لإفساد وتذويب أخلاق الجيوش باسم الترفيه عن الجنود ؛ لأن طبيعة الرجال إذا التقت مع طبيعة المرأة كان منهما عند الخلوة ما يكون بين رجل وامرأة من الميل والأنس والاستراحة إلى الحديث والكلام ، وبعض الشيء يجر إلى بعض . وإغلاق الفتنة أحكم وأحزم وأبعد من الندامة في المستقبل » .

كذلك ناقش ابن باز قضية ولايتها لشؤون الدولة فاعتبر ولايتها العامة لأمر من أمور المسلمين العامة فيه مخالفة لطبيعتها « فمنعها من تولي الولاية العامة كرئاسة الدولة والقضاء وجميع ما فيه مسئوليات عامة لقوله ﷺ : (ما أفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة)[1] .

ثم إن كثير من الوظائف التي تشغلها المرأة اليوم للرجل فيها الحق ؛ لأنه هو الذي خُلق للعمل خارج البيت وهو الذي عليه حق الإنفاق على من يعول ، ولو ازداد خروج المرأة من بيتها واشتغالها بوظائف الرجال لارتفعت نسبة البطالة في العالم ، ولازدادت تبعاً لذلك نسبة الجرائم المتنوعة من سرقة وقتل وخطف واغتصاب « انشغال المرأة خارج البيت يؤدي إلى بطالة الرجل وخسران الأمة » .

في واقع الأمر يكفي ذووا الألباب من عقد مقارنة بين المرأة في المجتمع المسلم وغيرها ليوقنوا دون أدنى شك : أن المرأة لها طبيعتها الخاصة بها « لماذا لا ننظر إلى وضع المرأة في بعض البلدان الإسلامية المجاورة كيف أصبحت مهانة مبتذلة بسبب إخراجها من بيتها وجعلها تعمل في غير وظيفتها ، لقد نادى العقلاء هناك وفي البلدان الغربية بوجوب إعادة المرأة إلى وضعها الطبيعي الذي هيأها الله له وركبها عليه جسمياً ونفسياً وعقلياً ، ولكن بعد ما فات الأوان »[2] .

* * * * *

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ، ج٥/ص٥٠ .

(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٦/ص٢٧٧ .

المبحث الثالث
أساليب التربية والتعليم عند ابن باز

وتحت هذا المبحث محوران : مطلب في التربية ، ومطلب في التعليم .

أولاً ـــ في التربية :

أ . القدوة الحسنة

تعد القدوة الحسنة من أنجع أساليب التربية وأبلغها تأثيراً في النفوس ، وقد كانت ومازالت من أسس بناء الأمم والمجتمعات ومن أكبر موجهات الأفراد ؛ فالناس يحبون الكلمة الطيبة ويسمعون الخطب والمحاضرات ، ولكنهم يتأثرون أكثر بالسلوك العملي الماثل أمامهم .

وقد مثل ابن باز القدوة الحسنة طيلة حياته وفي كل أوقاته وأحواله يتعلم منه من حوله باختلاف فئاتهم وتعدد أجناسهم ، وسواءً كان ذلك في البيت والشارع والعمل والسفر والحضر ، مع الأهل والجيران والأقارب والطلاب و الناس جميعاً ، فهو مثلاً :

من المحافظين على الصلوات في المساجد وفي الصف الأول ، وكذلك صلاة الليل لم يتركها قط ، وعلى الرغم من كثرة مشاغله فقد كان يختم القرآن كل ثلاث أو أربع ليال . وكان لسانه رطب من ذكر الله تعالى . والأخلاق العالية والكريمة هي سجيته يتعامل بها دون أي تكلف أو تصنع . والإخلاص رفيق أعماله لا ينفك عنها صغيرها وكبيرها . والمحافظة على الوقت هاجسه ، لابد من شغله بالخير وكل ما يعود على الناس بالنفع .

ب . النصح والإرشاد بالحسنى .

النصيحة من الأساليب الإسلامية التربوية والشيخ ابن باز في تربيته لجميع فئات المجتمع لا ينفك عن إبداء النصيحة بالحسنى لمن يحتاجها ؛ وذلك لمحبته في إصلاح المجتمعات ، وكان يأسر السامع له بعمق حديثه ، وسهولة عباراته ، وصدق كلماته .

هذا وقد تميز أسلوبه الوعظي عند النصيحة عن غيره فقد كان – رحمه الله – يجمع

بين التصريح بالحكم الشرعي وتوضيحه للمتلقي مع اللين واللطف الذي يظهر في نبرته وحديثه المشفق الحنون .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن دايل - وهو ملازم للشيخ وقريب منه منذ عام ١٣٨٦هـ : لم أره يوماً كدر خاطر أحد أبداً ، أو أنّبه ، أو رفع صوته عليه ، وإذا أراد الإرشاد أرشدنا بأسلوب طيب حسن فنقبله ونرضاه ، وكان يعاملنا كالأب الحنون . ويقول مدير مكتبه عبد الله بن حافظ الحكمي : خمسة وعشرون عاماً أشهد شهادة صدق لم أسمع منه كلمة جارحة ينتصر فيها لنفسه ، أو يؤنب فيها أحداً من الخلق إلا في حق قضى الشرع به ، خمسة وعشرون عاماً لم يعنف أو يزجر ، إن رضي عن عملنا دعا لنا بالأجر والثواب ، وإن لم يرض دعا لنا بالهداية والصلاح ، وإن ألّح شخص أو اشتط في طلب لم يزد عن أن يقول له : سبح . .سبح[1].

ج . تأليف النفوس

لقد كسب ابن باز قلوب معارفه والناس جميعاً ، وذلك بما تميز به رحمه الله من كريم الخلق ، فكان يؤلف القلوب بكل ما يستطيع فعله مادياً ومعنوياً ، ورغم مشاغله بجلائل الأعمال وأهمها فإنه لم يهمل دقائقها وصغارها ، والتي إن اهتم بها الإنسان كان لها أثرها الطيب على الناس ، فكان يهتم بالخاصة من الناس وكذلك العامة منهم ، فيسأل عن أحوالهم وأحوال ذويهم ويقبل على محدثه ويهتم به حتى يقضي حاجته وقد يداعبه بكلمات ؛ وبهذا حقاً استطاع أن يأسر قلوب محبيه وكل من يعرفه . يذكره الرحمة في كتابه الدرر الذهبية ١٤٢٠هـ ، أخذاً عن محمد السلفي :

« أن سماحته دعا العالم الهندي الشيخ فضل الله الجيلاني شارح الأدب المفرد للإمام البخاري إلى مأدبة الغداء ، فلما جلس الشيخ وضيوفه حول المائدة ، سأل عما إذا كان حضر الخادم الذي كان يغسل الأواني في منزله ليأكل معه ، فقيل إنه لم يحضر بعد ، فبدأ يناديه ، ولم يشرع في الأكل حتى تأكد من حضوره واشتراكه معه ومع ضيوفه في المأدبة . وقد سألني الشيخ فضل الله الجيلاني عمن يكون ذلك الولد هل هو ابن الشيخ ؟

(١) مجلة مساء ، العدد ٧ ، ربيع الثاني ١٤٢٠هـ ، رحلة ماتعة ، ص٤٥ .

فأخبرته بأنه خادم يغسل الأواني في منزل الشيخ ، فكاد ألا يصدقني ، وبدأ يبكي »[1] .

هذا أسلوبه –رحمه الله– يحب أن يتودد إلى الناس يخالطهم ليكرمهم ويشاركوه أمتع أوقاته وأطيبها . وإلاّ فالخادم يستطيع أن يأكل بمفرده أو في غير مجلس الشيخ ، ولكن ابن باز له أساليبه التربوية في تأليف النفوس والتحبب إليها لوجه الله تعالى .

المؤلفة قلوبهم فئة ذُكرت في القرآن الكريم ، وهي من أهل الزكاة ، أوجبها الله ﷻ لهم ؛ إعانة لهم ؛ نظراً لصعوبة معاشهم ، وتأليفاً لقلوبهم . وقد اتبع ابن باز –رحمه الله– هذا المبدأ وكان يعمل به إن احتاج الأمر فكان يؤلف بعض النفوس بالمال .

د . رد المخطئ

لم يرض ابن باز الخطأ لنفسه ، ولا على أحد صغيراً كان أو كبيراً أن يتعدى حدود الشرع ، فيدعي ما ليس له أو يبتدع في الدين ما ليس منه قولاً أو فعلاً . وكثيراً ما كان – يرحمه الله – ينبري للرد على المخطئ أو المنحرف . فأما الأخطاء العملية والتي تتضمن ظلم الآخرين ، وتُرفع إليه . فإنه يسعى لرفع الظلم ما أمكن ، وقد يُشَفَّع فيها ولاة الأمر ، وقد يُعين من ينوب عنه في الأمر ، ثم يراجعه فيه .

وأما المخالِف من أصحاب البدع والانحرافات فيرد عليه الشيخ : إما مشافهة أو يراسلهم مكاتبة أو عبر الكتاب أو الصحيفة . .فقد كان يهمه توضيح الحق وبيانه للناس ، والتحذير من البدع والأفكار المنحرفة أو الضالة المضللة . فكان ينصح ويوجه بأسلوب الأب المشفق ، في لين وتودد . أسلوب ملأه الحب ، يشعر المخطئ من خلاله بذنبه ؛ فيرجع إن أراد الحق ، أما المعاند فيناقشه الشيخ ويرد عليه بالتي هي أحسن ، ويجادله ، لكن جداله –رحمه الله– جدال لبيان الحق ، لا رغبة في الغلبة والظهور . لذلك وبهذا الأسلوب يرجع كثيراً ممن يرد عليهم الشيخ إلى جادة الصواب .

ولكن قد تغلب ابن باز الغيرة على الإسلام وأهله ، فيرد وبشدة وصلابة على الظالم ، ولا يخاف في سبيل ذلك منصباً غير الله عز وجل ، وهذا كالبرقية التي أرسلها –

---

(١) الرحمة ، عبد الرحمن بن يوسف . الدرر الذهبية من عيون القصص البازية . ط١، المملكة العربية السعودية / الرياض : مؤسسة الجريسي ، (١٤٢٠هـ) ، ص٦٣ .

رحمه الله- إلى جمال عبد الناصر بعد أن حكم بالإعدام على الشيخ سيد قطب .

منهجه في الرد

تميزت ردود ابن باز -رحمه الله- بالعلم الواسع ، والفقه في الدين ، والنزاهة عن تخطئة الغير بغير حق ، والدقة العلمية في النقاش . وتبدو هذه المنهجية في الآتي :

- الأخذ والرد العلمي ، وهو البدء بالتأييد والإقرار على الحق ، إن وجد إلى ذلك سبيل ، ثم رد الخطأ ببيانه . ففي مناقشته لبعض الفرق يقول : « نحن معكم في الحق الذي قلتموه كالإيمان بالقدر ، ولسنا معكم بأن العبد مجبور ، بل له اختيار ومشيئة ، ويقال للمعتزلة وأشباههم نحن معكم في أن العبد له مشيئته واختياره ، ولكن لسنا معكم في تجهيل الله سبحانه وإنكار علمه ومشيئته . .وهكذا بقية الطوائف نأخذ ما معهم من الحق ونقر لهم به ، ونرد عليهم باطلهم بالأدلة النقلية والعقلية »[1] .

- التدقيق العلمي وملاحظة الخطأ ، بإحصائه وتتبعه وتفنيده أولاً بأول . ويظهر هذا كما في رده على قصيدة وقع فيها شاعرها في الغلو في رسول الله ﷺ والمسجدين الشريفين :

« وهذا بيان ما غلط فيه الشاعر المذكور . قال ما نصه :

أنا آت أيها الروض فامسح بيديك النديتين الكروبا

يا نبي الهدى ومازلت أرجو رغم إثمي أن لا أبوء بخسري

أنا في ساحة الكريم وقد يملك أمري ولست أملك أمري

أنا في السجن والإسار كئيب ضائق منهما بسجني وأسري

فأجرني فدتك نفسي ففد يغفر ربي إذا شفعت لوزري

هاهنا هاهنا الملاذ لمن رام ملاذاً يقيه من كل شر

هذه طيبة يعود بيسر إن أتاها الذي ينوء بعسر

ففي هذه الأبيات أنواع من الشرك الأكبر لم يتنبه لها الشاعر - هداه الله » .

ثم يأتي الشيخ ويفند كل خطأ على حد ، ببيان وجه الخطأ وتصحيحه

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٣٧_ص٣٨ .

بالأدلـة[١] : « ففي البيت الأول : طلب الشاعر من الـروض أن يمسـح عنـه بيديـه الكروب ، وهذا الطلب لا يقدر عليه إلاَّ الله سبحانه ، فالروض لا يقدر على ذلـك . وهكذا المصطفى ﷺ ، إن كان الشاعر قصده بذلك ، وإنما يُطلب مثل هذا من الله عـز وجل القادر على كل شيء ، أما الجمادات والأموات من الأنبياء وغيرهم فلا يجـوز أن يُطلب منهم كشف الكروب ؛ لأن ذلك ليس من شأنهم وليس في قدرتهم . . وفي البيت الثاني والثالث . . » .

- النصيحة بالرجوع عن الخطأ ، لا بد أن يُضَمِّن الشيخ رده ؛ نصيحة بليغة ترقـق قلب المخطئ « فالواجب على الشاعر التوبة إلى الله سبحانه من هذا الشـرك الوخيـم والحذر من الوقوع في مثله مستقبلاً . . فالواجب على كل مسلم أن يتدبر ما يريـد أن يقول قبل أن يقول . . » وهذه من شفقته ورقة قلبه - رحمه الله .

- الدعاء للمخطئ وليس عليه ، وهذا منهجه دائماً مع القريب والبعيد والصغـير والكبير ، وهو فيض من محبته -رحمه الله- للجميع وللإصلاح ما أمكن ، فبالدعاء تهـدأ النفوس وتُستهدى « وفقنا الله وسائر المسلمين لما فيه رضـاه والسـلامة مـن أسـباب غضبه . . » .

- التزام الأدب وعدم التجريح [٢]، فليس من منهج الشيخ مع خصومـه السـب أو الشتم ، أو التجريح بذكر الأسماء ، بل كان يلتزم العدل والنصح حتى مـع خصومه ، وإن كان الخصم مخالفاً ، وكان من أهل السنة ، ربما قـال الشـيخ « أخونا فلان » ، ونادراً ما يحدث هذا ، وإن كان قول المخالف ضعيفـاً قـال « عفا الله عنه » ، وإذا بالغ قال « عامله الله بما يستحق » ، وذلك في حق أهـل الانحراف .

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص٤٠٥_ص٤١٠ .

(٢) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢ ، ٥/صفر/١٤٢٠هـ ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٢٣ .

هـ . تأليف الكتب

لقد اتخذه ابن باز أسلوباً لتربية جميع شرائح المجتمع الخاصة والعامة ، ومن حوله ومن هو في مختلف أنحاء الأرض . فإن مؤلفات الشيخ تُعد من المراجع الموثوق بها والتي لها صدى كبير بالقبول عند كل من يقرأها .

ويرجع سبب هذه الثقة الكبيرة والقبول الكامل لكتابات ابن باز من جميع أفراد المجتمع لأمرين وقد تميزت بهما عن غيرها :

أولهما – اتسامها بالفكر المتزن ، وإبداء الرأي الثاقب السديد ، وتنوع العلوم ، مع التمسك الدائم بالكتاب والسنة وأقوال العلماء ، بالإضافة إلى قوة الاستدلال ، ونصاعة الحجة ، كذلك تركيز المعنى ووضوحه ، مع سلاسة التعبير ، وعدم الإطناب إلا ما كان لحاجة ، والتكرار المهم بعض الأحيان في أكثر من موضوع ؛ من أجل التأكيد عليه ومعالجة القضايا بسياسة المربي الحكيم .

الثاني – تحقيقها أكثر الأهداف التربوية المرجوة من التأليف والتصنيف . ومن هذه الأهداف ما يلي :

١ – سمو الهدف ، ويظهر مثلاً في النصح والتذكير ، كما يقول سماحته في افتتاح كتابه "الإيضاح والتحقيق في أحكام حج بيت الله العتيق": « فهذه رسالة مختصرة في الحج وبيان فضله وآدابه ، وما ينبغي لمن أراد السفر لأدائه وبيان مسائل كثيرة مهمة من مسائل الحج والعمرة والزيارة على سبيل الاختصار والإيضاح . . جمعتها نصيحة للمسلمين وعملاً بقول الله تعالى :{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (1) »(2) .

وكثيراً ما كان يشغله تحقيق هذا الهدف ، فيؤلف الكتب ويكتب الرسائل لينفع بها المسلمين ويدلهم على كيفية العبادة الصحيحة .

٢ – خدمة العلم والدين ونشرهما ، كما في كتابه « الفوائد الجلية في المباحث الفرضية » لبيان علم الفرائض .

٣ – أهمية الموضوعات ، أهميتها للفرد ، وكذلك أهميتها بالنسبة للمجتمع ، بل واستيعابها جميع شرائح المجتمع . فمثلاً كتابه "الدروس المهمة لعامَّة الأمة" قدَّمه –رحمه

---

(١) سورة الذاريات ، آية (٥٥) .

(٢) ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله . الإيضاح والتحقيق في أحكام حج بيت الله العتيق . جمعه : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، بيروت / لبنان : المكتبة العصرية ، (د . ت) ، ص٧ .

الله– إلى العامَّة فيقول في مقدمته « أما بعد فهذه كلمات موجزة في بيان بعض ما يجب أن يعرفه العامَّة عن دين الإسلام »[١] .

والعامة شريحة مهمة وكبيرة في المجتمع لا يمكن إغفالها ، بل يجب الاهتمام بها تربية وتعليماً .

كذلك تبدو أهميتها من حيث الموضوع ذاته أو المفهوم ، فقد ركز –رحمه الله– على الموضوعات الأساسية دينياً أو علمياً ، والمفاهيم العامة التي تلبي حاجة المجتمع ، ومناقشة القضايا المعاصرة ، ككتاب « العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام » الذي شرح فيه أصول الدين وأنواع التوحيد ، والشرك بالله ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا . فيقول في المقدمة ، وقد ألقاه محاضرة قبل طبعه « فلما كانت العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام وأساس الملة ؛ رأيت أن تكون هي موضوع المحاضرة »[٢] .

٣ – الذب عن الدين الإسلامي الحنيف ، وكثيراً هي كتاباته التي يرد فيها البدع ، أو الانحرافات التي يقع فيها بعض الكتَّاب ، أو العلماء وغيرهم .

ثانياً – في التعليم

التعليم المباشر أو التدريس : عملية حيوية ولكنه يتطلب من المعلم المهارة العالية بطرق التعليم أو التدريس ، وكيفية استغلال هذه الطرق في تحقيق الأهداف المنشودة .

وأهداف التدريس أسمى من معلومات تُلقى ومعارف تُكتسب ، بل تتعدى ذلك إلى تنمية القابليات ، وتوليد الخصال ، وإكساب المهارات ، والخبرات والوصول إلى التخيل المثمر ، والتصور الواضح ، والتفكر المنظم ، وتثير في نفوس النشء الميول والعواطف السامية [٣] .

---

(١) ابن باز ، الدروس المهمة لعامَّة الأمة . مرجع سابق ، ص٣ .

(٢) الشتوي ، مرجع سابق ، ص٩٤ .

(٣) فايد ، عبد الحميد . رائد التربية العامة وأصول التدريس . لبنان / بيروت : دار الكتاب اللبناني ، (١٩٧٠م) ، ص٣٩ .

طريقة الإلقاء

الطريقة التي اعتمدها الشيخ ابن باز في تدريسه هـــي طريقـــة الإلقـــاء : قـــراءة وشرحـــاً ، مع ما يتخللها من مناقشات علمية وتقريرات . وقد ارتبطت هذه الطريقـــة بالتدريس منذ أقدم العصور ، إذ أنها نشأت مع التعليم(١) .

وطريقة الإلقاء قد يقدم لها النقد كغيرها من الطرق كمن يقـــول : هـــي طريقـــة يخاطب فيها المدرس طلابه كمجموعة . وتعتمد على السماع أو القراءة ، وعلى الحفـــظ والتذكر . ولا تستند إلى أساس عملي من خبرة الطلاب ونشاطهم الذاتي (٢) .

والحقيقة أن عملية التدريس لا تجرى على النحو المطلوب إلاّ باستخدام الإلقـــاء ، فالمعلم في تفاعلاته مع تلاميذه سواء داخل الفصل أو خارجه يتحدث إليهم كما يستمع لهم .

فلا عيب إذاً على الإطلاق في الإلقاء كمقوم أساسي لعملية التدريس . ولكن مـــا يمكن توجيهه من نقد إلى الإلقاء هو كونه وسيلة لنقل المعارف من الكتب إلى العقـــول ، والاقتصار عليه في عملية التدريس ، دون مراعاة لقواعده وآدابه (٣) .

وصف طريقة ابن باز

لقد اتخذ ابن باز طريقة السلف في التعليم وهي القراءة على الشيخ ، ويبدو أن هذه الطريقة هي الطريقة العامة ؛ لأنه يرى ضرورة أخذ العلوم والتلقي على شـــيخ وعـــدم الاقتصار على الكتب . فمن جفاف العلم أو المهارة ، أخذها من الكتب مجـــردة ، دون تلقيها من معلم ، يبسطها ويطبقها .

وفيما يلي وصف الخطوات العامة لطريقة تدريس الشيخ ، ثم يتلوه وصف الخطوات

---

(١) مرسي ، محمد عبد العليم . المعلم والمناهج وطرق التدريس . المملكة العربية السعودية : الرياض : دار عـــالم الكتب ، (١٤٠٤هـ) ، ص١٨٣ .

(٢) الهاشمي ، عبد الحميد محمد . الإعداد النفسي والتربوي لمدرس التربية الإسلامية وعلومها الدينيـــة . (د.ت) ، ص٩٠ .

(٣) اللقاني وسليمان ، أحمد حسين وفارعة حسن محمد . التدريس الفعّال . مصر / القـــاهرة : عـــالم الكتـــب ، (د .ت) ، ص٧١ .

العملية .

أولاً – الخطوات العامة

كان الشيخ يجلس في مكانه المخصص للتدريس ثم يأذن للقارئ – وهو أحد طلابه. فيقرأ بعد حمد الله ، وبعدها يبدأ الشيخ في تعليقه أو شرحه للكتاب المقروء ، ثم يسمح للطلاب أو الحضور بطرح الأسئلة . وقد يكلف كل طالب بسؤال ، ثم بعد الانتهاء من طلاب الحلقة التي قد تكون ٤٠ طالباً يرجع للأول ويتأكد من فهمه للسؤال وهكذا ، وإذا نسي الطالب ذكره الشيخ بسؤاله رغم كثرة العدد [١] .

وقد ازداد عدد الطلاب كثيراً عما بُدأ به ، فوصل إلى قرابة الخمسمائة [٢] .

وهذه الطريقة تعد من الطرق الناجحة القديمة التي تربى عليها علماء السلف الصالح ، فأنشأت منهم علماء عالمين ربانيين ؛ وذلك لأنها – والله أعلم – تصحح النطق ، وتشرح المبهم وتطلق الفهم . ولكن قد تدمج معها أكثر من طريقة من طرق التدريس المتداولة في المدارس ودور التعليم الأخرى ، أو قد تفعَّل بوسائل أو أساليب تربوية ؛ وذلك للتنويع وتحصيل المنفعة المرجوة .

وقد يقف نجاح طريقة الإلقاء على دور المعلم ؛ فكثيراً ما كان السلف رضوان الله عليهم يركزون على دور المعلم في هذه الطريقة . فعليه المعتمد في إنجاحها . لذلك لا بد أن يكون على مستوى عال من المعرفة ، فلا يكف عن النظر والتحصيل والإفادة ، والاستفادة ، حتى من الأصاغر ؛ ليكون على سعة علم . فإن المحاضرين السابقين لم يكونوا ممن يحفظون محاضراتهم ويقولون مالا يفهمون ، بل كانوا يفهمون كل فكرة يذكرونها . . كانوا علماء حقاً ، واسعي الإطلاع ، لا يحتلجون إلى النظر في كتب أو مذكرات في أثناء المحاضرات[٣] .

وكذلك كانت الحلق العلمية والدروس التي يلقيها الشيخ ابن باز ، ويؤمها جموع

---

(١) البرَّاك ، مرجع سابق ، ص٥١ .

(٢) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢ ، ٥/ صفر/١٤٢٠هـ ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٣٣ .

(٣) الإبراشي ، محمد عطيه . التربية الإسلامية وفلاسفتها . مصر : مطبعة عيسى البابي ، (١٩٨٥م)، ص٢٠٢ .

من طلبة العلم على اختلاف درجاهم ، فكأنك ترى حلقة علمية لأحد العلماء من القرون المفضلة ، حيث السكينة الإيمانية ، والسمت العلمي ، والمهابة والتوقير والإجلال الذي يُحاط به الشيخ من قبل تلاميذه مع محبة وشغف يفوح عبيرهما في مجلس الشيخ حتى آخر لحظة في الدرس ، مع الفوائد التربوية والشذرات الفريدة التي يتحف بها الشيخ[1] .

وعليه ، فطريقة الإلقاء ، طريقة ناجحة للتدريس ، ولكن يتوقف نجاحها على المعلم القائم بها ، فهو بتفاعله ونشاطه وحيويته ، يستطيع أن يجعلها خالية من السلبيات . فهي طريقة تقليدية ولكنها تخدم أكثر من غرض ، وتحقق أكثر من فائدة ، فهي تشمل محاور العلم : المعلم والمتعلم والعلم . وكذلك تشمل أدوات العلم : القراءة والكتابة والسماع والرؤية . . وهي أوقع في نفس المتعلم من غيرها .

والقراءة على الشيخ طريقة ناجحة لتصويب الأخطاء التي قد يقع فيها الطالب ولا يعلم بخطئه فيها . وهي مفيدة أيضاً لتصويب الأخطاء في طباعة بعض الكتب العلمية .

فالمعلم بحنكته وأسلوبه المناسب الشيق يستطيع أن يجعلها طريقة ناجحة . فيمكن أن يؤثر بحركاته ، وتلويحات يده . أو يغير نبرات صوته ، ويزيد من لهجته الصادقة . وكذلك يمكن أن يحوز على إعجاب الطلاب بشخصيته العلمية ، وثقافته الواسعة ، وأسلوبه الأدبي الفصيح ، وبما يستخدمه من وسائل علمية معينة ، تساعد على تشويق الطلاب وشد انتباههم نحوه .

وليتفادى سلبيات هذه الطريقة عليه أن يعمل بفعل ابن باز فيشجع الطلاب على السؤال فهو مفتاح العلم ، وبالسؤال يستطيع إكمال الفائدة العلمية التي لم توضح أثناء الدرس . ولكن على المعلم أن لا يكثر من الأسئلة ، ولا يسمح بها في مالا فائدة فيه .

ثانياً – الخطوات الخاصة

١- التهيؤ للدرس

يتطلب التهيؤ للدرس أكثر من مجال : التهيؤ النفسي للمعلم ، والتهيؤ البدني ، والتهيؤ العلمي وكذلك تهيئ الطلاب للدرس .

---

(١) الحازمي ، مرجع سابق ، ج٢/ص٥٨٥_ص٥٨٦ .

فأما التهيؤ النفسي ، فدائما يوصي ابن باز بإخلاص النية لله ، وكان دائم الذكر لله ﷻ منذ خروجه من بيته إلى وصوله المكان المعين لجلوسه في الدرس . وكان يحافظ على الحضور المبكر لمكان الدرس ، بل كان يحضر قبل طلابه وينتظرهم إن تأخروا .

والتهيؤ البدني يُقصد به المظهر الخارجي للمعلم ، وقد كان ابن باز بمظهره يشعر طلابه بالوقار ، والسكينة . وكان يجلس في المكان المُعد له ، وهو مكان مرتفع ، ويعتدل في جلسته بحيث يراه كل الطلاب .

والتهيؤ العلمي ويُقصد به الإعداد والتحضير للدرس . وقد كان ابن باز يحضر دروسه من قبل . فيراجع أقوال العلماء مع مساعدوه ، وذلك في الوقت الذي قد خصصه من كل يوم للاطلاع والمراجعة في المكتبة .

وأما تهيؤ الطلاب فقد أوصى به ابن باز « وكيفية لفت نظر طلابه بطريقة جلية واضحة إلى الموضوع الأساسي للدرس »[1] .

٢- التنويع في العلوم

فقد يجمع ابن باز أكثر من علم في وقت واحد ، فيختار الكتاب الذي يراد القراءة فيه ، ويحدد له وقتاً مقدراً . فيجمع مثلاً بين علم الحديث وعلم الفقه ، فيشرح في الفقه ثم ينتقل إلى الحديث . وقد تُقرأ أبواب الوضوء في سنن النسائي ثم تُقرأ في غير السنن .

٣- الكفاية وسعة العلم

القدرة على شرح الدرس والاستزادة منه شرط ضروري لنجاح عملية التدريس ؛ فتلقي العلم واستيعابه هو الهدف المنشود الأول من التدريس ، لذلك يوصي ابن المعلم بسعة العلم والاطلاع ، والكفاية والمقدرة « أن يكون ذا إلمام تام بالدرس الذي وكل إليه القيام به »[2] .

بضاعة المعلم هي معرفته المتعمقة بموضوع تدريسه ، فهي أهم مظاهر التدريس

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٣١٩ .

وأولى الخصائص التي يجب أن يتصف بها الفرد ليكون معلماً [١] . ويتوقف نجاح طريقة التدريس على المعلم ومقدار معلوماته وخبراته ، فهو عند إطلاعه الواسع وقراءته المصادر المختلفة ، كالكتب والمجلات والصحف وسماعه للإذاعة وإدراكه لواقع الحياة ؛ يكون أقدر سيطرة على المادة وتكيفها للمواقف [٢] .

٤- الدراية ببعض العلوم [٣]

١- اللغة العربية « كثير العلم بالأساليب العربية ؛ ليتمكن من تأدية واجبه على أكمل وجه » .

٢- علم النفس « ولاشك أن من يعنى بدراسة النفس البشرية من كافة النواحي ، ويبحث عن الأسباب الموصلة إلى معرفة الطريقة التي يمكن بواسطتها غرس العلوم في هذه النفس بسهولة ويسر ؛ سوف يحصل على نتائج طيبة في كشف خفاياها وما انطوت عليه من مشاعر وأحاسيس ومدى تقبلها للمعلومات المراد غرسها فيها » .

وقد كشفت الدراسات العلمية الحديثة العلاقة بين سرعة التعلم والحالة النفسية للمتعلم : فبتأثير الانفعال المعتدل يزداد الخيال خصوبة ، وينشط التفكير ؛ فتندلق المعاني والأفكار في سرعة وسلاسة . . أما الانفعالات الثائرة الهائجة فلا تكاد تنجو من أثرها الضار وظيفة من الوظائف العقلية ، فالانفعال العنيف يشوه الإدراك ، ويعطل التفكير المنظم ، والقدرة على حل المشكلات ، ويضعف القدرة على التذكر [٤] .

٣- علم الاجتماع « آخذاً في الحسبان : عوامل البيئة ، والطباع ، والعادات ، والمناخ ؛ لأن لتلك الأمور تأثيراً بالغاً في نفسيات التلاميذ ينعكس على إفهامهم وسيرهم وأعمالهم » .

٤- طرق التدريس « إذا ما أراد أي معلم أن يغرس معلوماته في أذهان تلامذته ،

---

(١) حمدان ، محمد زياد . طرق سائلة للتدريس الحديث . الأردن : دار التربية الحديثة ، (١٤٠٥هـ) .

(٢) حمودة ، وعبدالهادي ، فتحي بيومي ومحمد أحمد . التربية والطرق الخاصة بتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية . دار البيان العربي ، (١٤٠٤هـ) ، ص٨٠ .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣١٩ .

(٤) راجح ، أحمد عزت . (د.ت) . أصول علم النفس . لبنان / بيروت : دار القلم ، ص١٦٦ .

فلا بد له قبل كل شيء ، أن يكون ذا معرفة بالغة بطرق التدريس ، وكيفية حسن الإلقاء » .

٥- تحقيق الأهداف

أوصى ابن باز بوجوب تحقيق الأهداف المنشودة من عملية التدريس . وأهداف التدريس كثيرة ومتنوعة منها : العلمية ، والسلوكية ، والعقلية .

منها التربية على الآداب الإسلامية ، ولا يخلو درس الشيخ من اتباع سنة نبوية شريفة على صاحبها الصلاة والسلام ، أو أدب إسلامي « فهو يتسوك بيده اليسرى ويضع غترته بيده اليسرى إذا تثاءب ، ويقدم رجله اليمنى في لبس الحذاء ، ويشمت العاطس ، إذا حمد الله وسمعه ، حتى أنه يقطع كلامه وحديثه وهو في الدرس ليشمته هذا ، ويقطع الشرح أيضاً ليتابع المؤذن إذا أذن »[١] .

وكثيراً ما يترحم على مؤلف الكتاب الذي يشرحه . وكذلك من آدابه التي يداوم عليها ، حث الجميع على ترك الغيبة والكلام في أعراض الآخرين سواءً كانوا من العلماء أو طلبة العلم أو غيرهم ، وذلك عندما يُسأل بسؤال فيه ذكر لأحدهم بعينه فيجيب سماحته على ذلك بدون تعرّض لمن سبّه بل يقول : إن صح عن القائل أو غيره ، فمرادنا الحق والذّب عنه وعمن قال به[٢] .

ولتحقيق الأهداف العلمية يوصي ابن باز المعلم أن يجتهد في إفهام الطلاب لمادة الدرس حتى يستوعبوها « آخذاً في الحسبان تفهيم كل طالب ما يلائمه وباللغة التي يفهمها » .

٦- مراعاة الحاجات النفسية لدى الطالب

إن مراعاة الحالة النفسية للطلاب ، وتعليمهم وتوجيههم وفق متطلباتها ، لهو أبلغ الأثر في التربية ، وفي هذا الجانب ينبه ابن باز المعلم إلى ضرورة تربية الجانب النفسي لدى الطالب حتى يحب العلم ويقبل عليه « أن يحبب إليهم الدرس . . وأن يشجعهم على كل

(١) الحيَّان ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص٥٢ .

بحث » ، فحب الإنسان المتعلم لما يجب أن يتعلم ؛ يدفعه إلى القيام بالعمل ، وتعلم ما هو ضروري له . وعلى العكس فإن كراهية الإنسان لما يجب أن يتعلم تدفعه عنه [1] .

وكذلك مما يزيد الدافعة لدى الطالب حبه لمعلمه ؛ ولذلك يوصي ابن باز المعلم أن يتحلى بكريم الأخلاق « أن يكون قليل المزاح ، واسع البال ، طلق الوجه ، حسن البشر ، رحب الصدر ، جميل المظهر »[2] . وأن يبذل قصارى جهده لمساعدتهم فيما يحتاجون من مال أو مسكن أو غير ذلك مما يوفر لهم الراحة النفسية ، ويفرغهم لطلب العلم ، وكذلك كان ابن باز يرعى شئون طلابه الشخصية ، وهو من سعى لدى الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- لصرف مكافآت مالية لطلبة العلم في الخرج ، وذلك إبان توحيد المملكة العربية السعودية .

٧- مراعاة القدرات العقلية عند الطلاب

الفروق الفردية سنة كونية ، جعلها الله ﷻ بين العباد لتسخير بعضهم لبعض وهي التي تضفي على المجتمع الإنساني خصوصيته وتباينه . ثم إن نجاح عملية التدريس يقاس بمدى ما يقوم به الطلاب من عمليات عقلية ، وجهود فكرية ، وهنا لابد للمعلم أن يختار الطريقة المناسبة والتي تتلاءم ومستويات ذكاء الطلاب وقدراتهم العقلية وميولهم، فيعطي كل طالب ما يستطيع أن يحمله ويهضمه من الغذاء العقلي « ومهمة المعلم أشبه ما تكون بمهمة الطبيب . ومن واجبه أن يعرف ميول طلابه ومدى حظ كل منهم من الذكاء ، وعلى أساس هذه المعرفة يقدر المقاييس الأساسية التي يسير عليها نهجها في مخاطبة عقولهم وإفهامهم . وتلك من أهم أسباب نجاح المعلم في مهمته »[3] .

٨- القدرة والتمكن من إيصال الخبرات

من الضروري لكل معلم أن ينتقي من الطرق التعليمية ، أنسبها وأقدرها على إفهام الطلاب ، ويستعين بوسائل إيضاح مناسبة تساعده في تحقيق ذلك ، وهي كثيرة

---

(١) عاقل ، مرجع سابق ، ص١٨٦ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٣٢٠ .

ومتنوعة « أن يسلك في إفهامهم للعلوم التي يلقيها عليهم طرق الإقناع ، مستخدما وسائل العرض والتشبيه و التمثيل »[١] ؛ وذلك لأن الأمثلة الحسية والمعنوية هي بمثابة المعين الصادق على فهم ما يلقى من العلوم ، وكذلك كان منهج المصطفى ﷺ ، حيث كان يقرب المعاني بضرب الأمثال والتشبيهات المختلفة ، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : (إن مثل ما بعثني الله ﷻ به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة طيبة ، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس . .)[٢] .

ومن الوسائل المعينة على تبسيط المعاني : الوسائل الحسية منها ، وسائل الإيضاح وهي كثيرة ومتنوعة . وقد تظهر الحاجة إليها مثلا ، عندما يتعذر إدراك الطلاب للأشياء في الواقع ؛ فيستبدلها المعلم بوسائل بديلة أو خبرات تعويضية ، كأن يكون الدرس عن واقعة قديمة حدثت وقلما تتكرر ، أو عن أشياء لا ترى إلا من خلال أجهزة معقدة . فهي تربط بين الحقيقة العلمية والواقع ، وكذلك تنمي الخبرة وتساعد على سرعة الفهم واتساع دائرة التفكير .

وهناك العديد من الوسائل التعليمية التي يمكن أن يستخدمها المعلم في تخطيطه للدرس ، منها على سبيل المثال : النماذج ، والعينات ، واللوحات ، والسبورات ، والرسوم والخرائط ، والأفلام والشرائح ، والتسجيلات ، والإذاعة ، والتلفاز ، هذا بالإضافة إلى العديد من الأجهزة الخاصة باستخدام وعرض المواد التعليمية [٣] .

ولكن ينبغي لكل معلم أن يختار الوسيلة المعينة بحيث تتناسب وعقل المتعلم ومستوى تحصيله ؛ لتؤدي الغرض المنشود منها . ولا بد أن تكون مناسبة في هيئتها دون تكلف ، وذلك لتكون أوقع في حواس الطلاب .

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص٣١٩ .

(٢) النووي ، يحي بن شرف . صحيح مسلم بشرح النووي . ج١٥ ، لبنان / بيروت : دار الكتب العلمية . (د . ت) ، ج١٥/ص٤٦ .

(٣) اللقاني وسليمان ، مرجع سابق ، ص٦٨ .

٩- استثارة حماس المتعلمين

وهذا الغالب على دروس الشيخ فهو - يرحمه الله - يهيئ الأذهان ويجلب الأسماع إليه بما يلقيه من علم وما ينثره من فوائد ، وتعليقات هامة على بعض الأسئلة « وأن يحبب إليهم الدرس ، ويرغّبهم في الإصغاء إليه ويعلمهم بفائدته وغايته »[1] .

للشيخ عاطفة إيمانية قوية التأثير في الغير وبالأخص في طلابه ، فهو سريع الدمعة وخاصة عند المواقف المؤثرة في السيرة النبوية ، أو بعض المواقف المؤثرة عن الصحابة ، وأيضاً عند ذكر شيخه محمد بن إبراهيم -رحمهم الله[2] .

وكذلك هو يستثير الدوافع ويجلب الأسماع بتفاعله مع كثيراً مع آيات الذكر الحكيم . وهذا أدب نبوي ، فتارة حين تمر آية عذاب أو رحمة ؛ يتفاعل معها فيستعيذ من عذاب الله أو يسأل الله من فضله ، ويبكي أيضاً في بعض المواقف كقصة توبة كعب وحادثة الإفك . . وكذلك عند ذكر شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

١٠- التطبيق العملي للعلم

من المعلوم أن التطبيق العملي لأي خبرة هو أحفظ لها في نفس المتعلم . وقد كان الشيخ ابن باز كثيراً ما يقوم بالشرح العملي للخبرات ، فدروسه يطغى عليها الجانب العملي . فإذا جاء في سياق القراءة ما يحتاج إلى تبيّين ذلك الفعل قام سماحته بشرحه عملياً كمسح الرأس في الوضوء ، وكطريقة استعمال السواك على الطريقة الصحيحة ونحو ذلك[3] . وكذلك في تدريسه لعلم الحديث في مجال التخريج ، والنظر في الرجال ، ومراجعة الطرق والأسانيد ، وبهذه الطريقة يتعلم الطالب هذا العلم بسهولة ، ودون تعقيد ، بخلاف ما إذا درسه نظرياً[4] . أيضاً بهذه الطريقة يبث الحيوية والتفاعل بين الطلاب والخبرة العلمية الجديدة .

كذلك كان يحوز على إعجاب الطلاب وتعجبهم بما يناقش به ويستحضره من

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣١٩ .

(٢) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٠ ، ٢٠ محرم ١٤٢٠هـ ، ص٣٠ .

(٣) الحيَّان ، مرجع سابق ، ص٤٩ .

(٤) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢ ، ٥ /صفر/١٤٢٠هـ ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٢٣ .

الأدلة والشواهد أثناء الدرس : من الكتاب والسنة ومما قاله الأئمة وأهل التحقيق[١] .

وكان يتعمد إضحاك الحاضرين ببعض الطرف ، فمثلاً سُئل مرة عن تركيب أسنان الذهب ، فقال : لا يجوز ، فقيل : له أليست ضرورة ، فقال -حاكياً- عن نفسه : قد لبسنا أسناناً ليست ذهبية هي فينا مُنّذ سنين و لم تؤثر فينا[٢] .

١١- المراجعة والتصحيح

ومن طريقة الشيخ استرجاع الفوائد العلمية وتصحيح ما جاء فيها من أخطاء أو أوهام « أرجعوا إلى الحديث الذي تقدم لنا في الدرس السابق والذي رقمه (٥٦٦٣) فقد راجعت اسم الرجل الذي جاء في إسناد الحديث المذكور ، وتبين ليّ أن صوابه . . . حيث راجعته في كتاب "تهذيب التهذيب" لابن حجر »[٣] .

ومن طرقته في التصحيح والتصويب أنه يسمع من الطالب أو القارئ ولا يقاطعه ، ثم يصحح له الخطأ ، فيقول الصواب كذا . فلا يعنف ولا يوبخ ، إلاّ من أظهر إهمالاً أو تفريطا « وأن يشجعهم على كل بحث يفضي إلى وقوفهم على الحقيقة »[٤] .

ومن لطفه وأدبه وحسن تعليمه في هذه الطريقة ما يلي :

- أن تلميذه القارئ لو قرأ عليه فلحن في قراءته لحناً ظاهراً في اللغة ، أو نحا فيها وجهاً شاذاً لا يجد من سماحة الشيخ سوى قوله "أعد" فيعيد الطالب قراءته مرة واثنتين حتى يفطن هو بنفسه إلى لحنه فيصححه ، أو يفتح عليه شيخه بأدب رفيع وذوق عال .

- حدث أن قرأ عليه طالب علم مبتدئ وهو أعجمي بكتاب "التوحيد" وكان ثقيل اللسان بطيء الإعجام ، فلا يعدو الشيخ أن يعلمه القراءة وتصحيح المتن ، بتكراره عليه جملة حتى ينتهي من الباب ، فيعيده الشيخ بعده كله ؛ ليقرر عليه ما يفتح الله عليه به من الفقه والاستدلال والشرح والتعليق[٥] .

---

(١) مجلة الدعوة ، العدد ١٦٩٢ ، ٥/صفر/١٤٢٠هـ، ابن باز في عيون طلابه ، ص٢٣ .

(٢) الحيَّان ، مرجع سابق ، ص٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص٤٩ .

(٤) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣١٩ .

(٥) مجلة اليمامة ، العدد ١٥٥٦ ، السبت ٧ صفر ١٤٢٠هـ ، ص٣٠ .

لقد كشفت الدراسات الحديثة : أن العقاب المعتدل المعقول مدعاة في كثير من الأحيان إلى أخذ الحيطة وتجنب الأخطاء . أما العقاب الذي يجرح كبرياء الفرد أو الذي يتخذ شكل توبيخ علني ، فنوع ضار عقيم من العقاب [١] .

١٢- الاهتمام بقواعد التدريس الأساسية

من القواعد الأساسية التي ينبه ابن باز على مراعاتها وتطبيقها « أن يركز اهتمامه على الأمور الجوهرية التي هي القواعد الأساسية لكل درس من الدروس ، أن يغرس في نفوسهم كليات الأشياء ، ثم يتطرق إلى الجزئيات شيئا فشيئا ، إذ المهم في كل أمر أصله وأما الفروع فهي تبع للأصول »[٢] .

١٣- النقاش العلمي

كان الشيخ يتقبل المناقشة العلمية ، ويدير حوارها ، بل كان يشجع الطلبة على طرح الأسئلة العلمية ؛ لأنها تبعث النشاط في هممهم وتبث روح الثقة في نفوسهم « وأن يفسح المجال للمناقشة معهم ، وتحمل الأخطاء التي تأتي في مناقشتهم ؛ لكونها ناتجة عن البحث عن الحقائق »[٣] .

وقد وردت هذه الطريقة في القرآن الكريم ، وحث عليها علماء التربية ، ولكن لا بد من استغلالها بطريقة صحيحة للاستفادة منها .

وقد كان ابن باز يستخدمها ولا يكثر منها حتى لا يتضجر الطلاب أو يملوا ، ولكن يوجهها ليرفع بها الهمم ، وقد يستعيض عنها بما يكلف به ، من بحث مسألة فيقول : فلان لعلك أن تحضر مسألة كذا وكذا ولك الدعاء منا ، ثم تقرأ عليه المسألة؛ للاستدراك أو التعليق عليها .

وأما أسئلة الطلاب فقد كان يسمع السؤال منهم وينصت للسائل ويلتفت إليه ؛ ليبدي له اهتمامه بالسؤال ، ثم يجيب برحابة صدر ويبين وجه الحق مع الدليل ، وإن كان

---

(١) راجح ، مرجع سابق ، ص٢٧٠ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣١٩ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٣٢٠ .

السؤال قد تكرر ويجيب من يسأل ؛ حتى يقتنع ، وذلك إثراء للدرس ولعموم المنفعة العلمية . وهو بذلك يعطي السائل حقه من الاهتمام كي يدعم لديه والباقين : قيمة إعمال الفكر والاهتمام ، وإثارة النقاش البناء [1] ..

ولكن قد يتوقف الشيخ عن الإجابة ويطلب الإمهال إذا كانت المسألة تحتاج إلى نظر وتأمل ، وربما قال "لا أعلم" حتى يشعر الطلاب أن العلم لا يكمل إلا بالبحث والطلب ، وأنه لا حرج في قول "لا أعلم" فهي مقولة العلماء من قبل ، يلزمها ولا يقدم القول إلا بعد المعرفة التامة .

١٤- عدم الخروج عن الدرس

كل ذلك مع المحافظة على الجو العلمي للدرس فلا يتطرق لمسائل خارجية لا تمت للعلم بصلة « وحصره البحث في موضوع الدرس دون الخروج إلى هوامش قد تبلبل أفكار التلاميذ ، وتفوت عليهم الفائدة »[2] .

١٥- الجلد والمواظبة على الحضور

لقد بدأ ابن باز دروسه منذ عام ١٣٥٧هـ حيث كان قاضيا في الخرج وقد استمرت ما يزيد عن ستين عاما لم تنقطع إلى أن وافته المنية - رحمه الله - وما كانت تتوقف إلا لأمر طارئ كسفر الشيخ أو مرضه أو حضوره لبعض المؤتمرات الدينية ونحو ذلك . وهذه المداومة والاستمرارية تجعل طالب العلم على صلة دائمة بالعلم وإن تكررت عليه بعض الخبرات فهي حينئذ تعينه على تثبيت العلم والتمكن منه .

ومن جلد الشيخ وصبره في إلقاء الدروس ، أنه لا يظهر عليه الملل في أثناء الدرس ولا علامات التعب أو الضجر ، حتى وإن استمر الدرس إلى الثلاث ساعات أو أكثر .

* * * * *

---

(١) مرسي ، مرجع سابق ، ص١٨٧ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣١٩ .

الخاتمــة

هذه أهم الأفكار والآراء التربوية للعلامة الشيخ ابن باز كما جاءت في رسائله وفتـــاواه وكما اتضحت من حياته العملية والمناصب العلمية التي تولاها ، وما هي إلا نقطة من بحر علمه وإنتاجه الفكري الثمين –رحمه الله– وقد سطرت في هذه الأوراق لعلها أن تكون محاولة جـادة لعرض الفكر البازي الأصيل ، ولعلها أن تكون دلالة واضحة في تبنيه للفكر الإسلامي التـربوي ولعلها أن تكون محاولة لإعادة ما انفرط من فكر الأمة الإسلامية ، ولعلها أن تكون قد أخـذت حقها من البحث والعرض .

وتنبه الباحثة الأذهان إلى أن فكر الرجل يعبر عن عصره ، ويعتبر بحق صورة صادقة عــن طلب العلم في هذا العصر وما يسبقه ، وهذا الفكر البازي مهم بل بالغ الأهمية في رصد حركـة التعليم ، وحاجته عند رجال العلم والثقافة في هذا العصر . وقد جاءت اهتمامات ابـن بـاز التربوية وأفكاره معبرة تعبيرا صادقا عن الفكر الإسلامي في خصائصه ونقائه ، غير متأثرة بـأي تأثيرات وافدة ، وهذا تميز واضح للشيخ وفكره .

فكر ابن باز يجمع بين الأصالة الإسلامية وبين التجديد العصري . وقـد كـانت لـه الاجتهادات الفكرية النافعة التي خدمت الأمة الإسلامية ، وساعدت في حل مشكلاتها ؛ وذلك يرجع : لغزارة علمه وإحاطته بالنصوص الشرعية ، وفهمه لمقاصد الشريعة الإسلامية ، وإدراكه لقواعد المصالح والمفاسد ، وقدرته على التوفيق بينهما ، مع سعة الأفق وبعد النظـــر ، ودقـة الفقه .

ولعله من الجدير بالذكر الوقوف على بعض التداعيات الفكرية التي يمكن أن نستنبطها من خلال فكر الرجل وآرائـه التربوية وهي:

١ – الاهتمام بتكوين المسلم تكوينا إيمانيا كاملا حتى تتبلور رؤى التوحيد علـى شخصيته وسلوكه ومكونات حياته كافة . مع تتبع هذا التكوين والحفاظ على صحته من كل آثار الشرك والمعاصي والبدع وكل ما يعوق في نموه . وكل ذلك ظـهر جليـا في اهتمام ابن باز وتركيزه على العقيدة .

٢ - الدين الإسلامي بكل ما يحتويه من أوامر ونواهي وما إلى ذلك ، وما تتضمنه من محاسن عظيمة كفيل بتحقيق السعادة لبني البشر . وقد أثبت ابن باز هذا الأمر ، وبين مدى حاجة البشر إلى الشريعة الإسلامية . وهذه نتيجة علمية ليست جديدة ، ولكنها ثابتة على مر العصور . تذكر عندما تعصف بالعالم الأزمات وتمزق أجزاءه الحروب والفتن .

٣ - واقعية الفكر أمر لابد منه في فكر كل مسلم ، وهو أولى لدى العالم والمتعلم . فالإسلام نظام متوازن ، يعيش المسلم في كنفه ولا ينعزل ، ويتفاعل مع قضايا عصره . وكذلك عاش ابن باز واقعه ، عالميا في فكره وأعماله ، يعالج مشكلات عصره ، ويجمع شتات أمته ، وقد استفاد منه القاصي والداني .

المسلم بهويته الإسلامية يشكل أنموذجا حيا للإسلام ، يقدر المجتمع والعلاقات الاجتماعية والأسرية ، من أخوة ، وتضامن ،، وتمثيل الآداب الاجتماعية الإسلامية ، من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وموالاة وبراءة في الله ،، ومن نبذ لشعارات الغزو الفكري ، من قومية وغيرها . وهو يقدر العمل من أجل المجتمع ، ويقدم أفضل عمله من أجل رفعة المجتمع . وكذلك كان ابن باز ينادي بتطبيق الروابط الاجتماعية الإسلامية ، ونبذ الفرقة والشعارات المضلة .

وكانت بالفعل علاقاته الاجتماعية كلها حميمة : تربطه بولاة الأمر صلات مبنية على التقدير والاحترام المتبادل ، وتربطه مع العلماء صلات المحبة والتعاون مع التشاور ويعلوها التواضع ، وتربطه بطلاب العلم صلات الشفقة والأبوة والمساعدة ، وتربطه بالناس عامة صلات الحب والثقة والتقدير .

وقد كان دأبه طيلة حياته السعي لجمع شتات الأمة الإسلامية ، والوقوف بها صامدة أمام التيارات المنحرفة ، ودافعةً لكل ما يهدد كيانها .

٤ - التعليم من أهم عمليات التربية ؛ لذلك فقد اهتم ابن باز بشأنه وبكل محاوره : العلم والمعلم وطالب العلم . فبيَّن المنهجية الصحيحة لطلب العلم ، ووجوب اتباع منهج السلف الصالح ، وحث المعلم بلزوم خشية الله ، وممارسة آداب التعليم . وأشاد بطالب العلم وعظم مسؤولية تحمل العلم وأدائه .

٥ – لقد أنصف الإسلام المرأة ، واهتم بكل شؤونها . ودعا ابن باز المجتمع إلى الاعتراف بحقوقها ومكانتها . وكثيرا ما كان يوصي بها . ويدعوها إلى عدم التخلي عن دورها الصحيح في تنمية مجتمعها والأمة الإسلامية ..

٦ – اقتصاد الأمة الإسلامية سبيل نهضتها ؛ لذا فقد دعا ابن باز إلى التمسك بنظام الاقتصاد الإسلامي ، والعمل الدائم من جميع أفراد المجتمع لتطوير سبل التنمية نهوضاً بالأمة الإسلامية ، ونفع البشرية

٧ – في الإسلام سماحة ويسر ، وفيه عزة وقوة . وكذلك كان ابن باز ، سهلاً ممتنعاً ؛ بسيطاً متواضعاً ، لكنه قوياً نشيطاً في عمل يومه وليلته . وقد شجع على تربية الجسم ووقايته من العلل الضارة أو الأمراض المضعفة لقواه .

٨ – التربية للوقاية ، من الأهداف التي بذل ابن باز حياته في سبيل تحقيقها ، وهو جانب تربوي ، قلة هم الذين يهتمون به . وقد كشف ابن باز سبل هذا الجانب ، وكثيراً ما كان يدعو المسلمين إليها حفاظاً على كيان الأمة الإسلامية وتحصينها ممن يكيد لها .

٩ – الصحة النفسية هدف كل فرد . وقد بين ابن باز دواعيها والكيفية الصحيحة لتحقيقها .

١٠ – العلم الشرعي وسيلة لأداء ما أوجب الله وترك ما حرم . لذا فقد اهتم ابن باز بتوضيح هذا العلم ومنّهجه وحدد مصادره .

١١ – أساليب التربية والتعليم كثيرة ، ولكن من الأساليب الناجحة والتي اتخذها ابن باز ، وحققت نتائج كبيرة ، وأثمرت علماء قادرين على تحمل العلم وأدائه : النصح والإرشاد ، تأليف القلوب ، رد المخطئ ، التأليف والتدريس بطريقة السلف .

١٢ – اقتضاء العلم والعمل مبدأ ضروري ، عاش ابن باز حياته ، يطبقه ؛ وهذا ما جعل له القبول في قلوب الناس الخاصة والعامة ، وألبسه لباس الهيبة والوقار .

١٣ – وسائل الإعلام من أكبر الموجهات لفكر الأفراد والأمم ، وهي تتحمل الدور الأكبر في تمثيل الإسلام فكراً وعملاً ، وهي منوطة بتربية الأجيال وتنمية الأفكار والدعوة إلى الله . وقد تعاون معها ابن باز فحمَّلها الأمانة ، وأوصى بها العلماء الدعاة .

١٤ – تعتبر هذه الدراسة الحالية بيانا لسماحة الدين الإسلامي والذي تمثل وتقولب على شخصية ابن باز . ودراسة مثل هذه تنمي ثقة الفكر العالمي الأجنبي في فكر الإسلام والمسلمين .

١٥ – الاهتمام بتكوين شخصية المسلم وتنشئته تنشئة متكاملة إيمانيا وخلقيا واجتماعيا وفرديا وجسديا . ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع الإسلامي المحافظ ، وبناء حضارة إسلامية أصيلة ، تعيد للأمة الإسلامية مجدها السابق .

١٦ – أمة في رجل ، لقب تقلده ابن باز بجدارة . لقد قضى عمره بهمة عالية في خدمة الإسلام والمسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي . لقد كانت ثمانون عاما قيمة العطاء البازي : علم واجتهاد واحتواء لمستجدات العصر ، وخدمة للإسلام والمسلمين ودعوة إلى الله جل وعلا ،، لقد كان أقرب ما يكون لعلماء السلف –رحمهم الله– وهو لذلك يعد القدوة لناشئة هذا العصر وما بعده .

١٧ – التربية على أحكام الشريعة والالتزام بأوامرها وتحقيق التقوى والورع ومداراة الناس ، والاهتمام ببناء المسلم الإيجابي المقبل على الحياة إقبال الواثق المطمئن المتوكل على الله حق التوكل ، والواثق في قدرة الله وعنايته ، القدرة على التعايش مع الابتلاء والتأدب مع الله كالصبر والشكر وتقدير المعيشة حسب الرزق .

لقد كان الشيخ ابن باز بحق عبقريا تربويا في فكره ، وحياته ومناصبه وكتاباته . ولعل الإنجازات التربوية والتعليمية التي حققها الشيخ أن تزيد الحركة التنموية من أجل ميلاد فكر تربوي إسلامي معاصر .

المقترحات

(أفكار ابن باز وواقع المسلم المعاصر)

لا يستطيع الإنسان بأي حال من الأحوال أن يعيش بمعزل عن العالم ، لذلك تتعدد علاقاته الإنسانية . فترتبطه مع كل شئ في الكون علاقة خاصة . فهناك علاقته بربه ، وبدينه ، وبرسوله عليه الصلاة والسلام ، وأهله ، والبشر من المسلمين وغيرهم ، وكذلك تربطه بالعلم علاقة ، وبمعلميه ، وبطلبة العلم . وكذلك تربطه علاقة بما هو مسخر في الكون له من أموال ، وبوسائل الاتصال بالعالم . .

وفيما يلي عرض هذه العلاقات في ضوء ما توصلت له هذه الدراسة من نتائج ، وما يمكن أن يستفاد منها :

١- علاقة الإنسان المسلم بربه

هذه العلاقة من أقدس العلاقات . فالله جل وعلا خلق الإنسان ، ولم يجعل بينه وبين هذا المخلوق واسطة . بل دعاه إلى الإيمان الكامل به سبحانه وعبادته كما أمر . ونبذ أنواع الشرك المختلفة والتي يقع فيها كثير من المسلمين ، يجعلون الوسائط بينهم وبين الله ﷻ تقربا إليه ، أو يبتدعون في الدين ما لم يشرعه الله أو يأمر به ، زيادة منهم في الدين وقد أكمله الله ورضيه لهم دينا « فالمقصود من خلقك وإيجادك يا عبدالله ، هو توحيده سبحانه ، وتعظيم أمره ونهيه ، وأن تقصده وحده في حاجاتك ، وتستعين به على أمر دينك ودنياك وتتبع ما جاء به رسله ، وتنقاد لذلك طائعا مختارا ، محبا لما أمر به ، كارها لما نهى عنه ، ترجو رحمة ربك ، وتخشى عقابه سبحانه وتعالى . . وعليك أن تثني عليه بأسمائه وصفاته ، وأن تشكره على إنعامه ، وأن تصبر على ما أصابك ، مع أخذك بالأسباب التي شرعها الله وأباحها لك »[1] .

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١١_ص١٢ .

ثم إن من أساس هذه العلاقة أن يعمق الإنسان عبوديته لله ، ويعمل بموجبها ، وهي الطاعة له سبحانه في كل ما أمر ونهى ، والخوف منه سبحانه والرغبة فيه ، ويطبق بحق قول الله تعالى :{قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين}(١) .

٢- علاقة الإنسان المسلم بنفسه

يتكون الإنسان من روح وجسد . وبين الروح والجسد علاقة التبعية ، التي لا تنفك ما دام في هذه الحياة . فالجسد تابع للروح في كل أحواله . يلبي حاجاتها ويقضي رغباتها . والروح إن علت ، تربي الجسد وتزكيه وتقوم سلوكه .

لذلك يجب :

أولا : تزكية الروح وربطها بخالقها وتعلقها به ، محبة له وخوفا ورجاء فيه . وتصفيتها من كل ما يكدر صفوها من الأمراض الظاهرة والباطنة ، وتربيتها بالعبادة وأداء الواجبات والتأمل في خلق الله .

ثانيا : تنمية الجسد وتقوية أعضاءه بالغذاء الصحي والأنشطة الرياضية النافعة ، والمحافظة الدائمة على توازن جميع قواه ؛ ليقوم بعبادة الله سبحانه ، ويعمل بنشاط فيما استخلفه الله في هذه الأرض ، عمارة لها ونفعا له وللبشرية .

٣- علاقة الإنسان بدينه

هذه العلاقة تترجم علاقة الإنسان بربه ومدى عبوديته له سبحانه . وهي علاقة حب واعتزاز وهي نعمة من الله على عبده أن يكون مسلما وفي ديار الإسلام . لذا ينبغي على المسلم أن يفتخر بدينه ويعتز لانتمائه إليه . فهو قد أثبت للعالم كله أنه الدين الكامل والشامل لجميع جوانب الحياة « سمي دين الله إيمانا ؛ لأن العباد يؤدونه عن إيمان بالله وتصديق به ورسله .. وسمي الدين برا ؛ لأن خصاله كلها خير . وسمي هذا الدين هدى ؛ لأن من استقام عليه فقد اهتدى إلى خير الأخلاق وإلى خير الأعمال .. فمن استقام عليه وحافظ عليه ، وأدى حقه وجاهد نفسه بذلك فهو متق لله ، وهو موعود

---

(١) سورة الأنعام ، الآيتان (١٦٢_١٦٣) .

بالجنة والكرامة »[1] .

ثم على المسلم بعد أن يتأمل في محاسن الدين الإسلامي ويدركها ؛ عليه أن يحاول التعريف بها نصيحة للإسلام والمسلمين « المسلمون اليوم بل العالم كله في أشد الحاجة إلى بيان دين الله وإظهار محاسنه وبيان حقيقته . والله لو عرفه الناس اليوم ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجا اليوم كما دخلوا فيه أفواجا بعدما فتح الله على نبيه مكة ، عليه الصلاة والسلام »[2] .

ولا بد أن يدرك المسلم أن لهذا الدين فعالية قوية التأثير ، إذ يعتبر موجه لأرادته ومشجعا لطاقاته ؛ فلا بد أن يترجم تعاليمه ومبادئه وقيمه إلى سلوك وأعمال تظهر شخصيته وترفع همته وهمة أمته الإسلامية .

٤- علاقة الإنسان بالقرآن الكريم

يقول ابن باز « بادروا رحمكم الله إلى تلاوة كتاب ربكم ، وتدبر معانيه وعمارة الأوقات والمجالس بذلك..وليجعل لذلك وقتا مخصوصا يستمع فيه كلام ربه ، ويداوي بذلك أمراض قلبه ويستعين به على طاعة خالقه ومربيه »[3]، « وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظه في الصدور ، والعمل به في جميع شئون الحياة ، والتحاكم إليه في القليل والكثير » ، « إذ أصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورا ، هجروا تلاوته ، وهجروا تدبره والعمل به »[4] . ومن أسباب البعد عن القرآن كثر ة الملاهي بأنواعها ومجالاتها التي غزت إنسان اليوم فشغلته بها ، منها على سبيل المثال وأشد الأضرار ، مجالس اللهو والغناء ومشاهدة الأفلام الخليعة « إنها والله من أشد آلات اللهو ضررا ، وأعظمها قبحا وأخبثها عاقبة »[5] .

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٢٩٣_ص٢٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٣٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج٣/ص٢٥٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢/ص١٣٣ .

(٥) المرجع السابق ، ج٢/ ٢٥٠ .

٥- علاقة الإنسان بالرسول ﷺ وسنته الشريفة

لقد قدم الرسول ﷺ أجل خدمة للعالم بأسره ؛ وذلك بما خلفه من سنة واضحة المعالم ترسم مع القرآن الكريم منهج الحياة الشامل لكل ما يطلبه الإنسان كي يحيا السعادة الحقيقية « من أهم الواجبات على المسلمين العناية بسنة الرسول صلى عليه وسلم والتفقه فيها والسير على ضوئها » قال تعالى :{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[1]، « أقسم الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أن العباد لا يؤمنون حتى يحكموا الرسول ﷺ فيما شجر بينهم ، وينقادوا لحكمه راضين مسلمين من غير كراهة ولا حرج ، وهذا يعم مشاكل الدين والدنيا ، فهو ﷺ هو الذي يحكم فيها بنفسه في حياته وبسنته بعد وفاته»[2] .

٦- علاقة الإنسان بالدنيا

لقد وضح الإسلام علاقة الإنسان بالكون ، وأنه مسخر له . وقد جعله الله بما فيه من مغريات وشهوات اختبارا للإنسان ، حتى إذا انتهى من هذه الدنيا وقام مع جميع الخلائق للحساب والعقاب ؛ عرف عاقبة عمله « فالمقصود أنها دار ممزوجة بالشر والخير ، ممزوجة بالأخلاط من الصلحاء وغيرهم ، ممزوجة بالأكدار والأفراح والنافع والضار . . وفيها أنواع من المخلوقات خلقت لمصلحة الثقلين »[3] .

فإذا عرف المسلم حقيقة هذه الدنيا أدرك مدى هوانها ورخصها ، فهي لا تزن جناح بعوضة ! فلماذا يتمسك بها أشد التمسك ، ويتعلق بكل ما فيها تعلق المحروم ، لا يفرق بين طيب وخبيث .

احتقار الدنيا والزهد فيها كان مبدأ ابن باز في الحياة ، هذا بالرغم مما كان يتمتع به من المكانة العلمية والمناصب الرفيعة التي تقلدها ، لكنه لم يحب التميز أنكر ذاته واعتبرها من آحاد الناس .

---

(١) سورة النساء ، آية (٦٥) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص١١ .

إن هذه الدنيا دار العمل والسعي والعطاء ، ولا مكان فيها للكسل والراحة ، وإنما يقضي الإنسان عمره المقدر سعيا في صلاح نفسه والآخرين .

٧- علاقة الإنسان بعمله

إن للعمل في الإسلام مفهوم عميق ، يشمل كل جهد أو فعل يقوم به المسلم سواء كان للدنيا أو للدين . ولقد اشترط الله جل وعلا فيه شرطان : أن يكون خالص له سبحانه ، وأن يكون مما ورد في القرآن أو السنة أو أجمع عليه العلماء . وقد حث الإسلام إلى فعل الخير والإكثار منه « وأخلص لله العمل ، وسارع إلى الخيرات »[(١)] .

وقد حث ابن باز كل مسلم قادر على العمل ، ولم يتساهل في أمر التسول والركون عن العمل إلى سؤال الناس . فليس للمسلم عذر . بل عليه البحث عن أي عمل شريف يكسب منه قوت يومه ويكفى نفسه وأهله عن سؤال الناس . وقد كان الأنبياء عليهم السلام يعملون بالحرف ، وقد كان خاتمهم عليه الصلاة والسلام وهو أفضل البشر ، راعي غنم .

إن تربية المسلم على احترام العمل وضرورة إتقانه والإخلاص فيه ، لأمر واجب ؛ وذلك رفعة للعمل الإسلامي والنهوض بالأمة الإسلامية وتنمية مواردها ، والاستغناء بكفايتها الذاتية عن الأمم الأخرى . وقد كان ابن باز يستغل كل دقائق عمره وساعاته -حتى قبل وفاته- في خدمة الإسلام والمسلمين وقضاء حوائجهم ، ولا يذكر عنه -رحمه الله- أنه تمتع بإجازة من عمله .

الإدارة علم وفن ، تنظم عمل الإنسان وحياته ، وقد كان ابن باز إداريا ناجحا وقائد تربوي قاد مسيرة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية ، بل قد تجاوزت آثاره الطيبة مختلف البقاع .

والمال عماد اقتصاد الأمم ، ومن أهم سبل الازدهار والتطور فيها . وهو نعمة من الله يرزقه من يشاء من عباده . ويدخل ضمن عمل الإنسان « فالواجب على المسلم إذا أنعم الله عليه بنعمة المال أن يتذكر أخاه الفقير ، فيواسيه من ماله ويعينه على تحمل أعباء

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٧ .

الحياة »[1] .

٨- علاقة الإنسان بأقاربه

أقارب الإنسان هم الذين ينتمون إليه من جهة أصله والداه أو فرعه أولاده ، ومن الواجب الديني ، والذي يتماشى مع الفطرة السليمة ، أن على كل مسلم أن يصل أقاربه ، ويبذل في سبيل ذلك ماله وجاهه . لكن كثير من الناس لا يقومون بهذا الواجب ، ولا يعلمون حقيقته . أما ابن باز فقد ضرب أروع المثل في صلته أقاربه ، رغم المشاغل التي تولاها والهموم التي تحملها

ومن الواجب الديني والمسؤولية العظيمة نحو الأقارب تقديم النصح لهم وتقويم من اعوج منهم « وقيامه على من تحت يده من زوجة وأهل وخادم ، وإلزامهم بما أوجب الله عليهم وزجرهم عما حرم الله عليهم ، عملا بقوله تعالى :{وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها}[2] »[3].

٩- علاقة الإنسان المسلم بأخيه المسلم

لقد حدد الإسلام حقوق العباد فيما بينهم ، وألزم كل منهم بواجبات ؛ لو أدوها على ما هي لما ظهر الحسد والكره والبغضاء بينهم ؛ ولما فشا الظلم والطغيان بين قويهم وضعيفهم . وكذلك ربط الإسلام بين جميع فئات المجتمع برباط متين ، وهو رباط الأخوة الإسلامية ، الذي به يجتمع كيان الأمة الإسلامية . . لكن لما تسللت إليها النزعات القومية والشعارات الحزبية ؛ تخلخل هذا الكيان وتهدمت قواعده .

لذا ينبغي بث روح الأخوة الإيمانية بين المسلمين بعضهم البعض ، وتطبيق مبدأ التناصح ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وممارسة جميع أشكال التضامن الإسلامي بما يضمن التكافل الاجتماعي « التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والتناصح في الله والتكافل والتكاتف على كل ما فيه صلاح المسلمين ونجاحهم وحفظ حقوقهم وإقامة

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص١٦١ .

(٢) سورة طه ، آية (١٣٢) .

(٣) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٢٥٩ .

كيانهم وصيانتهم من شر أعدائهم »

فعلى المسلم أن يعيش في مجتمعه المسلم على أساس قاعدة الولاء ، فيحب أخيه المسلم ويسعى لنصرته ، ودعوته إلى الخير ، ويشعر بفرحه وحزنه وحاجته وكل شأنه ، حتى وإن كان بعيدا عنه . وعليه أن يجاهد نفسه في سبيل تحقيق التكافل الإسلامي الذي وصفه الإسلام وحث على تحقيقه على أرض الواقع .

« وما يقال بالنسبة للأفراد يقال بالنسبة للأمم المسلمة ، إذ يجب على الأمة القوية في مالها أو رجالها أو سلاحها أو علومها أن تمد الأمة المستضعفة ، وأن تعينها على الحفاظ على نفسها ، ودينها وتمنع عنها الذئاب من حولها المتسلطة عليها »[1] .

١٠- علاقة الإنسان المسلم بالكافر

وأما علاقة المسلم بالكافر - اليهودي أو النصراني أو غيرهم ممن ليسوا على الإسلام - فشعارها العام ، العداوة والبغضاء والبراءة منهم ، ولكن يضبطها العدل والإنصاف . فإن كان محاربا ، فالحرب والمكيدة له ، وإن كان مسالما أو في دار الإسلام ، فله ما أوجب الله له من المعاملة بالحسنى ، ورد السلام ، حسن الجوار ، والصدقة بالمعروف ، إن كان محتاجا ، وعيادته إن كان مريضا ، وتعزيته في ما أصابه ؛ كل هذا لإظهار سماحة الدين الإسلامي ، والتعريف بمحاسنه « . . جهاد الأعداء صفا واحدا بكل ما أعطاهم الله من قوة ، وأن ينبذوا المبادئ المخالفة لشريعة الله وحقيقة دينه ، وأن يكونوا مستقلين ومنحازين عن سائر الكتل الكافرة من شرقية وغربية ، متميزين بإيمانهم بالله ورسوله واعتصامهم بدينه »[2] .

أما مشاركة الكافر طقوس عبادته أو أفراحه أو أعياده أو غير ذلك مما يظهر تكريمه ويرفع مكانته ويعلو قدره بين المسلمين فلا ينبغي . حفاظا على كيان الأمة الإسلامية . كذلك مما ينبغي مجانبته ، مشابهة الكفار في كل شؤونهم ، بحثا عن النهضة والتنمية كالتي عندهم . والإسلام دين العزة والكرامة ، حرر الإنسان من كل عبودية سوى عبوديته لله

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص٢٤٢ ، ص١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص١٧٢ .

عز وجل .

لذا فمبدأ الولاء والبراء من أهم المبادئ التي تحفظ للإنسان عزته وكرامته .

١١- علاقة الإنسان بالمسجد

لقد كانت المساجد من قبل مراكز إشعاع تربي المسلم دينا وعلميا وثقافيا واجتماعيا ، لقد كانت رسالتها شاملة ، لا تقتصر على مجرد أداء العبادة كما هي اليوم لقد أنتجت خير الأجيال والقرون ، لذلك كان لا بد للإنسان أن يعيد لهذه العلاقة الترابط القوي والحيوية الفاعلة .

وحقيقة العلاقة بين الإنسان والمسجد علاقة محبة وتعلق ، وقد جعل الله أجرها عنده أجرا عظيم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من غدا إلى المسجد أو راح . أعد الله له في الجنة نزلا ، كلما غدا أو راح)[1] .

فينبغي استغلال هذه العلاقة لصالح التربية والتعليم ، وتدار فيها موائد العلم وحلقات المعرفة .

١٢- علاقة الإنسان بالعلم

لا غنى للإنسان عن العلم بكل أنواعه ، وقد فرضه الإسلام وشرف أهله وأكرمهم والواجب منه :

١- العلم الشرعي الضروري لمعرفة أمور الدين والعبادة وما إلى ذلك .

٢- أنواع العلوم الأخرى ، وهذه تقدر ضرورة تعلمها بقدر حاجة الفرد والمجتمع « أما العلوم الأخرى فلها شأن آخر ، من استخراج المعادن وشئون الزراعة والفلاحة وسائر أنواع الصناعات النافعة . وقد يجب منها ما يحتاجه المسلمون ، ويكون فرض كفاية »[2] .

ولكن هناك شروط يجب توفرها في طلب هذه العلوم :

أولها - « شريطة أن لا يكون من نتائج تلك العلوم الإعراض عن العلم الأساسي

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (٦٦٩) ، ص٢٩٨ .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٢/ص٣١٤ .

الذي خلق الخلق لأجله».

ثانيها – « وأن تسخر هذه العلوم للمصلحة العامة دون أن تقف حجرا في طريق العلم النافع »[١] .

وعليه فينبغي الاهتمام أكثر بالعلم الشرعي ، وذلك من قبل الطلاب والعلماء والمسؤولين عن التربية والتعليم ، وضرورة النهوض بتعليمه الأجيال ، صيانة لهم من انحراف الفكر . ثم صياغة العلوم الأخرى صياغة إسلامية ، وكشف كل أساليب الغزو الفكري المغلوط فيها وتنقيتها منه .

١٣- علاقة الإنسان بالمعلم

« فهم القدوة ، والأسوة بعد الأنبياء ، في أخلاقهم العظيمة ، وصفاقم الحميدة ، وأعمالهم الجليلة ، وهم يعملون ويعلمون ، ويوجهون طلابهم إلى أسمى الأخلاق وخير السبل »[٢] .

« . . يعرف لهم قدرهم وفضلهم ، ويترحم عليهم ، ويتأسى بهم في النشاط في العلم والدعوة . . والدعاء لهم بمزيد من التوفيق وعظيم الأجر ؛ لأنهم سبقوا إلى الخير العظيم ، وعلموا وأرشدوا . . »

والعلماء مع شرفهم وعظيم قدرهم « لكن لا يجوز أبدا أن يتعصب لواحد منهم مطلقا ، وأن يقال : قوله هو الصواب مطلقا . بل يقال : كل واحد قد يخطئ ويصيب . والصواب فيما وافق ما قاله الله ورسوله ، وما دل عليه شرع الله من طريق الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم »[٣] .

وعليه ، فإن تلقي العلم يكون على أيدي العلماء الموثوق في فكرهم وشخصياتهم وسلوكهم ، أما التعصب لأحدهم فليس من هدي الإسلام في شيء ، وقد ذاقت منه الأمة الإسلامية الويلات والنكبات . ومن آثار ذلك التشدد في الدين ، والغلو ،

---

(١) المرجع السابق ، ج٢/ص٣٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢/ص٣٠٩ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢/ص٣١١ .

والانحراف في الفكر ، مما نتج عنه تحكيم غير شرع الله ، والعدول عنه بأقوال البشر – وإن كانوا علماء أو يزعمون العلم– والتمسك بفتاواهم ودساتيرهم التي ما أنزل الله بها من سلطان .

ولأن التربية والتعليم بالقدوة أكثر فاعلية من غيرها ؛ لذا وجب على الأمة أن تعتني بتربية معلميها وكل من يتصدى لهذه المهنة العظيمة ، لابد من العناية بالمعلم المسلم ، والاهتمام بتكوين شخصيته وعقيدته وسلوكه وعلمه . فالغالب أن المسلمون اليوم ، أكثر من قبل ، يحتاجون لأبنائهم القدوة التي تربيهم وتعتني بشؤونهم صغارا وكبارا ؛ وذلك إما لغلبة الجهل ، أو لانتشار وسائل الإفساد في المجتمع ، أو قد يكون لانشغال ذويهم عنهم باهتمامات أخرى ، أو لغير ذلك ، فالأسباب كثيرة .

العالم والمعلم المسلم يحمل في قلبه هم الإسلام والمسلمين ، ولا يمكن لغيره –وإن كان أعلم– أن يقوم بدوره في التربية ؛ لأنه يخلص لربه دائما ، أما غيره وإن أحسن فإنه يخلص لدنياه ، أو لدينه من دون الله . لذا فلا يمكن الاستعاضة عن المعلم المسلم بغيره ، ولكن يجب النهوض والعناية به .

١٤– علاقة الإنسان بالمرأة

للمرأة مكانتها في المجتمع الإسلامي ، فهي كالرجل ، لها ما له ، وعليها ما عليه ، إلا في بعض الحالات التي استثناها الإسلام . فرق فيها بين حال المرأة وحال الرجل ، وجعل لكل منهما ما يناسبه وطبيعته .

لذلك تستطيع المرأة أن تقوم بدورها في التربية والتعليم ، وتبني مكانتها في المجتمع ، وتملئ مجالها بشرط ، ألا يتعارض هذا المجال مع دينها الحنيف وطبيعتها الفطرية . ولكن تبقى الحقيقة التي لا تعارض فيها أن دور المرأة الأول والآخر في بيتها ، ولذلك عليها أن تسعى جاهدة للنهوض به ، فتبني أسعد بيت ، وتنتج جيلا واعيا بدينه وأمته . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (والمرأة راعية على بيت بعلها وولده . وهي مسؤولة عنهم)[1] .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ، حديث رقم (١٨٢٩) ، ص٨٢٥ .

لكن قد تتسرب بعض الشعارات الدخيلة في تربية المرأة ، منها المساواة والحرية . . وهي مغلوطة ؛ لأنها تخرج المرأة عن طبيعتها إلى مساواة الرجل في كل شيء ، حتى وإن كان ذلك على سبيل أنوثتها ، وتحملها المشاق . وقد تتجاوز الحرية التي منحها الله إياها ، وتخرج عن طاعة الله وحدود ما شرعه لها وقضى .

ومما ينبغي مراعاته في تربية الاهتمامات عند المرأة ، بعد الاهتمام بالدين وأداء الشعائر التعبدية ، والإلزام بقدر من التعليم ، يجدر الاهتمام بملء الفراغ في أوقاتها وتوجيهها في كيفية الاستفادة من الأوقات وتعميرها في العبادات ، وقضاء الحاجات ، ونفعها ونفع الآخرين .

١٥ – علاقة الإنسان بوسائل الإعلام

إن إنسان اليوم لا ينعزل عن العالم ، في أي مكان كان يتصل بالعالم شرقا وغربا عبر وسائل الاتصال المختلفة المرئية منها والمسموعة . والحقيقة أن وسائل الإعلام هي وسائل فقط تحقق للإنسان أهدافا ، وهي ليست غايات ، هذه حقيقة لا بد أن يدركها إنسان اليوم ؛ ولذلك ينبغي له أن يحسن هذه العلاقة ، ويستفيد منها كوسيلة لتعليم الدين أو لأي مجال من مجالات التربية له أو لأبنائه ومن هم تحت رعايته أو مسؤليته . وعليه أيضا أن يأخذ منها على قدر الحاجة دون الزيادة المفرطة التي قد تخرج عن طور الفائدة الدينية أو العلمية أو الثقافية أو اللهو والترفيه المباح إلى المحظور أو المحرم .

والإذاعة إحدى هذه الوسائل ، يقول ابن باز فيها « إن الإذاعة في حد ذاتها أداة ذات حدين إن أحسنت استعمالها فهي لك ، وإن أسأت استعمالها فهي عليك . ولا شك أن الواجب في نفس الأمر شرعا وعقلا أن تكون هذه الأداة ، أداة تعمير وتوجيه وإرشاد إلى ما ينفع الأمة في الدين والدنيا . ولا يجوز بوجه من الوجوه أن تكون أداة تخريب وإفساد وانشغال للأمة بما يضرهم ولا ينفعهم »[1] .

وينبغي للمسلم أن يستغل هذه الوسائل لتحقيق عالميته ، والاطلاع على أحوال العالم ، ومتابعة ما صح من الأخبار ، والمشاركة في الدعم المادي والمعنوي لكل المسلمين

---

(١) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٤٢٧ .

في أقطار الأرض .

لا بد من النهوض بوسائل الإعلام لخدمة الإسلام والتأكيد على هوية المسلم ، في كل ما تطرحه من برامج ، وما تبثه من أفكار . ولا يغرها ما تطرحها بعض الوسائل الغربية أو الشرقية من أمور تنافي تعاليم الدين الإسلامي أو تنشر ما يتعارض مع مبادئه وقيمه . فهي إسلامية متميزة بأصالتها ومحافظتها على الآداب العامة ، وعدم الإخلال بها أو التهاون في عرض ما يخالفه ، سواء كان للتربية والتعليم أو للهو والترفيه .

ثم إن لدورها القائد في التربية والتوجيه وتطبيع الأفكار والعقائد ، يقع عليها واجب الدعوة إلى الله جل وعلا ، وأيضا لمكانتها وعلاقتها بالإنسان اليوم يقع عليها واجب التربية والتعليم ، وبناء فكر الأمة الإسلامية وتنميته « . . وتكون نبراسا يهتدي به المسلمون أينما كانوا ، فتارة تزودهم بالعلوم النافعة والتوجيهات السديدة وتلاوة القرآن وتفسيره . . ونشر محاسن الدين وبيانه لهم سليما من شوائب الشرك والبدع ، وطورا تسمعهم أحاديث طيبة ، وأحاديث زراعية وتوجيهات تجارية وتعليمات تربوية وإرشادات مترلية إلى غير ذلك من أوجه النفع وطرق الإصلاح الديني والدنيوي »[1] .

١٦- علاقة الإنسان بالفكر

العقل من الضروريات الخمس التي أوصى الإسلام بالحفاظ عليها ، وفد حد لها حدودا كعقاب لمن يتعدى عليها . والعقل هو مناط التكليف لدى الإنسان وبه فضل على غيره من الخلائق ، وقد أشاد الله جل وعلا بالعقل والمتعقلين الذين ينتفعون بعقولهم ولا يعطلونها .

وابن باز كذلك أوصى بتنمية العقل واستعماله في زيادة الإيمان وفي الاستفادة من العلم في الحياة الواقعية والمستجدات الطارئة على الإنسان .

بعض طرق تنمية الفكر

١- التأمل في الآيات الكونية ، وكيف أبدع صنعها الخالق سبحانه . فينظر مثلا إلى السماء كيف تثبت بلا عمد ، وما بينها وبين الأرض ، وما بينها وبين الكون الذي لا

---

(١) المرجع السابق ، ج٣/ص٤٣١ .

يراه الإنسان ؛ وما مدى اتساع هذا الكون وما هي حدوده . إنه صنع الخالق المبدع الذي أتقن كل شيء خلقه . قال تعالى :{ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار}(١) .

٢- التفكر في آيات القرآن الكريم ، والوقوف عند معانيها ومقاصدها « التدبر والتفكر والتعقل لمعانيه العظيمة المطهرة للقلوب » (٢) . قال تعالى :{ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}(٣) .

٣- التفكر في الغاية التي خلق لأجلها الإنسان «النظر والتفكر في الأمر الذي خلقنا لأجله ، قال تعالى :{قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}(٤)، وقال تعالى :{ أيحسب الإنسان أن يترك سدى}(٥) . أي مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا شك أن كل مسلم يعلم أنه لم يخلق عبثا بل خلق لعبادة الله وحده»(٦) .

٤- إعمال الفكر في طلب العلوم النافعة ، والاجتهاد في تحصيلها ، ومن ثم التفكير في سبل تسخيرها لخدمة البشرية ، والنهوض لتطوير موارد الأمة الإسلامية .

٥- البحث والتأمل المتواصل في مشكلات العالم الإسلامي والاجتهاد في توفير الحلول المناسبة ، ومن ذلك الاجتهاد في مسائل الدين ومستجدات العصر ، وعدم الركون إلى التقليد والحجر على أساليب الفهم والوعي عند الإنسان .

٦- احترام العقل ، وعدم إقحامه فيما لا يستطيعه ولا يدركه . كما يفعل مثلا بعض أصحاب البدع المخالفة للدين ؛ يظنون أنهم بعقولهم أبدعوا ما لم يشرعه الدين .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان (١٩٠_١٩١) .

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٢٤٩ .

(٣) سورة محمد ، آية (٢٤) .

(٤) سورة سبأ ، آية (٤٦) .

(٥) سورة القيامة ، آية (٣٦) .

(٦) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مرجع سابق ، ج٣/ص٢٤٧_ص٢٤٨ .

ولا شك أننا إذا أردنا توجيه فكر الأمة الإسلامية اليوم ، وتغيير مـــا يحتــاج إلى التغـــيير ؛ أنه لا بد من ثمة أمور :

١- بسط المنهج الإسلامي الصحيح ، وعدم الاستعاضة عنه بمنهج أو مبدأ دخيل ، وإن كان لهذا المبدأ سطوة أو واقع كبير .

٢- الدعوة الصادقة لهذا المنهج ، مع بيان ونشر محاسنه ، بالإضافة إلى وجوب توفر شرط أساسي أخر في هذه الدعوة وهو ، تتناول كشف الأخطاء الواقعة و الأفكار الهدامة المنتشرة ، وإحصاء أضرارها على الأمة الإسلامية .

٣- اتخاذ الأساليب الناجحة في الإقناع بكفايته . وتعميم الدعوة إليـــــه في كـــل مجالات التربية والتعليم .

التوصيات

في ضوء ما استخلصته الباحثة من جوانب تربوية في رسائل وكتابات ابن باز، وما أمكن من معالجة بعض القضايا التربوية المطروحة فإن الباحثة توصي بما يلي:

١- أن يأخذ مخططو البرامج الدراسية في الاعتبار أهم ما توصلت إليه الدراسة من أفكار تربوية في الحسبان والاعتبار عند تخطيطهم للمناهج ووضع السياسات التربوية .

٢- تقديم توجيهات تربوية حول السيرة الذاتية لرجال الدين وذلك للمعلمين وأولياء الأمور خلال اجتماعات بمجالس الآباء والمعلمين وبرامج التدريب أثناء الخدمة بغرض توعية المعلمين ، والاستفادة من هذه السير في ضبط وتوجيه الشباب والطلاب خلقيا واجتماعيا .

٣- تضمين المقررات التربوية بعض السير الذاتية لمثل هؤلاء العلماء الذين خدموا الدين .

٤- تشكيل حلقات بحث حول السنة النبوية وما جاء فيها للوقوف على أهم الأسس والتطبيقات التربوية في عصر النبوة ؛ إحياء لها ؛ للاسترشاد بها ، ومحاولة تطبيقها في الحياة اليومية .

٥- إجراء بحوث مكملة لهذه الدراسة وتتناول الجوانب التربوية التي لم تتناولها هذه الدراسة . وتفي بجهود الشيخ ابن باز وفاء صادقا .

٦- إجراء بحوث علمية تلقي الضوء على الجانب الإداري في حياة ابن باز : حفظ الوقت ، ودقة المواعيد ، وتنظيم جدول الأعمال اليومي الشامل ، تنظيم شؤون القضاء ، والتعليم ، ، ، .

٧- إجراء بحوث مماثلة لهذه الدراسة تناول الصحابة والتابعين والعلماء المسلمين للاستفادة منها في الوقت الحالي . مع مقارنتها بأفكار العلماء الغربيين .

قائمة المراجع

القرآن الكريم .

١ – الأشقر ، عمر سليمان . العقيدة في الله . الكويت : مكتبة الفلاح ، (١٩٨٣م) .

٢ – أبو العلا ، محمود طه . جغرافية شبه جزيرة العرب . ج٢ ، ط٢ ، مصر / القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، (١٩٧٢م) .

٣ – أبو العينين ، علي خليل . التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي .

٤ – ———— . القيم الإسلامية والتربية . المملكة العربية السعودية : المدينة المنورة : مكتبة إبراهيم حلبي ، (١٤٠٨هـ) .

٥ – أبو علية ، عبد الفتاح . الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز . المملكة العربية السعودية / الرياض : دار المريخ ، (١٤١٨هـ) .

٦ – الإبراشي ، محمد عطيه . التربية الإسلامية وفلاسفتها . مصر : مطبعة عيسى البابي ، (١٩٨٥م) .

٧ – إبراهيم ، سيد محمد . تاريخ المملكة العربية السعودية . المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، (١٤٠٦هـ) .

٨ – ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله . الإيضاح والتحقيق في أحكام حج بيت الله العتيق . جمعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، بيروت / لبنان : المكتبة العصرية ، (د . ت) .

٩ – ———— . العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام ، (د . ت) .

١٠ – ———— . الدروس المهمة لعامة الأمة . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار القاسم ، (١٤١٦هـ) .

١١ – ———— . وجوب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الوطن ، (١٤١٣هـ) .

١٢ – ———— . مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيزعبد الله بن باز . ج٣ ، إعداد وتقديم عبد الله الطيار و أحمد بن عبد العزيز بن باز . المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الوطن ، (١٤١٦هـ) .

١٣ – ———— . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة . ج١ ، جمع وترتيب : محمد بن سعد الشويعر ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار القاسم ، (١٤٢٠هـ) .

١٤ – ———— . موقع سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله www . Binbaz . Org . SA

١٥ – ابن حنبل ، أحمد بن محمد . مسند الإمام أحمد . ج٥ ، تعليق : عبد الله محمد الدرويش وأبو الفداء الناقد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (١٤١١هـ) .

١٦ – ابن قيم الجوزية ، محمد . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . ج٢، ط١ ، لبنان /

بيروت : دار الكتب ، (١٤١٣هـ) .

١٧ - ------------ . صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب . تحقيق : سليم بن عيد الهلالي ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية / الدمام : دار ابن الجوزي ، (١٤١٦هـ) .

١٨ - ابن كثير ، إسماعيل القرشي . تفسير القرآن العظيم . ج٣ ، ج٤ ، لبنان / بيروت : دار الخير ، ط١ جديدة مصححة ، (١٤١٠هـ) .

١٩ - ابن ماجة . سنن ابن ماجة . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،ج٢ ، لبنان / بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (١٣٩٥هـ) .

٢٠ - ابن منظور ، محمد بن مكرم . لسان العرب . ج٥،١٠ ، لبنان / بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (١٤١٣هـ) .

٢١ - أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني . عون المعبود . ج٢ ، لبنان / بيروت : دار الكتب العلمية ، (د .ت) .

٢٢ - أحمد ، لطفي بركات . في الفكر التربوي الإسلامي . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار المريخ ، (١٤٠٢هـ) .

٢٣ - الأصفهاني ، الحسين بن محمد الراغب . المفردات في غريب القرآن . لبنان / بيروت : دار المعرفة ، (د .ت) .

٢٤ - البخاري ، محمد بن إسماعيل . الأدب المفرد . ط٣ ، تخريج محمد فؤاد عبد الباقي : دار البشارة ، (١٤٠٩هـ) .

٢٥ - البرَّاك ، عبد العزيز بن ناصر . ابن باز في الدِّلم قاضياً ومعلماً . ط٢ ، المملكة العربية السعودية : شركة مطابع نجد التجارية ، (١٤٢١هـ) .

٢٦ - بُروتوكولات حكماء صهيون . الخطر اليهودي . ترجمة محمد خليفة التونسي ، مصر / القاهرة : دار التراث ، (د . ت) .

٢٧ - البكران ، فهد ، وآخرون . ابن باز . .الداعية الإنسان . المملكة العربية السعودية / جدة : مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر – نسخة خاصة مصورة من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، (د . ت) .

٢٨ - الترمذي ، محمد بن عيسى . جامع الترمذي . ج٥ ، تحقيق إبراهيم عطوة : المكتبة الإسلامية . (د .ت) .

٢٩ - جمعة ، رابح لطفي . حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز . المملكة العربية السعودية / الرياض : دارة الملك عبد العزيز (٢٣) ، (١٤٠٢هـ) .

٣٠ - الحازمي ، إبراهيم بن عبد الله . سيرة وحياة الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ج١،٢،٣ ط١، المملكة العربية السعودية : الرياض / دار الشريف ، (١٤٢٢هـ) .

٣١ - الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري . المستدرك . ج٢ ، لبنان / بيروت : دار المعرفة

٣٢ - الحجاجي ، حسن بن علي . الفكر التربوي عند ابن القيم . ط١ ، المملكة العربية السعودية :

الرياض / دار حافظ للنشر والتوزيع ، (١٤٠٨هـ) .

٣٣ - الحقيل ، سليمان بن عبد الرحمن . نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية . ط١٠ ، المملكة العربية السعودية : مطابع التقنية للأوفست ، (١٤١٧هـ) .

٣٤ - الحقيل ، عبد الله بن حمد . توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة العبيكان ، (١٤٢٠هـ) .

٣٥ - حمدان ، محمد زياد . التدريس المعاصر . الأردن : دار التربية الحديثة ، (١٤٠٨هـ) .

٣٦ - حمزة ، فؤاد . قلب جزيرة العرب . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، (١٣٨٨هـ) .

٣٧ - حمودة ، وعبدالهادي ، فتحي بيومي ومحمد أحمد . التربية والطرق الخاصة بتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية . دار البيان العربي ، (١٤٠٤هـ) .

٣٨ - الحميضي ، ناصر عبد الله . بلادنا السعودية . ط١ ، مطبعة مرامر ، (١٤١٤هـ) .

٣٩ - الحيان ، خالد بن علي . الإلمام بطريقة دروس سماحة الإمام عبد العزيز بن باز . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار القاسم للنشر ، (١٤٢٠هـ) .

٤٠ - آل خرصان ، مانع بن خرصان بن ناصر . ابن باز في قلوب محبيه . لبنان / بيروت : مؤسسة عبد الحفيظ البساط ، (١٤٢٠هـ) .

٤١ - الخطيب وآخرون ، محمد شحات . أصول التربية الإسلامية . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الخريجي ، (١٤١٥هـ) .

٤٢ - الدويش ، أحمد بن عبد الرزاق . فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء . م١ ، ط٣ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار العاصمة ، (١٤١٩هـ) .

٤٣ - الرافعي . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . ج١-٢ ، (د .ت) .

٤٤ - الرحمة ، عبد الرحمن بن يوسف . الدرر الذهبية من عيون القصص البازية . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مؤسسة الجريسي ، (١٤٢٠هـ) .

٤٥ - --------- . الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الهجرة ، (١٤٢١هـ) .

٤٦ - رشيد ، مادون . قضايا اللهو والترفيه بين الحاجة النفسية والضوابط الشرعية . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار طيبة للنشر ، (١٤٢٠هـ) .

٤٧ - الرويشد ،عبد الله بن سعد .قادة الفكر الإسلامي عبر القرون . مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، (د . ت) .

٤٨ - الريحاني ، أمين . تاريخ نجد وملحقاته . دار الريحاني للطباعة ، (د . ت) .

٤٩ - الزركلي ، خيرالدين . شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز . ج ٢ ، ط٥ ، لبنان / بيروت : دار العلم للملايين ، (١٩٩٢م) .

٥٠ - زهران ، حامد عبد السلام . التوجيه والإرشاد النفسي . مصر / القاهرة : عالم الكتب ، (١٩٨٢م)

٥١ – الزهراني ، أحمد حسن الكباشة . الفكر التربوي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رسالة ماجستير قسم تربية إسلامية ، كلية التربية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، (١٤٠٩هـ) .

٥٢ – الزهراني ، ناصر بن مسفر . إمام العصر سماحة الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن باز . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مؤسسة الجريسي ، (١٤٢٠هـ) .

٥٣ – سعيد ، عبد الستار فتح الله . الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . القسم الثاني من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي ، المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (١٤٠١هـ) .

٥٤ – سلطان ، محمود السيد . مفاهيم تربوية في الإسلام . الكويت : مؤسسة الوحدة ، (١٩٧٧م) .

٥٥ – السنبل وآخرون ، عبد العزيز بن عبد الله . نظام التعليم في المملكة العربية السعودية . ط٣ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الخريجي ، (١٤١٢هـ) .

٥٦ – الشامخ ، محمد عبد الرحمن . التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : المطابع الأهلية للأوفست ، (١٣٩٣هـ) .

٥٧ – الشتوي ، حمد بن إبراهيم بن عبد العزيز . الإبرازية في التسعين البازية . المملكة العربية السعودية / الرياض : دار العاصمة ، (١٤٢٠هـ) .

٥٨ – الشعيبي ، صالح المحمد . ملامح السياسة المالية والإدارية في المملكة العربية السعودية . ط٤ المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة الخريجي ، (١٤٠٧هـ) .

٥٩ – شلتوت ، محمود . الإسلام عقيدة وشريعة . جمهورية مصر العربية / القاهرة : دار الشروق . (د . ت) .

٦٠ – الشويعر ، محمد بن سعد . من مشاهير علمائنا . المملكة العربية السعودية / الطائف : دار الحارثي ، (١٤٢١هـ) .

٦١ – صباح ، قاسم شهاب . علم النفس النبوي . ط١ ، لبنان / بيروت : مؤسسة الرسالة ، (١٤١٥هـ) .

٦٢ – عاقل ، فاخر . علم النفس التربوي . ط١٣ ، لبنان / بيروت : دار الملايين ، (د . ت) .

٦٣ – عبد الحميد وكاظم ، جابر وأحمد خيري . مناهج البحث في التربية وعلم النفس . ط٢ ، مصر / القاهرة : دار النهضة العربية ، (١٩٧٨هـ) .

٦٤ – عبد العال ، حسن إبراهيم . (١٤٠٨هـ) . أصول البحث العلمي وآدابه عند الإمام النووي . رسالة الخليج العربي ، العدد (٢٤) ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٦٥ – عبد العزيز ، صالح . التربية الحديثة . ج٣ ، ط٧ ، مصر : دار المعارف ، (د . ت) .

٦٦ – عبد الكريم ، محمد أحمد . ابن خلدون وآراءه التربوية . رسالة التربية ، عمان / وزارة التربية والتعليم ، المديرية العامة للتنمية التربوية ، دائرة البحوث التربوية ، (١٤١٦هـ) .

٦٧ – العتيبي ، إبراهيم بن عويض الثعلبي . الأمن في عهد الملك عبد العزيز . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، (١٤١٧هـ) .

٦٨ - العثيمين ، عبد الله الصالح . تاريخ المملكة العربية السعودية . ج٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عامة على تأسيس المملكة ، (١٤١٩هـ) .

٦٩ - العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . ج٥ ، لبنان / بيروت : دار الفكر ، (١٤١١هـ) .

٧٠ - عسه ، أحمد . معجزة فوق الرمال . المطابع الأهلية اللبنانية ، (١٣٨٦هـ) .

٧١ - عميرة ، عبد الرحمن . منهج القرآن في تربية الرجال . ط١، عكاظ للنشر والتوزيع ، (١٤٠١هـ) .

٧٢ - الغنام ، سليمان بن محمد . البيئة السياسية الإقليمية والدولية في شبه الجزيرة العربية إبان نهوض الملك عبد العزيز لتأسيس الدولة الحديثة . ط١ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة العبيكان ، (١٤٢٠هـ) .

٧٣ - الفالح ، سليمان بن قاسم . عوامل تعاطي المخدرات . المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (١٤٠٩هـ) .

٧٤ - فايد ، عبد الحميد . رائد التربية العامة وأصول التدريس . لبنان / بيروت : دار الكتاب اللبناني ، (١٩٧٠م) .

٧٥ - الفريح ، أحمد بن عبد الله . الشيخ ابن باز ومواقفه الثابتة . ط١ ، الكويت : مكتبة الرشد ، (١٤٢٠هـ) .

٧٦ - فرحان ، إسحاق أحمد . التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة . ط١ ، عمان : دار الفرقان ، (١٤٠٢هـ) .

٧٧ - فهمي ، مصطفى . الصحة النفسية . مصر / القاهرة : مكتبة الخانجى (د . ت) .

٧٨ - فوده وعبد الله ، حلمي محمد وعبد الرحمن صالح . (١٤١٢هـ) . المرشد في كتابة الأبحاث . المملكة العربية السعودية / جدة : دار الشروق ، ط٦ .

٧٩ - الفوزان ، صالح بن فوزان بن عبد الله . (١٤١٩هـ) . الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد . المملكة العربية السعودية / الرياض : دار العاصمة ، ط٣ .

٨٠ - الفيروز أبادي . القاموس المحيط . ج١ ، لبنان / بيروت : دار الفكر ، (د.ت) .

٨١ - قادري ، عبد الله بن أحمد . دور المسجد في التربية . المملكة العربية السعودية / جدة : دار المجتمع ، (١٤٠٧هـ) .

٨٢ - القحطاني ، محمد بن سعيد . الولاء والبراء في الإسلام . دار الصفوة ، (١٤٠٩هـ) .

٨٣ - القرني ، عائض بن عبد الله . الممتاز في مناقب ابن باز ، ط١ . المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الصميعي ، (١٤١١هـ) .

٨٤ - القرني ، عوض بن محمد . الحداثة في ميزان الإسلام . تقريظ عبد العزيز بن باز ، المملكة العربية السعودية / جدة : دار الأندلس الخضراء ، (١٤٢٣هـ) .

٨٥ - قطب ، محمد . مذاهب فكرية معاصرة . ط٣ ، مصر/ القاهرة : دار الشروق ، (١٤٠٨هـ) .

٨٦ - كمال والحماحمي ، درويش ومحمد . الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر . ط١ ، المملكة العربية

السعودية / مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، (١٤٠٨هـ) .

٨٧ – الكيلاني ، ماجد عرسان . مناهج التربية والمربون العاملون فيها . ط١ ، لبنان / بيروت : عالم الكتب ، (١٤١٦هـ) .

٨٨ – اللقاني وسليمان ، أحمد حسين وفارعة حسن محمد . التدريس الفعال . مصر / القاهرة : عالم الكتب (د.ت) .

٨٩ – مارديني ، صلاح الدين . التقوى . ط١ ، سوريا / دمشق : المكتب الإسلامي ، (١٤٠٠هـ) .

٩٠ – المجذوب ، محمد . علماء ومفكرون عرفتهم . ج١ ، ط٤ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الشواف ، (١٤١٢هـ) .

٩١ – مجلة الدعوة ، أسبوعية إسلامية جامعة ، العدد ١٦٩٠ ، ٢٠/محرم/١٤٢٠هـ ص٣٠ .

٩٢ – ــــــــ ، ـــــــــــــ ، العدد ١٦٩٢ ، ٥/صفر/١٤٢٠هـ ص٢٠، ص٢٣ .

٩٣ – ــــــــ ، ـــــــــــــ ، العدد ١٦٩٣ ، ١٢/صفر/١٤٢٠هـ ص٤٥ .

٩٤ – ــــــــ ، ـــــــــــــ ، العدد ١٦٩٧ ، ١٠/ربيع الأول/١٤٢٠هـ ص٢٠ .

٩٥ – مجلة الأربعاء ، ثقافية – اجتماعية – فنية ، ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة ، ٤/صفر/١٤٢٠هـ .

٩٦ – مجلة مساء ، ملحق يصدر عن مجلة الأسرة ، تصدر عن مؤسسة الوقف الإسلامي هولندا ، العدد ٧ /ربيع الثاني /١٤٢٠هـ ، ص٤٥ .

٩٧ – مجلة اليمامة ، العدد ١٥٥٦ السبت ٧ /صفر /١٤٢٠هـ لفتات ومواقف بازية .

٩٨ – محمود ، علي عبد الحليم . الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . القسم الأول من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي ، المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠١هـ) .

٩٩ – مرسي ، محمد عبد العليم . المعلم والمناهج وطرق التدريس . المملكة العربية السعودية : الرياض : دار عالم الكتب ، (١٤٠٤هـ) .

١٠٠ – مصطفى ، علي خليل (يوليو ، ١٩٩٢م) . ابن باجة وأفكاره التربوية . مجلة كلية التربية ، مصر / القاهرة : كلية التربية .

١٠١ – مصلح ، أحمد منير . نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : جامعة الملك سعود ، (١٤٠٢هـ) .

١٠٢ – المصلح ، حامد بن محمد . المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع . ط١ ، المملكة العربية السعودية / جدة : مكتبة الضياء ، (١٤١٠هـ) .

١٠٣ – المطر ، حمود بن عبد الله . مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز . ط١، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الوطن للنشر ، (١٤٢٠هـ) .

١٠٤ – مكتب التربية العربي لدول الخليج . من أعلام التربية العربية والإسلامية . م١،م٢،م٣،م٤، المملكة العربية السعودية / الرياض (١٤٠٩هـ) .

١٠٥ - المودودي ، أبو الأعلى . مبادئ الإسلام . ط٦ ، دار العربية ، (١٣٩٣هـ) .

١٠٦ - -------- . نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور . لبنان / بيروت : مؤسسة الرسالة ، (١٣٨٩هـ) .

١٠٧ - المؤسسة العربية للأبحاث والعلاقات العامة . ملف صحفي توثيقي يرصد أصداء رحيل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله . المملكة العربية السعودية / الرياض ، (١٤٢٠هـ) .

١٠٨ - المؤسسة العربية للأبحاث والعلاقات العامة . الملف الإعلامي . المملكة العربية السعودية / الرياض ، (١٤٢٤هـ) .

١٠٩ - الناصر و درويش ، محمد حامد و خولة . تربية المراهق في رحاب الإسلام . ط١، المملكة العربية السعودية / الدمام : رمادي للنشر ، (١٤١٧هـ) .

١١٠ - نجاتي ، محمد عثمان . القرآن وعلم النفس . ط٦ ، مصر / القاهرة : دار الشروق ، (١٤١٧هـ) .

١١١ - النجدي ، عبد الرحمن بن محمد . الدرر السنية في الأجوبة النجدية . ط٦ ، (١٤١٧هـ) .

١١٢ - النجّار ، عبد المجيد . مباحث في منهجية الفكر الإسلامي . لبنان / بيروت /دار العرب الإسلامي ، (١٩٩٢م) .

١١٣ - النحلاوي ، عبد الرحمن . أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع . ط١، سوريا / دمشق : دار الفكر ، (١٣٩٩هـ) .

١١٤ - النحلاوي ، عبد الرحمن . التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة أسامة ، (١٤٠٢هـ) .

١١٥ - النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي . ج١٥ ، لبنان / بيروت : دار الكتب العلمية ، (د . ت) .

١١٦ - النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري . صحيح مسلم .ط١ ، لبنان / بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (١٤٢٠هـ) .

١١٧ - الوكيل ، محمد السيد . أسس الدعوة وآداب الدعاة . ط٤ ، المملكة العربية السعودية / جدة : دار المجتمع ، (١٤١٤هـ) .

١١٨ - وهبة ، حافظ . جزيرة العرب في القرن العشرين . ط٥ ، مصر / القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (١٣٨٧هـ) .

١١٩ - الهاشمي ، عبد الحميد محمد . الإعداد النفسي والتربوي لمدرس التربية الإسلامية وعلومها الدينية . (د .ت) .

١٢٠ - الهطلاني ، مضاوي حمد الناصر . مدينة الرياض . المملكة العربية السعودية / الرياض : مكتبة العبيكان ، (١٤١٧هـ) .

١٢١ - يالجن ، مقداد . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . ط١ ، لبنان / بيروت : مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، (١٤٠٦هـ) .

١٢٢ - -------- . أهداف التربية الإسلامية وغايتها . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار الهدى ، (١٤٠٩هـ) .

١٢٣ - ———— . التربية الأخلاقية الإسلامية . ط٢ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار عـــالم الكتب ، (١٤١٧هـ) .

١٢٤ - ———— . التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية . ط١، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار عالم الكتب ، (١٤١٨هـ) .

١٢٥ - ———— . توجيه المتعلم إلى منهاج التعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي . ط٣ ، المملكة العربية السعودية / الرياض : دار عالم الكتب ، (١٤١٩هـ) .